بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

كتابنا هو: «**العقيدة الواسطية**».

والعقيدة يعني: (**العزم، والجزم، واليقين، وكل ما يدين به الإنسان**).

وأما شرعًا، فقد عرّفها بعض أهل العلم: (**بأنها العلم بالأحكام الشرعية، العقدية، المستنبطة من الأدلة الشرعية**) فكل ما جزم به القلب، وعزم عليه وأيقن به سمي (**عقيدة**) وسميت بالواسطية لعدة معانٍ:

☜ **المعنى الأول**: هذه الوسطية بالنسبة للفرقة الناجية، نسبتها كنسبتها للأمة المحمدية، فإن الله -سبحانه وتعالى- وصف هذه الأمة بأنها الوسط، ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة:١٤٣] وجعل من مقتضيات هذه الوسطية أن تكون هذه الأمة بمجموعها أمة عادلة مقبولة الشهادة عند الناس وعند الله، أما عند الناس؛ فلأن إجماع علمائها المجتهدين يعتبر حجة شرعية، ويعتبر أمرًا مقطوعًا به؛ كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** ﴾[النساء:١١٥] فسبيل المؤمنين واجب الاتباع، وهي مقبولة الشهادة على الخلق جميعاً يوم القيامة، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ**

وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾[البقرة:١٤٣] فجعلهم الله - سبحانه وتعالى- شاهدون لجميع الأنبياء لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة.

☜ **المعنى الثاني**:سُميت واسطية؛ لأنها جواب لسؤال جاء للإمام أحمد بن تيمية من رجل من واسط[1]، وهي إحدى بلدان العراق، فجاءت التسمية موافقةً للبلد الذي جاء منها السؤال[2].

وكتاب الواسطية كتاب عظيم، حافل بخير كثير، وقد تكلم به الإمام رحمه الله تعالى على مسائل مهمة في الاعتقاد، بأسلوب رصين، واضح، ظاهر، وقرنه بالأدلة الشرعية المرعية، من الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، والعقل الصحيح المهتدي بالشريعة، فكان كتابًا جامعًا مانعًا في باب العقيدة.

و مؤلف الكتاب غني عن التعريف، وهو إمام حافظ، صارت علوم الإسلام بين يديه كأنها علم واحد، ينتقي منها كما يشاء، وأقر أعداؤه وأصدقاؤه وأصحابه بما له من مكانة علمية تميز بها منذ أن كان غلاماً يافعاً، حتى أنه رحمه الله من شهرته في صغره جاءه بعض علماء دمشق، وعرضوا عليه بعض الأحاديث التي خالفوا بين أسانيدها فجاء وهو صغير في الكتّاب، فأجابهم عن كل ما سألوا عنه، فما

---

(١) واسط: من بلدان العراق، بناها الحجاج، وهي موجودة إلى اليوم، وتبعد عن بغداد الآن قرابة ١٧٢ كيلو متراً. انظر: معجم البلدان لياقوت (٣٤٧/٥).

(٢) جاء في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٩٤/٣): "كان سبب كتابتها أن بعض قضاة واسط من أهل الخير والدين شكا ما الناس فيه – ببلادهم في دولة التتر – من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم؛ وسألني أن أكتب له " عقيدة " فقلت له: قد كتب الناس عقائد أئمة السنة؛ فألح في السؤال، وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة – وأنا قاعد بعد العصر".

بالك بصبي اشتهر علمه إلى أن عرفه القاصي والداني وأقروا بفضله؟ حتى أن العلماء صاروا يأتون ليشاهدوه ويروه، فكان رحمه الله تعالى أعجوبة زمانه، فجاهد رحمه الله تعالى بأنواع الجهاد كلها، فجاهد بقلمه، فكتب للمسلمين من الكتب النافعة الكثيرة، والكبيرة، والرصينة كتبًا لا تحصى، ضاع أكثرها، وما نعده اليوم فإنه أقل القليل من كتبه.

وجاهد بسيفه، فقاتل التتار، وكانت له مواقع ومكانة في تلك الحروب مشهودة، وسجن في الله، فصبر واحتسب حتى أنه خرج من السجن إلى المقبرة، وكان في سجنه رحمه الله لا يكف عن العبادة ولا عن الدعاء، ولا عن كتابة العلم، ولا على الرد على المخالفين، حتى استعدوا الحاكم عليه في ذلك الوقت، فنزعوا المقالم والكتب من يديه.

كما أنه جاهد بعلمه، فإن المساجين الذين معه، تخرجوا من السجن علماء[1]، ويقال أن ابن القيم –رحمه الله– كان واحدًا منهم، فكانت له أيام مشهودة في الإسلام، ولم يزل علمه نافعًا للبلاد والعباد إلى زماننا هذا، ولذلك كثر حسّاده المتقدمين والمتأخرين، فنسبوا له ما ليس صحيحًا، وتكلموا فيه، مع أن من نظر في كتبه عَلِم علْم اليقين صحة مباني علمه وقوتها، ولكن هذا لا يمنع أن يكون لكل

---

(١) جاء في العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٣٠٢: "قال ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشتغلين بأنواع من اللعب يلتهون بها عما هم فيه كالشطرنج والنرد ونحو ذلك من تضييع الصلوات؛ فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشد الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء، وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير وحضهم على ذلك، حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيراً من الزوايا والربط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أُطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه حتى كان السجن يمتلىء منهم".

إنسان في اجتهاده ما يصيب ويخطئ فيه، وإن كانت اجتهاداته في الجملة اجتهادات قوية عظيمة، أدلتها معها من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكان عالمًا بفنون عصره؛ حتى أن المحدثين كالذهبي رحمه الله قال عنه: (**كل حديث لا يعرفه ابن تيمية، ليس بحديث**)[1].

وكان عارفاً بالمذاهب والفرق، حتى أن بعض أهلها قالوا: (**إنه يعلمها أعظم مما يعلمها أهلها**) – يعني: من إتقانه–، فكان يتصرف فيها ويحكيها ويذكر لوازمها، بحيث لا يخطر على ذهن من كان ملتزمًا بهذه المذاهب ما يلزم منها!

وقد أعطاه الله من الفهم والنظر ولاسيما في علمي التفسير والحديث، فإن هذين العلمين، من أشهر العلوم التي برع فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، وإن كان رحمه الله تعالى لم يترك لنا – فيما نعلم وفيما حُقق – كتابًا متكاملاً في التفسير، ولا كتابًا متكاملاً في الحديث، لكن العلماء جمعوا أمورًا وجدوها في التفسير قد تأتي في خمس مجلدات، أو ست مجلدات أو نحو ذلك، وقد يقولون: (**هذا تفسير ابن تيمية**)، وشيخ الإسلام ابن تيمية لم يفسر القرآن كله فيما نعلم، ولكنه تكلم على آيات استشكلت[2] – صار فيها إشكال عند العلماء – فألف فيها فتحصل من ذلك هذا المجموع الذي جمعه الشيخ ابن قاسم.

والشاهد أننا بين كتاب لإمام من أئمة الإسلام عَظُم شأنه، وجل مقامه، واتسع فكره، فما من فن من فنون العلم، إلا وألف فيه وبيَّن فيه الحق.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٣٩١).
(٢) اسم الكتاب «تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء» وهو مطبوع.

والكتاب الذي بين أيدينا، كما تعلمون، هو العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله.

ابتدأه رحمه الله تعالى بالحمد لله رب العالمين.

وإن كان بعضهم قد يخالف هذا النمط؛ فيكتفي بالبسملة، كما هـو الحـال بالنسـبة للبخاري - رحمه الله تعالى - وعدد من أهل العلم.

وقد جاء في بعض الأحاديث عن النبي - صـلى الله عليـه وسـلم - الأمـر بالبـدء بالحمد، وإن كان في أسانيدها ضعف، ولكن تلقى العلماء معناها بالقبول، فلذلك يحكونه [1].

قال رحمه الله: (**بسم الله الرحمن الرحيم**).

(**والاسم**): ما يدل على المسمى؛ كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ**﴾[الأعراف:١٨٠] فالاسم للمسمى، والباء هنا قالوا: (**للاستعانة**)، وقال بعضهم: (**للابتداء**)، يعني: أبتدئ باسم الله، وقال بعضهم: (**أبتدئ مستعينًا**). وأكثرهم على أن الخبر متأخر عن الحمد، الحمد لله مستعينًا، الحمد لله مبتدئًا، وقالوا: (**لأن ذلك يفيد الحصر**)، فهو أبلغ من أن نقدر فعل: أبتدئ.

(**الله**): اسم للذات الإلهية، دال عليها، ودال على صفة الألوهية، التي هي أخص صفات الرب عز وجل عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة (٣٢٩/١٤) وغيره، والحديث إسناده ضعيف كما أشار الشيخ رحمه الله.

و(الله) أصله: الإله، والمراد به (**المعبود المطاع**)، ومعنى هذا اللفظ، هو معنى لا إله إلا الله.

(**الرحمن**): هذا دال على صفة، ودال على الذات الإلهية، فدل على إثبات صفة الرحمة لله تبارك وتعالى، وهذه الرحمة: هي الرحمة الخاصة بالمؤمنين؛ فهو دال على الرحمة التي يتصف بها الله - سبحانه وتعالى- وهي الرحمة العامة.

(**الرحيم**): أيضا دال على صفة الرحمة، لكنه يدل على الصفة المتعلقة بالمرحوم، فهي من الرحمة الخاصة.

والفرق بين الرحمتين: أن الرحمة العامة يدخل فيها الناس جميعاً وغيرهم من الخلائق، ولا يستثنى منها كافر ولا مؤمن، فكلهم مرحوم بالرحمة العامة، وأما الرحيم الدال على تعلق رحمة الله -سبحانه وتعالى- الخاصة بالمؤمنين، فإنها للمؤمنين خاصة، ويدخل في مسمى الرحمة الخاصة: التسديد، والتوفيق إلى الحق، والفهم له، والعمل به.

وقد قال العلماء بأن البسملة (**من القرآن**)؛ لأنها جزء من آية النمل، وقال بعض أهل العلم: (**إنها آية من الفاتحة أيضاً**)، وقد كتبت بالمصحف، بجميع نسخ القرآن الكريم، فقال بعض أهل العلم: (**إنها آية في الجملة**)، بغض النظر عن كونها من السور، ولا شك أنها بعض آية بالنسبة لسورة النمل.

والمطلوب البدء بها في كل شيء تبركاً باسم الله المعظم، فأنت عندما تأكل تقول: **(بسم الله)**(١)، وعندما تريد أن تدخل بيتك تقول: **(بسم الله)**(٢)، وعندما تريد أن تدخل المسجد تقول: **(بسم الله)**(٣)، وهكذا دواليك، فهي مطلوبة في كل أمر ذي بال، أي: ذي قيمة.

وقد اشتملت هذه البسملة على اسم الله: **(الله)**، و (الرحمن)، و (الرحيم): وهذه الأسماء تدل على الذات الإلهية، زيادةً على الصفة، وأفضلها: الله، ثم بعد ذلك: الرحمن، ثم بعد ذلك: الرحيم، وفضل هذه الأسماء كفضلها في الترتيب.

وقد قدم ربنا جل وعلا في آية البسملة اسم الجلالة (الله) على (الرحمن) وعلى (الرحيم)، وجعل (الرحمن) و (الرحيم) تابعان للفظ الجلالة، ولذلك قيل: **(إن لفظ الجلالة هو أعرف المعارف)** كما أثر ذلك عن سيبويه - رحمه الله-.

والقرآن دوماً ينسب الأسماء الحسنى للفظ الجلالة، ولا ينسب لفظ الجلالة إلى غيره من الأسماء، فجميع الأسماء تابعة له، فهو قائم بالنسبة لها مقام العلم بالنسبة للأوصاف.

---

(١) أخرجاه في الصحيحين من حديث عمر بن أبي سلمة، انظر البخاري (٦٨/٧)، مسلم (٢٠٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٩٦) عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ولج الرجل بيته، فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج، وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله»، وهو مرسل؛ ففي المراسيل لأبي حاتم (٣٢٧): "شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري مرسل".

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٥٣/١)، وهو ضعيف، وقد أخرجه الترمذي بدون لفظ التسمية (٣١٦) وقال بعده: "حديث فاطمة حديث حسن وليس إسناده بمتصل. وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى إنما عاشت فاطمة بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- أشهرا".

قال: (**الحمد لله الذي أرسل**) الألف واللام في الحمد هنا قالوا: (**للاستغراق**) ومعنى الاستغراق: (**جمع جميع المحامد لله - سبحانه وتعالى- في منتهاها وغايتها**)، فمحامده - سبحانه وتعالى- تعتبر أعلى المحامد وأجلها، ومحامد الله - سبحانه وتعالى- كثيرة لاتُحصى عددًا، فلا يحصيها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولا يعلم محامده كاملةً إلا هو جل وعلا.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح: (**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**)[1]. فقول: (**استأثرت به في علم الغيب عندك**) أي أن محامد الله - سبحانه وتعالى- أكثر مما هو موجود بالقرآن، وأكثر مما هو موجود بالسنة بكثير، لا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى-.

والحمد في الأصل هو: الثناء، ولا يُقال إن الثناء هنا عام؛ لأننا نقول إننا مع أننا عرفناه بالثناء؛ فإنما عرفناه بالثناء الخاص الذي يليق بجلال الله -سبحانه وتعالى- وعظمته لا مطلق الثناء.

والحمد هو: (**الثناء على الله بما له من كمال وجمال يليق به**)، ومقتضاه لفظي؛ وإن كان من لازمه الشكر الذي يستلزم النطق باللسان، والاعتقاد بالقلب، والعمل بموجب ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/٢٤٧)، وابن حبان (٣/٢٥٣) وضعفه الدارقطني في علله (٨١٩).

وهذه المحامد لها آثار قلبية على العبد، وهي وجدانيات توجد في القلب، فتوجد الخوف من الله، والخشية منه، والانكسار بين يديه، والخضوع، والخنوع لله رب العالمين، كما أنها لها مقتضيات باللسان؛ بالمدح لله والثناء عليه في كل حال، وفي كل شأن، ولها مقتضيات على الجوارح؛ وهي القيام بما أمر الله -سبحانه وتعالى- به وترك نواهيه.

والحمد يكون بالثناء على الله بصفاته الذاتية، وصفاته الفعلية، أما الصفات الذاتية؛ كسمعه، وبصره، وحياته، وعلمه، ونحو ذلك، وأما الصفات الفعلية؛ فمنها ما هو متعدي، ومنها ما هو لازم، فمن المتعدي: الاستواء والنزول، هذه تعتبر متعديةً لأنها تتعدى بـ (إلى) أو (على)، فينزل سبحانه (إلى) السماء، ويستوي (على) العرش، أما الخلق والرزق فهذه يقولون عنها متعدية، فعلها يعمل في معموله بلا حرف جر، فيسمونها: **(متعدية)**. والشاهد أن الحمد هنا ثناء على الله بصفاته الذاتية، وصفاته الفعلية، وجميع كمالاته جل وعلا.

وقد أضاف المؤلف الحمد إلى الله؛ لأنه هو منتهاه، وهو حقه - سبحانه وتعالى-، لا فضل للعباد إذا أثنوا عليه فيه إلا ما يعطيهم من ثوابه - سبحانه وتعالى- على حمده، وإلا فهو مستحق الحمد حتى ولو لم يخلق خلقًا، ولم يرزق أحدًا؛ لأن الجمال والكمال الذي به الثناء هذا هو صفته وحاله سواءوُجد الخلق، أو لم يُوجدوا.

وحمده - سبحانه وتعالى- ليس مترتبًا على وجودنا، ولا على خلقنا، ولا على عبادتنا، وإنما مجرد وجوده بأوصاف كماله، وجلاله يوجب الحمد له - سبحانه وتعالى-.

ومن موجبات حمده، أنه أرسل الرسل، لأنه لو لم يرسل الرسل، لضاع الناس في مهاوي الضلالة والشرك، والكفر وسوء الخلق، وغيرها من الأمور المترتبة على عدم إرسال الرسل.

والإرسال في اللغة العربية هو: (**البعث والتحريك**).

وشرعًا الإرسال هو: (**بعث الله -سبحانه وتعالى- من اصطفاه من عباده ليبلغ أمر دينه**).

والرسول هو (**إنسان**)، فلا رسل من الجن، (**ذكر**)، فلا يكونون من الإناث، وهو - أي الرسول - (**حي**) ليس بميت، (**خال مما يُنفر منه طبعًا**)، فإن الرسل لا يتصفون بما يُنفر الناس منهم، وإن كانوا قد يمرضون، لكن هذه الأمراض لا تصل إلى درجة التنفير منهم، (**أُمر بشرع**)، (**وأُمر بتبليغه**).

إذًا الرسول هو: (**إنسان، ذكر، حر، ليس عبداً، حي، خال مما تنفر منه الطباع، أمر بالشرع وأمر بالتبليغ**).

والرسول بخلاف النبي الذي معناه مأخوذ من (**النباء**)، أو (**الإنباء**)، والنباء هو: العلو والارتفاع، وهو مأخوذ من الخبر؛ لأنهم يخبرون عن الله فيما أمرهم.

فالنبي: (**إنسان، ذكر، حي، حر، خال مما ينفر منه طبعًا، أُمر بشرع، ولم يؤمر بتبليغه**).

فالرسل غالبًا يأتون بشرائع جديدة، ومنهم من يكون تابعًا لشريعة غيره، أما الأنبياء فهم كالمصلحين والعلماء، يجددون أمر الشرائع التي قبلهم، وقد يوحى إليهم وحي جزئي، لكن ليس في كل الأمور وفي كل الشؤون، يأمرون الناس بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، وأما الرسول فيأتي في الغالب بشريعة جديدة، ويكون الوحي عنده مستمرًا، ويكون معه كتاب ينزله الله -سبحانه وتعالى- عليه.

وقوله: (**رسوله**)، الهاء هنا راجعة إلى الله - سبحانه وتعالى-، يعني: (**رسول الله**)، والمقصود هنا بالرسول- لا مطلق الرسول - المقصود به رسول معين، بل هو نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي أرسله الله بشريعة الإسلام.

وهذه الشريعة قد اشتملت على أمرين:

الأمر الأول: الهدى، والمقصود به العلم النافع.

والأمر الثاني: دين الحق، والمقصود به العمل الصالح.

وكلاهما مرتبطان ببعضهما، فلا يوجد عمل بلا علم شرعي، ولا فائدة من العلم الشرعي بلا عمل، لأن مقصوده وثمرته هو العمل ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥] إذًا لابد أن يرتكز العمل على العلم بالله ودينه وشريعته، ولذلك فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله - قدم العلم في

الأصول الثلاثة، على باقي الأصول حيث قال: (**اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل، الأولى: العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة**) ثم قال: (**الثانية: العمل به**)(1).

فإذًا دين الله الذي أرسل به رسوله يشتمل على اثنين:

العلم النافع: ليس أي علم؛ لأن العلوم تنقسم إلى قسمين: علم نافع محض خالص لا ضرر فيه البتة، هذا هو العلم الذي جاءت به الرسل.

وهناك علوم أخرى نافعة لكن لا تخلو من مضرة، فهذه تحتاج إلى العلم الشرعي ليرشدها، ويبين الحق من الباطل فيها، ويسوس الحياة لئلا ينحرف الناس بها، فهذه هي العلوم الدنيوية، وهي كثيرة، إلا أن كثيرًا منها قد استُعمل في السوء، ولو استُعمل بعضها في الخير، لانتفعت البشرية بها، إلا أنه لا يستعمل الجانب الصالح فيها، إلا ما رحم الله.

ثم إن المؤلف -رحمه الله تعالى- قال ذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣٣] هذا جزء من آية، واللام لام التعليل وبيان الحكمة، لماذا أرسل الله رسوله بالهدى، ودين الحق؟

الجواب: ليظهره على الدين كله.

(١) ثلاثة الأصول، ص١.

قال: (**باهلدى ودين الحق**) والدين في اللغة العربية: الذل والخضوع تقول: (**دان**)، دان لي أي: ذل وخضع.

أما شرعًا: فهو وضع إلهي لسياسة الدنيا والآخرة، والمقصود بالوضع الإلهي، أن الشرع هو شرع الله –سبحانه وتعالى– كما في قوله تعالى ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧] يعني: ما الحكم إلا لله، فلا حكم إلا لله – سبحانه وتعالى–، هو الذي يحكم، وما كان من الأمور الاجتهادية فإن العالم يطلب من خلال الدليل حكم الله، وإن كان يقول هذا اجتهادي؛ لأنه من الممكن أن يصيب أو يخطئ، قال صلى الله عليه وسلم: «**إن اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد**»[1].

قوله: (**ليظهره على الدين كله**) الألف واللام هنا للاستغراق، أي ليظهره على جميع الأديان، سواء كانت أديانًا محرفة، أو أديانًا حُرفت، كما هو الحال في تحريف اليهود لكتابهم التوراة، والنصارى في تحريفهم الإنجيل، ولا يقال إن دعوى التحريف منقوضة بتواترهم وكثرتهم؛ لأن هذا التواتر عندهم غير متصل، فبينهم من الانقطاع في سند التوراة والإنجيل ما بين خمسمائة إلى ستمائة سنة! ولما غزا بختنصر بيت المقدس، جلسوا قرابة خمسمائة سنة لا يعرفون عن التوراة شيئًا، ولا يعرفون عن الإنجيل شيئًا.

---

(١) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، البخاري (٩/١٠٨)، مسلم (١٧١٦).

قال: (**وكفى بالله شهيداً**) فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي شهد لرسوله صلى الله عليه وسلم، أنه أرسله بالحق، ليظهره على الدين كله، كما في الآية المتقدمة ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[التوبة:٣٣] والله -سبحانه وتعالى- يكفي شهيداً للنبي صلى الله عليه وسلم ولدينه، ولا يحتاج الرسول -صلى الله عليه وسلم- لشهادة أحد بعد شهادة الله، فهي أعظم الشهادات، و(**شهيد**) هنا أبلغ من شاهد؛ لأن الشهيد مستلزم للرؤية، ومستلزم للإحاطة بها، أما الشاهد فقد يرى، لكنه لا يحيط بالشيء، وقد يكون قصراً بعلمه بالمشهود، أما الشهيد فهو يدل على الكمال في الجهتين، جهة كمال العلم وجهة كمال الرؤية.

وتعدي (كفى) بالباء إلى لفظ الجلالة فيها مزيد معنى، وهو: إذا كان الله - سبحانه وتعالى- هو الذي كفى فلا حاجة لشهادة غيره، فإن شهادته تكفي عن شهادة غيره، فليس النبي صلى الله عليه وسلم محتاج لشهادة أحد من الخلق بعد هذه الشهادة.

ثم بعد أن أثنى المؤلف على الرب -سبحانه وتعالى- بما هو أهله على وجه الإجمال في قوله: (**الحمد لله**)، وفصل بعد ذلك بإرسال الرسول بالهدى، ودين الحق، وشهادته -سبحانه وتعالى- بأن هذا الدين حق، وأن هذا الرسول حق، ثم أراد المؤلف - رحمه الله تعالى - أن يحقق التوحيد فجاء بكلمة التوحيد، وعنوان

التوحيد، التي هي شهادة الحق، فقال: (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارًا به وتوحيدًا).

قال: (وأشهدُ)، بعد قوله: (وكفى بالله شهيدًا)، فشهادة الله بـأن ذلك حق قد استقرت، فبقيت شهادة المخلوق التي يجب عليه أن يشهد بهذا الحق، لا كما يقوله الصوفية، أو بعضهم بأن النطق بالشهادة كفر! وأن من نطق بالشهادة لم يوحد الله! بل كفر به! كما قال بعضهم:

ما وحَّد الواحد من واحدٍ

إذ كل من وحّده جاحدٌ

كل من قال: لا إله إلا الله؛ هذا جاحد بألوهية الله عندهم، لأنهم من غبائهم نزّلوا أنفسهم منزلة الله! فرأوا أن نُطقهم يستلزم إثبات ذاتهم أمام ذات الله، وبالتالي يكون هناك اثنينية في الوجود، أو ثنائية في الوجود، فلا يكون هناك توحيد، أما المؤمنون فقد تعبدوا الله -سبحانه وتعالى- بالنطق بهذه الشهادة والعمل بموجبها.

قوله: (أشهد) كلمة: الشهادة، والقضاء، والبيان، والإعلام، والإلزام، والإخبار، كل هذه من معاني الشهادة في اللغة، فكل من شهد فقد حكم، وقد أخبر، وقد أعلم، وقد ألزم، وبين ووضّح لكل أحد أنه يعبد الله، فصار لهذه الشهادة ركن علمي لابد أن يعلم معناه؛ لأنه لا يكون شاهداً، إلا إذا كان يعلم ما يشهد به.

الأمر الثاني: أن ينطق بها.

الأمر الثالث: أن يعمل بها.

الأمر الرابع: أن يلزم غيره بموجبها.

الأمر الخامس: أن يدعو إليها، ويعلم الناس معناها.

وهذه الأمور مثلها مثل المسائل الأربع، التي يجب على كل مسلم أن يتعلمها.

✍ العلم: وهو معرفة الله، ومعرفة رسوله، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

✍ والعمل: الثمرة.

✍ والدعوة إليه.

✍ والصبر على الأذى فيه.

ولا يكفي في الشهادة أن يشهد بقلبه، لابد أن يُشهره بلسانه، فيخبر، ويبين، ويوضح، ويتكلم، **(إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)**.

وهذه الشهادة متضمنة لأمرين:

✍ الأمر الأول: الإقرار لله بالإلوهية.

✍ الأمر الثاني: الإقرار لرسوله صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة، ولذلك تعتبر كلمة **(أن لا إله إلا الله)** هي المشهود به، ومرتكزها هو لفظ الإله، ومعناها: المعبود المطاع، فلابد للإله أن يعبد ويطاع، وتؤدى له جميع العبادات، وفي نفس الوقت تحكم شريعته في الحياة.

(**لا**): يقولون: نافية للجنس، فهي تعمل عمل إنّ، فتنصب المبتدأ، وترفع الخبر.

و(**إله**) اسمها، والخبر محذوف تقديره (**حقٌ**)، (**إلا الله**).

وقال بعضهم: (**لفظ الجلالة متعلق بكلمة حق**)، وهو الذي عمل به؛ لأن حق: مصدر، والمصدر يعمل فيما بعده، لكن الشاهد أن الخبر: كلمة: (**حق**)، لا إله حقٌ إلا الله، والمعنى: (**لا معبود مطاع حق إلا الله**).

وبذلك تبطل عبادة جميع المعبودات الموجودة بالدنيا. وللأسف ضل كثير من المسلمين في تصور شهادة أن لا إله إلا الله، ومعناها، وكان للفهم الخاطئ لمعنى كلمة التوحيد نتائج كثيرة وعظيمة في الاعتقاد، وقعوا فيها، فمنهم من فهم أن معنى (**لا إله إلا الله**): لا خالق، لا رازق، لا محيي، لا مميت، إلا الله فقط، وجوّزوا عبادة القبور، والطواف حولها، والطلب من المقبورين، والاستغاثة بالبشر والملائكة وغيرهم، فإذا قلت له: (**هذا شرك بالله**)، قال: (**لا، أنا أقول: لا خالق، لا رازق إلا الله**) لكنه لم يصرف العبادة لله وحده - سبحانه وتعالى -، ولا يجوز أن تصرف العبادات إلا له، فمن فهم أن معنى (**لا إله إلا الله**): لا خالق، لا رازق، لا محيي إلا الله، فهذا مخطئ، وكذلك من فَهِم أن معنى (**لا إله إلا الله**): لا موجود إلا الله، فهو مخطئ؛ لأن هذا هو اعتقاد الصوفية الذين ما فهموا معنى (**لا معبود إلا الله**).

وكذلك الحال بالنسبة للأشعرية، وغيرهم، ما فهموا إلا: القدرة على الاختراع، الإله عندهم هو: القادر على الاختراع، ليس هو المعبود المطاع، فلذلك جوّزوا شرك المشركين، بل بعضهم وقع فيه، وصار من سدنته، رغم أنهم يقال لهم من علماء الإسلام!

الشاهد في هذا: أن معنى (**لا إله إلا الله**) أنه لا معبود حق مطاع إلا الله، هذا معنى (**لا إله إلا الله**) الصحيح، أما قولهم: لا خالق، لا رازق إلا الله، فهذا ليس معناها، وإن كان يجب إثباته، إلا أنه قاصر، وكذلك من قال: القدرة على الاختراع، هذا قاصر ليس بصحيح، وكذلك منسفرّ ه بأنه: لا موجود، هذا كذب؛ لأن الموجودات كثيرة، ووجودها كله وجود حقيقي، ليس خيالي، وكذلك من قال: معنى (**لا إله إلا الله**): لا حاكم إلا الله، وإن كان من معنى لا إله إلا الله، وجوب الحكم بما أنزل الله، إلا أن هذا ليس معنى لا إله إلا الله؛ لأن هذا يلزم منه أن الإنسان إذا حكم بموجب الشريعة وأشرك بالله - سبحانه تعالى- يعتبر مسلماً، وهذا ليس بصحيح، بل لابد من إثبات هذا الحق، وهو بأن العبادة لله، والطاعة لله، أما صرف الطاعة لله والعبادة لغير الله فهذا لا يستقيم ولا يصح.

وقول المؤلف - رحمه الله تعالى-: (**وحده لا شريك له**)، هو في الحقيقة تأكيد لما سبق؛ لأن (**لا إله إلا الله**) دالة على معناها، ومبرزةٌ له، إلا أنه أراد مزيدًا من التحقيق، فقال: (**وحده لا شريك له**)، فجمع في قوله (**وحده لا شريك له**) بين ركني الشهادة، وهما: النفي والإثبات، كأن كلمة (**لا إله إلا الله**) جمعت النفي والإثبات، وكلمة (**وحده لا شريك له**) أيضًا جمعت النفي والإثبات، فهو تقرير لمعنى (**لا إله إلا الله**)، لأن معنى (**وحده**): لا يُعبد ولا يُطاع إلا الله، ومعنى (**لا شريك له**): هو تقرير أيضًا للوحدانية، ونفيٌ لجميع الشركاء بجميع أنواعهم وأشكالهم، سواء كانوا شركاء في العبادة أو شركاء في الطاعة، أو في غيرها.

وهذه الشهادة نافيةٌ لضدها، وهو الشرك بالله - سبحانه وتعالى-، وكما أخطأ كثير من الناس في معنى كلمة الشهادة، أخطأوا في معنى الشرك تبعًا لذلك. فظنوا أن المشرك، هو من ينكر وجود الله! وهذا و إن كان كفرًا، إلا أنه لا يسمى شركًا، لأن من الناس من يثبت الوحدانية لله - سبحانه وتعالى-، ومع ذلك يقع في الشرك.

قول المصنف: (**لا شريك له**) هذا مزيدٌ من التقرير والتحقيق، بمعنى: الوحدانية، وأن معنى الوحدانية: أنه لا شريك له في العبادة والطاعة، وليس المقصود بالوحدانية هو كونه مختص بالصفات مثلاً ، أو بمجرد الخلق والإيجاد، لا، بل إن المقصود هو الإلوهية ذاتها، وإن كان ما يتعلق بالخلق والإيجاد، والأسماء، والصفات، داخلٌ فيها كالأجزاء منها، وفي ذلك يكون الشيخ - رحمه الله تعالى - قد قرر لنا أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الألوهية الجامع لمعاني الربوبية، و الأسماء والصفات، وهذا أعظم أنواع التوحيد وأجلها، وتوحيد الإلوهية هو: التوحيد الذي جاءت الرسل بالدعوة إليه، ونبذ ضده - الذي هو الشرك بالله — سبحانه وتعالى -، وليس الشرك هنا بمعنى: (**عدم الاعتراف بالخلق والإيجاد**)، لا، أو عدم الاعتراف بالأسماء والصفات، لا، بل الشرك هنا هو: عدم الاعتراف بألوهية الله، والإيمان بها، ولذلك لم يؤُثر عن المشركين، أنهم خالفوا النبي - صلى الله عليه - وسلم في باب الربوبية، ولا في باب الأسماء والصفات، وإنما خالفوه في باب الألوهية خاصة، والرسول ﷺ قاتلهم على ذلك، وإقرارهم بالربوبية كما في قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[العنكبوت:٦١] وهم مقرون أيضًا بالأسماء والصفات، والذي أنكر اسم الرحمن إنما أنكره عنادًا للنبي – صلى الله عليه وسلم –، فقالوا: **(لا نعرف رحمانًا إلا رحمان اليمامة)**، والحقيقة أن الشعر العربي ورد فيه اسم الرحمن، **(وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق)**(1) فجاء الرحمن في شعر العرب، فالرحمن كان معروفًا عندهم، لكن من أنكره منهم أنكره عنادًا، وكذا الحال في الألوهية، هم يعرفونها ويدركونها ويفهمونها، لكنهم ما تبعوا النبي – صلى الله عليه وسلم– تعاليًا وحسدًا وعلوًا في الأرض، كما قال تعالى ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤] فلم يكونوا في الحقيقة غير عارفين بتوحيد الألوهية، بل كانوا يعرفونه ويفهمونه، ولذا قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – لهم: **(أعطوني كلمة تدين لكم بها العجم وتملكون بها العرب قولوا: لا إله إلا الله)**. فقال كبراؤهم: **(ألهذا دعوتنا؟!)** وقال أبو لهب: **(تبًا لك ألهذا دعوتنا؟!)**، فنزلت الآية ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] فالشاهد في هذا أن العرب كانوا يعرفون التوحيد ويدركونه، ولذلك هم أفهم للتوحيد من بعض مشركي الزمان، ومن بعض من يدعي أنه مسلم، لكنه لا يعرف الشرك والتوحيد، فأنكروه مع معرفتهم له ظلمًا وعلوًا، طلبًا للظلم على العباد، والعلو في الأرض، يريدون المكانة، و

---

(١) البيت للشاعر سلامة بن جندل السعدي وهو في ديوانه، والبيت بتمامه:
عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا عَجْلَتَيْنَا عَلَيْكُمُ وَمَا يَشَأ الرحْمَنُ يَعْقِدْ وَيُطْلِقِ
وأنشد الشاعر الجاهلي أيضًا يقول:
أَلا ضربَتْ تلكَ الفتاةُ هَجِينَهَا أَلا قَضَبَ الرحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا
انظر تفسير الإمام الطبري (١/١٣١).

يريدون المنزلة، ولذلك قال أبو لهب[1]: **(تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه)**[2].

فالعلو في الأرض، والرغبة في الظلم والسيادة على الناس هي سبب جحدهم للتوحيد؛ لأن الإنسان إذا عرف إلهه ومعبوده لا يخضع إلا لله، ولا يخضع إلا إلى شرع الله – سبحانه وتعالى-، ولا يخضع إلى أحد سواه -سبحانه وتعالى -.

قال:(**إقرارًا به وتوحيدًا**)، الإقرار هو الجزم بما يشهد به.

وقوله: (**وتوحيدًا**) أي: وإفرادًا لله – سبحانه تعالى – بما دلّت عليه هذه الشهادة من معنى العبودية والطاعة، وقول المصنف رحمه الله: إقرارًا به وتوحيدًا، هو في الحقيقة تحقيق لمعنى شهادة أن لا إله إلا الله، ومزيدًا في اليقين بها، والجزم بمدلولها.

قال: (**وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**).

قوله: (**أشهد أن محمدًا**) محمدًا اسم النبي – صلى الله عليه وسلم -، وذلك لأنه محمودٌ في أخلاقه عليه الصلاة والسلام، وسيرته، كما أنه يقف موقفًا يحمده فيه

---

(١) قاله الشيخ في أصل المادة الصوتية، والصواب أنه: (أبو جهل) كما جاء عند البيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٠٦).

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/٣١٥، ٣١٦.

الخلائق جميعًا، ولذلك كان اسمه محمدًا، وقد جمع الله -سبحانه وتعالى - لنبيه محمدًا - صلى الله عليه وسلم - معنيان شريفان:

المعنى الأول: معنى العبودية، ولا شك أن هذا المعنى هو من أشرف المقامات عند الله -سبحانه وتعالى- و(**عبده**) يعني: الذي يذل له، ويخضع بالقيام بكمال عبودية الله - سبحانه وتعالى-، وهذا الوصف وإن كان ينطبق على غير النبي - صلى الله عليه وسلم-، إلا أنه في هذا الموضع أريد به التشريف والتكريم، وذلك بإضافته إلى الضمير الراجع إلى الله -سبحانه وتعالى-، فقال: (**عبده**) تشريفًا وتكريماً للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وبيانًا لرفعة منزله، ومقامه عليه الصلاة والسلام.

قوله: (**ورسوله**) هذا هو الوصف الثاني؛ وهو أشرف من الوصف الأول، وذلك لأن الرسول متضمِّن للعبودية وزيادة، فهو عبدٌ قد أرسله الله، والاختيار للنبي صلى الله عليه وسلم دونما سواه من خلق الله، وهذا فيه ردٌّ على بعض الصوفية، الذين جعلوا العبادة أفضل من الرسالة، وبنوا عليها دعوى أن الولاية أفضل من الرسالة، كما ادعاه (ابن عربي الحاتمي الطائي) الحلولي الاتحادي، وهو غير (ابن العربي الإمام المالكي) - رحمه الله -.

قوله (صلى الله عليه) الصلاة من الله –سبحانه وتعالى– بالنسبة لنبيه هي: المنزلة العالية في الجنة، كما قال أبو العالية الرياحي فيما رواه البخاري[1]، ومن الملائكة: أن يدعوا الله – سبحانه وتعالى – للنبي صلى الله عليه وسلم.

ويجدر بنا هنا أن نبين أن الدعاء للنبي – صلى الله عليه وسلم – أو تثويب الأعمال له، وما أشبه ذلك هذا كله من البدع، وذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم– يثاب عن كل عمل نعمله، وكل فعل نفعله؛ لأنه سببه عليه الصلاة والسلام، فهو لا يحتاج لمثل هذه الأدعية، بل يلتزم الإنسان بما ثبت عن النبي – صلى الله علية وسلم –، بأن يدعى له بالوسيلة والفضيلة كما جاء في الحديث[2]، وهي المقام المحمود الذي يشهره الله –سبحانه وتعالى – له يوم القيامة، بيانًا لفضله على سائر الناس.

قوله: (وعلى آله): آلُ النبي – صلى الله عليه وسلم –يدخلُ فيه ما يُسمى عُرفًا أهل البيت، ويدخل فيه أيضًا، أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم –، لأنهن هن آله، فآل النبي – صلى الله عليه وسلم – يدخل فيه أهل بيته المعينين، ويدخل فيه أيضًا من كان من أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم، وآل النبي – صلى الله عليه

(١) قاله الشيخ في المادة الصوتية، وأما ما ورد في صحيح البخاري عن أبي العالية فمختلف عما أورده الشيخ فقد روى البخاري عنه أنه قال: (صَلاَةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلاَئِكَةِ، وَصَلاَةُ المَلاَئِكَةِ الدُّعَاءُ)، انظر صحيح البخاري (٦/١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد الله ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»

وسلم – جاءت الأحاديث في تعظيم شأنهم، واحترام مقامهم[(١)] لعلو نسبه –صلى الله عليه وسلم–، لكن هذا إذا كانوا على دين الإسلام والالتزام به، وإلا فدونك أبو لهب، من أعمام النبي – صلى الله عليه وسلم –، ومع ذلك جاءت الآية: **(تبت يدا أبي لهب)**.

فالمقصود بآل البيت هنا: من كانوا من أهل الإيمان، والإسلام، وقاموا بشريعة الإسلام، كما قام بها نبيهم محمد – صلى الله عليه وسلم.

قوله: (وصحبه) الصحابي: **(هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به ومات على ذلك، حتى لو قُدر أنه ارتد ثم رجع ومات على الإسلام)**[(٢)] فإنه في هذه الحالة يسمى صحابيًا، لأن الصحبة تعني العدالة، لكن لا تعني العصمة، فنحن وإن أحببنا أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– لكننا لا ندّعي العصمة فيهم، بل هم بشر ممن خلق، كما أننا لا ندعي عليهم ذنبًا فعلوه بغير دليل شرعي، وقد أجمع أهل العلم على عدالة أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جميعًا، حتى من رُمي زانيًا كمثل ماعز[(٣)] وغيره.

---

(١) منها ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». رواه مسلم (٢٤٠٨)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

(٢) نخبة الفكر، ص٥٧.

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس (٦٨٢٤)، ومسلم من حديث جابر بن سمرة قال: (رأيت ماعز بن مالك حين جيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل قصير، أعضل، ليس عليه رداء، فشهد على نفسه أربع مرات أنه زنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلعلك؟ » قال: لا، والله إنه قد زنى الأخر، قال: فرجمه) (١٣١٩/٣).

كل هؤلاء عدول، وحتى تلك الغامدية التي قال النبي - صلى الله عليه وسلم- عنها لو قُسمت توبتها على أهل المدينة لكفتهم[1]، أو: تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر الله له[2].

فكل هؤلاء صحابة لا يجوز سبُّهم، ولا شتمهم، ولا النقيصة منهم، بل لا يجوز إلا الترضِّي عنهم.

وجمع هنا بين الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- وبين السلام، وأفرد ما الصلاة على الـ (**آل**) والسلام، وكذلك على الصحابة جمع بين الصلاة والسلام، وهذا إذا كانوا مجموعين مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، أما إذا كانوا وحدهم فنقول: (**رضي الله عنهم**).

ولم يكن من عادة السلف أنهم يصلون على الصحابي لوحده، فيقولون مثلاً: (**أبو هريرة رضي الله عنه**)، لا يقولون: أبو هريرة صلى الله عليه وسلم.

ولا ينبغي للمؤمن إذا كتب أن يكتب: (**صلعم**) أو (**ص**)؛ لأن هذا يُذهب أجره، وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قال (**رغم أنف امرئ ذُكرت عنده فلم يصل علي**)[1].

---

(١) هذه الكلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم ردا على عمر لما قال للنبي تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال: «لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟ »، مسلم (١٣٢٤/٣)، وهذه الرواية كانت في امرأة من جهينة، وهي غير الغامدية والله أعلم، انظر الهامش التالي.

(٢) هذه الكلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في الرد على خالد بن الوليد رضي الله عنه لما سب الغامدية بعدما تنضح الدم على وجهه: فقال صلى الله عليه وسلم: «مهلا يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له» رواه مسلم (١٣٢٣/٣).

فإذا ذُكر النبي - صلى الله عليه وسلم - يحرص الإنسان على أن يصلي عليه.

قال المصنف رحمه الله: (صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسلياً مزيدًا) هذا تأكيد السلام، يعني: سلامًا كثيرًا غير محدود بعدد.

وقوله: (مزيدًا)، يعني: كلما سلمت عليه فكرر السلام، فكأن السلام الذي سلمه متكررًا إلى يوم القيامة، فإذا قلت أنا: (**صلى الله عليه وسلم تسليماً مزيداً**) أي: مستمرًا إلى يوم القيامة.

قول المؤلف: (أما بعد): هذه كلمة اعتادت العرب أن تأتي بها إذا أرادت أن تنتقل من كلام إلى كلام، ومعناها كما يقول سيبويه: (**مهما يكن من شيء بعد**)، يعني مهما قلت من الكلام فإني سأقول شيئًا بعده، والإتيان بها سنة؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يأتي بها[٢]، ولم يزل خطباء الأمة على هذا، وقيل أن أول من نطق بها هو: (**سحبان بن وائل**)، وقيل: (**داود -عليه السلام-**)، ولا يهمنا كثيرًا أول من نطق بها، لكن الذي يهمنا أنها جاءت في خطب النبي - صلى الله عليه

---

(١) رواه الترمذي في سننه برقم (٣٥٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي) والحديث قال عنه الشيخ الألباني: (حسن صحيح).

(٢) بوب الإمام البخاري في صحيحه باب (باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد) ثم أورد عدة أحاديث منها حديث الكسوف الطويل الذي روته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها قالت: (فخطب الناس، وحمد الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد») (١٠/٢)

وسلم-، وجاءت في خطب الصحابة [1]- رضوان الله عليهم-، ولم يزل الناس على هذا إلى يومنا هذا.

قوله: (**فـ**) هذا استئناف، بمعنى أنه سيأتي بكلام جديد، غير الكلام المتقدم، وهذا إشارة لما في ذهنه عندما أراد أن يكتب، إن كان كتب المقدمة في البداية، وإن كان كتبها في النهاية، فهي إشارة لما كتبه، يعني فهذا المكتوب، أو الموجود الحاضر في الذهن.

قال المصنف رحمه الله: (**اعتقاد**)، و(**الاعتقاد**) هو ما جزم به الإنسان، في قلبه، سواءً كان حقًا، أو باطلا، والمقصود به هنا الاعتقاد الحق.

قوله: (**الفرقة الناجية**) سماها فرقة بالنسبة لغيرها من الفرق، التي شقّت في داخل الإسلام، أو خارجه، يدل على ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم: (**سيختلف أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**) [2]، سميت فرقة بالنسبة لمجموع الفرق، وإلا فهي في الحقيقة ممثلة للإسلام في أصالته وصحّته، الذي جاء

---

(١) قالها أبو بكر رضي الله عنه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم أثناء فتنة الناس بموته، والحديث رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فتشهد أبو بكر رضي الله عنه، فمال إليه الناس، وتركوا عمر، فقال: « أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت».

(٢) أبو داود (٤٥٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو صحيح، وقد أفرد بعضهم الكلام عليه في مصنف خاص، مثل كتاب: (فك الرقبة بتواتر حديث الثلاث والسبعين فرقة) لأحمد الغماري، وكتاب: (أضواء حول حديث الافتراق) لعبد الله الجديع.

به النبي - صلى الله عليه وسلّم -. قالوا: **(من هي يا رسول الله)** قال: **(ما كنت عليه أنا وأصحابي)**[(١)]

قوله: (الناجية) يعني: **(من الخلود في النار)**، وإن كان بعضها قد يعمل بعض المعاصي، ويكون مآله إلى الجنة، فإذًا المنفي هنا هو الخلود في النار، ولا يمنع هذا أن بعضهم يُعذّب لمخالفات حصلت عنده، لكن مآله إلى الجنة، وكذا قوله في الفرق: **(كلها في النار)**، هذا حكم عام على جملة الفرق الأخرى، لكنه ليس حكماً على المعين، فقد يكون بعض هؤلاء المبتدعة، عنده من الحرص على السنة والرغبة فيها، والدفاع عنها، وعن القرآن، لكنه غلط، وانحرف في اعتقاده هذا، وحرصه هذا يثيبه الله -سبحانه وتعالى- عليه، وقد لا يدخل النار، يعفو الله -سبحانه وتعالى- عنه، لاسيما إذا كانت بدعته ليست مكفرة، هذا كلامنا كله بالنسبة للفرق الإسلامية بالأصالة، إذا قلنا: (ستفترق أمتي)، فالمقصود بها أمة الدعوة، أمة المسلمين، فإن المسلمين منقسمين إلى: (فرقة ناجية وغير ناجية).

✍ الفرقة الناجية: الأصل فيها أنها للجنة، والفرق غير الناجية، الأصل فيها أنها للنار، لكن لا يمنع هذا دخول بعض الأعيان من الفرقة الناجية النار بسبب بعض الذنوب، ثم يمحصون ويكونون في الجنة، أو يعفو الله عنهم مع استحقاقهم لبعض العذاب، لذلك لا يمنع من هذا أن يعفو الله عن بعض الناس من هذه الفرق من المعينين، أو أن يعذّبهم أمداً ثم يدخلهم الجنة، وعلى هذا

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بلفظ: (ما أنا عليه وأصحابي) وهذه الزيادة مختلف في ثبوتها وقد حسنها الشيخ الألباني رحمه الله.

فالفرق هذه ليست خالدة في النار، وإنما قلنا في الفرقة الناجية كلها في النار إلا واحدة، يعني أنها لا تخلد في النار بإخراج المعينين؛ لأن الحكم على المعين غير الحكم على الفرقة من حيث جملتها، فمن حيث الجملة: الفرقة الناجية من أهل الجنة، والفرق غير الناجية من أهل النار، هذا هو الأصل، لكن لا يمنع هذا أن يعذب بعض هؤلاء، أو ينجو بعض هؤلاء.

قوله: (المنصورة) هذه صفة ثانية للفرقة الناجية، وهو أن الله ينصرها في كل زمان وفي كل مكان، ينصرها بعلمها بالحق ونشرها له، فينتشر الحق الذي عندها رغم ضعف الوسائل عندهم، وقوة الوسائل عند غيرهم؛ لأن الحق عليه نور، وهو موافق للفطرة، فإذا عُرض على من كانت في فطرته بعض السلامة تلقاه بالقبول وعلم أنه حق، وأخذه والتزم به.

وقوله: (منصورة) بالجهاد في سبيل الله، بأن يقويها – الله سبحانه وتعالى- فتجاهد وتنتصر على الكفر وأهله في عموم الأرض، كما حصل لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولهذه الأمة عندما بلغ ملكها مشارف الصين شرقًا ومشارف أوربا غرباً، وهذه الصفات كلها وردت في الأحاديث الصحيحة، كما في قول النبي صلى الله علية وسلم **(لا تقوم الساعة إلا وهم على أمر الله ظاهرين)**[1] كما جاء في الحديث.

---

(١) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَامَ مُعَاوِيَةُ، خَطِيبًا فَقَالَ: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ» والحديث رواه ابن ماجة في سننه (٩) والحديث صححه الألباني رحمه الله.

وفي حديث آخر جاء الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنهم منصورون[1]. والنصر يكون إما بالعلم ونشره، وإما يكون بقتالهم للكفار في المعارك.

قال: (**إلى قيام الساعة**) هذا النصر يكون إلى قيام الساعة بالجملة، قد يضعفون في بعض الأحيان، وقد يقوون في بعض الأحيان.

وتكون الحرب بينهم وبين أعدائهم دولاً ، لكنه في النهاية النصر لهم ولابد.

إذًا الاسم الأول هو الفرقة الناجية، والاسم الثاني المنصورة.

قال المصنف رحمه الله: (**أهل السنة والجماعة**) والاسم الثالث أهل السنة والجماعة، والمراد هنا بالسنة: العقيدة الصحيحة التي كان عليها أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

والمراد بالجماعة: هو اجتماعهم على العقيدة، واجتماعهم على أئمتهم المسلمين، فيكون معنى أهل السنة والجماعة عندئذٍ: هم الذين كانوا على ما عليه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، من العقيدة الصحيحة، المؤتمين بأئمتهم من خلفاء المسلمين وحكامهم، هذا معنى أهل السنة والجماعة، وإنما سموا بهذا الاسم لأن لهم نصيب كبير من نصر السنة، ولذلك سميت كتب كثيرة في العقيدة باسم: (السنة)، ومن هؤلاء الأئمة: إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، وسمى رسالة له: (**أصول السنة**)، والبغوي له: (**شرح السنة**)، والطبري له: (**صريح السنة**)،

---

(١) البخاري (٤/٢٠٧)، مسلم (١٧٠).

وابن أبي عاصم له كتاب اسمه: (**السنة**)، ولابن أبي زمنين: (**أصول السنة**)، إلى غير ذلك من التسميات، كلهم سموها بـ: (السنة)، ويقصدون بها: (**العقيدة الصحيحة**)، وكذلك لهم نصيب من الجماعة؛ لأنهم مجتمعون على الحق، خلف أئمة الهدى، من خلفاء المسلمين وحكامهم، ثم بعد هذا الإجمال، جاء تفصيل لاعتقاد أهل السنة.

قال المصنف رحمه الله: (**الإيمان**): والإيمان هو: التصديق المصحوب بالإذعان، والانكسار، والخضوع، لا مجرد تصديق، ويقولون أنه: إفعال، من الأمن، فالاسم منه في الأصل إئمان ثم بعد ذلك انقلبت إحدى الهمزتين ياء، وسهلت الأخرى فصارت: (**إيمان**).

والإيمان في اللغة يأخذ معنيين:

☜ معنى التصديق المصحوب بالإذعان والخضوع.

☜ ومعنى الوثوق.

لأن من صدّقته؛ وثقت بكلامه فسلّمت به.

وأما شرعًا: فأفضل ما عُرّف به الإيمان فيما يظهر: هو أن: (**الإيمان قول وعمل، قول اللسان والقلب، وعمل اللسان والقلب والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو قابل للزيادة والنقص**)، فتزيده أنواع العبوديات المختلفة، من ذكر

لله وتسبيح وتحميد، ومن صلاة وصيام وحج، ومن محبة لله وخشية، وخوف منه وتوكل عليه ونحو ذلك.

والإيمان له ستة أركان:

✍ الركن الأول منها: ذكره المؤلف - رحمه الله - بقوله **(الإيمان بالله)**، ويقال إن هذه هي أقسام الإيمان، باعتبار ما يضاف إليه، أو باعتبار الموضوع، ومعناه: الاعتراف الجازم، والإقرار المصحوب باليقين، بأن الله -سبحانه وتعالى- رب كل شيء وإلهه، وخالقه ورازقه، وهو المعبود المطاع، الذي لا يُعبد سواه.

والإيمان بالله يستلزم الإيمان بربوبية الله، والإيمان بإلوهية الله، والإيمان بأسماء الله وصفاته.

قال المصنف: (**وملائكته**).

✍ والركن الثاني: هو الإيمان بالملائكة، وهو التصديق الجازم بأن لله خلقًا خلقهم من نور، أجسامهم نورانية، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، لا يعصون الله -سبحانه وتعالى- ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فاشتمل الإيمان بالملائكة على عدة أمور:

أولها: أنها أجسامُ.

والثاني: أن هذه الأجسام خلقها الله - سبحانه وتعالى- من نور.

والثالث: أنهم لا يوصفون بما يوصف به الناس، من وجود ذكر وأنثى، فلا يوصفون بالذكورية ولا يوصفون بالأنثوية، ولكن يقال لهم: ملائكة، وهم

مخصوصون بأن الطاعة جبلّة لهم لا يغادرونها ولا يتركونها، بل هي تصدر منهم كما يصدر الأمر الطبيعي من الإنسان الآدمي.

قال المصنف: (وكتبه).

✍ الركن الثالث: هو الإيمان بالكتب وهو التصديق الجازم بأن لله –سبحانه وتعالى– كتبٌ هي: وحيه وكلامه، ضمّنها الله –سبحانه وتعالى– العقائد والشرائع، أفضلها: القرآن الكريم، وقد اختصّه بالحفظ، قال الله – سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] وربنا –سبحانه وتعالى– ذكر لنا بعض الكتب، لم يذكرها كلها، وإنما ذكر كبرياتها، وهي: القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، على خلاف بين أهل العلم في صحف موسى هل هي التوراة، أو غيرها.

فهذه هي التي ذكرها الله –سبحانه وتعالى– لنا في القرآن، فحقها منّا أن نؤمن بها كما فصّل الله، من أن التوراة كتاب، وهو الذي أنزله وتكلّم به –سبحانه وتعالى– وأنه أنزله على موسى عليه السلام، وكذا الإنجيل أنزله الله على عيسى عليه السلام، وكذا الزبور أنزله الله على داود عليه السلام، بحسب ما ورد في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبقية الكتب الأخرى التي أنزلها الله –سبحانه وتعالى–، نؤمن بها إيمانًا مجملاً ، يعني أنها كلام الله، وأنها مشتملة على العقائد والشرائع، وأن الله أنزلها على رسول من رسله، هذا القدر يشترك فيه القرآن ويشترك فيه غيره.

ويختص القرآن بخصائص من أهمها: أنه محفوظ، وأنه ناسخ للكتب قبله، ومهيمن عليها.

قال المصنف:(**ورسله**).

✍ الركن الرابع: هو الإيمان برسل الله، ومعناه: الإقرار الجازم واليقين الثابت بأن لله -سبحانه وتعالى- رسلاً منهم من قصّ خبره علينا، ومنهم من لم يقصص خبره علينا، وأنهم صادقون في كل ما جاءوا به، وأنهم بلّغوا كل ما أمرهم الله -سبحانه وتعالى- بتبليغه، ولم يفرطوا في تبليغ ما أنزل الله عليهم البتة، وأنهم يجوز عليهم، ما يجوز على غيرهم من الأمراض، التي لا تُنفّر منهم، وأنهم بشر ممن خلق، تصيبهم الأمراض، والأسقام، كل هذا من الأمور التي يجوز أن تقع على رسل الله، وأنهم معصومون في التبليغ عن رب العزة فلا يجوز لرسول من رسل الله أن يقول الباطل، أو يتكلم به أو يعمل به. وأما في أمور الدنيا فليسوا بمعصومين، فلا نقول أنهم يعرفون جميع الصناعات بل يعرفون ما يعرفه أقوامهم ويمتهنون المهن المعروفة عند أقوامهم، ويشتغلون بها، فلا يلزم من معرفتهم لصنعةٍ أو عملٍ أن يكونوا عالمين بجميع الصنائع والأعمال، فالأمور الدنيوية مثل ما جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم: (**أنتم أعرف بأمور دنياكم**)[1] فقد يكون من الناس من هو أعرف بأمور الدنيا من الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال المصنف:(**والبعث بعد الموت**).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦٣).

✍ الركن الخامس: البعث، والمراد بالبعث: لا مجرد إخراج الناس من القبور لفصل القضاء، ولكن المراد به أعمُّ من ذلك، وهو الإيمان باليوم الآخر، وما تجري فيه من أحداث وأمور.

والبعث في اللغة العربية: (**التحريك والإثارة**).

وأما شرعًا فهو: (**إخراج الأجساد من قبورها، واستيداع الأرواح فيها لفصل القضاء بينهم**)، هذا يقال له: بعث، وهو واحد من الأمور التي تقع في اليوم الآخر، والواجب الإيمان بكل ذلك، ومعنى الإيمان به: الإقرار والاعتراف الجازم بما أخبر الله -سبحانه وتعالى- به من أن الناس يخرجون من قبورهم يوم القيامة لأجل أن يفصل الله -سبحانه وتعالى- بينهم، وما يتبع ذلك من أحداث، وعرصات، ومواقف للناس في ذلك الوقت.

قال: (**بعد الموت**): يعني لا يكون بعثًا إلا بعد الموت، وليس هناك بعثٌ متعدد، إنما البعث بعث واحد، فإذا مات الإنسان لم يُبعث إلا يوم القيامة، ولن يبعث قبل ذلك، وهذا يدلنا على بطلان ما يدّعي بعض الصوفية من خروج بعض الأنبياء إليهم كما يدّعون، أو دعواهم أن (الخضر) لم يمت حتى يبعث، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي تتنافى مع ما أخبر الله -سبحانه وتعالى- من قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[الزمر:٣٠] وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٦] ولم يجعل بعثًا قبل يوم القيامة، وكذلك ما تقوله وتدعيه الرافضة على لسان بعض أئمتهم من أنه تحصل بعثة لبعض أئمتهم، ويحصل أيضا لجملة

ممن يدّعون أنهم أعضاء لآل بيت، حتى يحق الحق كما يقولون، ويُبطل الباطل! كل هذا يدلنا على أن هذه آراء باطلة غير صحيحة، وأنها آراء فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان.

قوله: (**بعد الموت**) هذا إشارة إلى أنه يجب الإيمان بأن الناس يموتون، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران:١٨٥] والموت: هو خروج الروح من الجسد، وليس هو كما يدّعي بعض الناس بأنه وقوف القلب، أو أنه توقف الدماغ، بل الموت عند أهل السنة والجماعة: هو خروج الروح من الجسد، هذا يقال له موت، وأما مجرد ما يسمى بالموت الدماغي أو الموت القلبي فهذا ليس هو الموت الذي ذكره الله - سبحانه وتعالى- في كتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وإن كان هذا من أسباب الموت الحقيقي، يعني من علامات الموت الحقيقي الذي هو خروج الروح من الجسد.

قال المصنف:(**والإيمان بالقدر خيره وشره**).

الركن السادس: وهو العلم بالغيب، ومعناه: هو الإقرار الجازم بأن الله -سبحانه وتعالى- قد خلق الخلائق كلها، وقد علم ما يعملون وما يفعلون، وأنه لا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وأن أعمال العباد خيرها وشرها، خلق لله -سبحانه وتعالى-، وأن الشر فيها من حيث إضافتها للمخلوقين، لأنها شرٌ عليهم، وضررٌ عليهم، وليست ضررٌ على الله -سبحانه وتعالى-، بل وقوع الشرور يكون لحكم بالغة عظيمة، قد

نعلم بعضها وقد لا نعلم البعض الآخر، ولذلك جاء الحديث بعدم نسبة الشر المطلق لله - سبحانه وتعالى- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**والخير كله بيديك، والشرك ليس إليك....**)[1] الحديث.

ثم بعد أن ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- أركان الإيمان الستة التي هي تعتبر القواعد الجوامع لاعتقاد أهل السنة والجماعة، بدأ يفصل في واحد منها الذي هو أهمها وأعظمها وهو الإيمان بالله -سبحانه وتعالى-.

ولذلك قال -رحمه الله تعالى-: (**ومن الإيمان بالله**).

(**من**) هنا للتبعيض، يعني ومما يتضمنه الإيمان بالله، وقد تقدم أن الإيمان بالله يتضمن الإيمان بربوبية الله، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، وتوحيد الألوهية كان الخلاف فيه بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين المشركين، وأما توحيد الربوبية؛ فكان المشركون يؤمنون به كما تقدم، ومن أظهر إنكاره وهو قليل نادر فإنما أظهره علواً واستكباراً.

وأما الثالث الذي هو الإيمان بالأسماء والصفات: فهذا هو التوحيد الذي جرت فيه الخصومة في الأمة، وكان سبباً من أسباب الفرقة فيها، وتعدد الفرق فيها، فيكاد أن يكون توحيد الأسماء والصفات هو الأساس في افتراق الفرق، واختلاف المذاهب المنسوبة للإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠١).

قال: (**ومن الإيمان بالله**) - سبحانه وتعالى- الصحيح الكامل، (**الإيمان بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله**) وعطف بالواو ليفيد المغايرة، وليفيد أيضاً أن كل واحد من هذين المصدرين يجب الإيمان بما فيه على سبيل الاستقلال، لا التبعية، يعني: القرآن الكريم مصدر من مصادر الأسماء والصفات، فكل ما ورد من أسماء الله وصفاته في القرآن الكريم، وجب الإيمان به على الاستقلال، وكذلك الحال ما ورد في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - التي صحّ سندها، وجب الإيمان به على الاستقلال، طاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم لأننا نتعبد لله بطاعة الله وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم-، فلذلك نجمع بين الإيمان بما تضمناه من أسماء الله -سبحانه وتعالى- وصفاته، وليس ما تضمنه القرآن من الأسماء والسنة النبوية من الأسماء والصفات هي جميع صفات الله، أو جميع كمالات الله، بل كمالات الله - كما تقدم - أكثر من هذا بكثير، لا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى-، ولا يحصيها نبي مرسل ولا ملك مقرب، وإنما المراد أن باب الأسماء والصفات باب توقيفي يعتمد على القرآن والسنة، فلا يجوز للإنسان أن يضيف إلى الله اسماً ولا أن يضيف له صفة، إلا إذا كانت واردةً في الكتاب والسنة، وأما بعض الإخباريات فليس بتوقيفي، فيمكن الإخبار عن الله -سبحانه وتعالى- بكل اسم حسنٍ، أو ليس بسيئ، ولذلك جوّز بعض أهل العلم، أنْ يُخبر عن الله — سبحانه وتعالى- بأنه موجود، وأنه قديم وأنه أزلي، وأنه شائي، فهذا يجوز الإخبار به، لكن لا يقال: هذا اسم لله ولا صفة لله، فـ (**موجود**) ليس اسماً

لله، ولا صفةً لله، ولكن يجوز للإنسان أن يقول: (الله موجود) إخبارًا عن الله – سبحانه تعالى –؛ لأن هذا الاسم يتضمن إثبات حقيقة الذات الإلهية، وكذلك القديم الذي يأخذ معنى الأول والآخر، وكذا الأزلي الذي يأخذ معنى الزمن والوجود في الزمن الماضي، وكذا الأزلي المفيد لوجوده في الزمن الماضي والمستقبل، كل هذهيُخبر عن الله – سبحانه وتعالى – بها؛ لكنها ليست توقيفية، أما أسماء الله وصفاته فتوقيفية، لذلك قالوا: باب الخبر أوسع من باب الأسماء والصفات.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، في باب الأسماء والصفات، الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته.

وهناك محذورات أربعة يجب الحذر منها في باب الأسماء والصفات بيَّنها رحمه الله حيث قال: (**الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل**).

القيد الأول: قال: (من غير تحريف)؛ لأن هناك صنفاً من الناس يثبت الأسماء والصفات، لكن يحرفها عن معانيها، ومعنى التحريف: (**هو الميل إلى حرف أو إلى طرف**) ومنه قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾[الحج:١١] على طرفٍ من الدين، وأما شرعًا: (**تغيير معاني أسماء الله وصفاته بمعانٍ لم يُرِدها الله ولم يُرِدها الرسول صلى الله عليه وسلم**).

إذًا وضع معانٍ لأسماء الله – سبحانه وتعالى– أو صفاته مما لم يردها الله بهذا المعنى: هذا هو التحريف، فالتحريف يشتمل على أمرين:

الأول: نفي المعنى الحق الذي دلّت عليه الصفة أو الاسم.

والأمر الثاني: وضع معنى باطل بدل المعنى الحق.

إذًا فيه جنايتين؛ جناية على النص من جهة تغيير معناه، وجناية على الصفة من جهة عدم إثبات حقيقة ما أخبر الله - سبحانه وتعالى- به عن نفسه، هذا يقال له: تحريف.

والتحريف: منه ما هو تحريف في اللفظ، ومنه ما هو تحريف في المعنى.

والتحريف باللفظ نوعان أيضاً:

١-إما أن يتعلّق بالنحو، بأن تُغيّر حركة الآية لأنها لا تدل على الصفة، كما حصل من بعضهم عندما قرأ قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[النساء:١٦٤] قال (**وكلّم اللهَ موسى**) حتى يجعل موسى هو الفاعل، ولفظ الجلالة هو المفعول به، والآية نطقت بأن الفاعل والمتكلم هو الله - سبحانه وتعالى-.

٢-وإما تحريف صرفي، وذلك بتغيير اللفظ؛ كمن يقول في معنى (**استوى**): (**استولى**)، وهذا من جنس ما فعلته بنو إسرائيل عندما أمرهم الله أن يقولوا (**حطة**) فقالوا: (**حنطة**) فغيروا لفظًا بلفظ، وكذلك هؤلاء غيروا لفظًا بلفظ.

وهناك التحريف المعنوي؛ كمن حرف قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء:١٦٤] بقولهم في معناه: جرحه بأظافر الحكمة تجريحًا! فجعلوا معنى (كلّم) هنا: من الكلْم؛ بالسكون، لا من الكَلِمِ؛ بالكسر؛ لأن الكَلِم يعني: الكلام، والكلْم يعني: الجرح، فحرف المعنى وغيره وبدله.

والتحريف بجميع أنواعه محرم لا يجوز، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء:٤٦] وقدوتهم في هذا بنو إسرائيل من اليهود والنصارى، هم الذين كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه.

القيد الثاني: (**ولا تعطيل**)؛ والتعطيل في اللغة: (**الخلو والفراغ**)، ومنه قولهم: (**قرية معطلة**)، يعني هجرها وتركها أهلها.

وأما اصطلاحاً فهو: (**نفي وجحد أسماء الله وصفاته ومعانيها**)، إذًا هذا جحد ونفي، لكن بدون أن يوضع معنى باطلاً ، فإن وضع معنى باطلاً فذاك هو التحريف، وإن لم يوضع معنى باطلاً فذلك هو التعطيل، فمن قال: "إن الله لا عين له، ولا سمع له، ولا بصر له" تعالى الله عن ذلك، هذا يقال له: مُعطِّل، لكن لو قال: لا سمع له، ويفرّ السمع بالإدراك، فهذا يقال له محرف؛ لأنه نفى المعنى الحق وزاد على ذلك بأن أثبت معنى باطلاً ، أما المعطل فينفي المعنى الحق وإن لم يضع معنى باطلاً .

القيد الثالث: قال: (**ومن غير تكييف**)، التكييف معناه: (**حكاية الصفة**)، ومعناه: (**بيان كيفية صفة الله -سبحانه وتعالى- من جرمها وكبرها وحجمها ووزنها وما إلى ذلك**)؛ هذا يقال له: "تكييف".

هل صفات الله لها كيف؟ الجواب: نعم؛ لكن هذا الكيف مجهول لنا لا نعلمه، فالمحرم: أن نتخرص في كيفيات الصفات كيفما شئنا؛ فنقول فيها بغير علم، وذلك كما قال أهل العلم: (**إن العلم بالكيفية مستلزم لثلاث أمور: مستلزم

للرؤية، والله -سبحانه وتعالى- لم نره، والأمر الثاني: أن يكون هناك المثيل، والله - سبحانه وتعالى- لا مثيل له، والأمر الثالث: أن يخبر الله أو يخبر الرسول عن الكيفية، وهذا لم يذكر في كتاب الله ولا في سنة رسوله - صلى الله عليه – وسلم) فانقطعت أسباب العلم بالكيفية، مع علمنا بأن لصفات الله كيف، لكننا لا نعلمها، ولذلك لما جاء رجل إلى الإمام مالك - رحمه الله – فقال له: **(ما كيفية الاستواء؟)** قال له: **(الاستواء معلوم -يعني: في اللغة-، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة)**[1]. لأنك تسأل الناس عما لا علم لهم به، ولولا خوض الناس في الكيفية لما نفى أحد صفات الله؛ لأن كثير من المبتدعة لما كيَّفوا صفات الله، وانقدح في ذهنهم أن كيفية صفات الله مثل كيفيات صفات المخلوقين، عندئذٍ أراد بعضهم - سواء قلنا أنه حسنت نيته أو ساءت - أن ينزه الله فكانت النتيجة أنه نفى صفات الله -سبحانه وتعالى- وأسمائه!

القيد الرابع: (ولا تمثيل). والتمثيل معناه: **(المساواة)**، فالمماثل: المساوي والنظير والند.

وأما اصطلاحًا: فالتمثيل معناه: **(مساواة غير الله بالله بشيء من أسمائه، أو صفاته، أو ذاته أو أفعاله)**؛ فمن سوى ذات الله بذوات المخلوقين، أو صفةً من صفات الله بصفات المخلوقين، أو اسماً من أسماء الله بأسماء المخلوقين، أو فعلاً من أفعال الله بأفعال المخلوقين، وقال: إنه مثلهم، أو إنهم مثله، فهذا يُقال له: **"ممثل"**؛ لكن

---

(١) الحلية لأبي نعيم (٦/٣٢٥، ٣٢٦)، ورواه الذهبي في السير (٨/١٠٠) من طريق أبي نعيم.

ليس من شرط الممثل أن يحكي كيفيةً، فقد يكون التمثيل عنده مطلق، ونتيجته النفي؛ كما هو الحال في المعطل، لأن المعطل والمكيف والمحرف ابتدءوا أولاً بالتمثيل، ثم انتهوا بالتحريف والتعطيل والتكييف، إلا أن التكييف تمثيل وزيادة، وكذا التحريف، وكذا التعطيل، وذلك أن المعطل شبّه الله بالمعدومات والجمادات، وكذلك الحال في المكيِّف، فأعظم هذه الانحرافات في باب الأسماء والصفات هو التحريف، ثم يأتي بعده التعطيل، ثم يأتي بعده التكييف، ثم يأتي بعده التمثيل.

والتمثيل في الحقيقة هو قاسم مشترك بين الثلاثة، فالمحرف هو ممثل ولابد، والمعطل لابد أن يكون ممثلاً ، وكذلك المكيف لابد يكون ممثلاً .

إذًا التمثيل هو أصل التحريف والتعطيل والتكييف.

ما هو دليل أهل السنة والجماعة على ما اعتقدوه من هذا الاعتقاد؟

الجواب: دليلهم هذه الآية العظيمة، وقد بحثت[1] فوجدت أن الأحكام العقدية في هذه الآية تأتي فيمجُلّد، فقال رحمه الله: (بل يؤمنون بأن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١])، وكما ترون فإن ربنا عز وجل قد قدم نفي التمثيل، ثم أثبت الصفات، وفي هذا رد على دعوى من يدعي أن إثبات الصفات تمثيل؛ لأنه لو كان تمثيلاً لما احتج الله لإثباته بعد نفي التمثيل، فنفى التمثيل أولا، ثم قال: (السميع البصير)، دل ذلك على أن هذا ليس بتمثيل.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هذا رد مباشر على المكيف والممثل.

---

(١) في الأصل قال الشيخ: حضّرت، وقد أثبتها كما ترى.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ هذا رد على المحرف والمعطل؛ لأن في إثبات السمع والبصر دليل على أن لفظهما ومعناهما مقصود لله.

ثم استأنف المؤلف - رحمه الله تعالى- (**بالفاء**) زيادةً في الإثبات؛ فقال: (**فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه**)، هذا الإثبات ليس فيه نفي لشيء مما في الكتاب والسنة أبداً، بل كل ما في الكتاب والسنة لا يتسلط عليه النفي، وإنما يتسلط عليه الإثبات، فيثبتون لله كل صفةٍ وكل اسم وارد.

قال: (**فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه**)؛ لأن نفي ما وصف الله به نفسه، هو التعطيل بعينه.

قال: (**ولا يحرفون الكلم عن مواضعه**) بأن يجعلوا له معاني باطلة لم يردها الله، ولم يردها الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وهذا هو التحريف.

ثم جاء بلفظ جامع لهذه الأشياء كلها؛ فقال: (**ولا يلحدون في أسماء الله وآياته**)، والإلحاد معناه في اللغة: (**الميل**)، ومنه: اللحد؛ لميله عن ميمنة القبر، وعُرِّف الإلحاد شرعاً بأنه: (**الميل بصفات الله، وأسمائه وأفعاله وذاته عن الحق الثابت له**)، والتحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل هي في الحقيقة أنواع من أنواع الإلحاد.

والإلحاد له موضعان:

الموضع الأول: أسماء الله؛ وذلك بالميل بها عن معناها الذي أراده الله -سبحانه وتعالى-.

الموضع الثاني: آيات الله؛ وينقسم إلى قسمين: إلحاد في آيات الله الكونية، وإلحاد في آيات الله الشرعية، فالإلحاد في الآيات الشرعية هو: أن ينفي ما دلّت عليه من أحكام الشريعة؛ فلا يرتضي الحكم بها، ولا العمل بموجبها، والإلحاد في آيات الله الكونية بأن ينسب ما خلقه الله لغير الله – سبحانه وتعالى–، كمن يقول: مُطرنا بنوء كذا وكذا، أو يتوكل على غير الله،؛وهو الذي يسمى: التوكل الشركي، أو ما أشبه ذلك، فإن هذا يعتبر نوع من الإلحاد في آيات الله، فمن نسب خلق الله لغير الله كمن نسبه إلى الطبيعة؛ فهذا ملحد في آيات الله.

وبعد أن بين المؤلف – رحمه الله تعالى– أن التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل والإلحاد أمور منافية لتوحيد الأسماء والصفات الذي أثبته الله في كتابه وفي سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – يبيِّن أن مذهب أهل السنة والجماعة موافق لذلك التوحيد كل الموافقة، ولذلك فإن عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الصفات أنهم لا يكيفون صفات الله بصفات الخلق.

قال رحمه الله: (**ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه**)؛ فيجعلون صفات الله مثل صفات الخلق، أو العكس؛ فيجعلون صفات الخلق مثل صفات الله، ثم علل ذلك وبينه بقوله: (**لأنه –سبحانه وتعالى– لا سمي له**)؛ فلا أحد مماثل له في اسم من أسمائه، وقطع باب التسمية قطع لأبواب الاشتراك بها؛ لأنه – سبحانه وتعالى– لا سمي له؛ أي لا أحد يماثله ويشابهه في شيء من أسمائه –سبحانه وتعالى–.

قال: (**ولا كفو له**) والكفو أيضًا بمعنى: المماثلة، كما أنه لا سمي له؛ يعني: في أسمائه، ولا كفو له؛ يعني: في مطلق ما هو موصوف به، لا في مجرد الأسماء، بل يدخل في ذلك الأفعال، ويدخل في ذلك الذات، فكما أنه لا مماثل له في اسمه، فكذلك ليس هناك من يماثله في شيء من ذاته، أو أفعاله، أو صفاته.

قال: (**ولا ندّ له**) أي: ليس له نظير -سبحانه وتعالى- فيما يجب له من كمالاته، وكل هذه الثلاثة هي في الحقيقة من النفي المتضمن للإثبات، ولم يستعمل الله في القرآن في حق نفسه إلا هذا النوع من النفي؛ وهو النفي المتضمن للإثبات، أما النفي الذي لا يتضمن الإثبات فالله -سبحانه وتعالى- لا يصف نفسه به أبدًا.

قال: (**ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى**) أي: ولا يساوى بأحد من الخلق، والقياس الباطل في حقه - سبحانه وتعالى- ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: هو قياس الشمول؛ ومعناه: أن تُقعَّد قاعدةٌ كليةٌ ثم يُجعل الرب - سبحانه وتعالى- والمخلوقين أفرادًا لها، تُطبَّق عليهم هذه القاعدة، هذا يقال له: قياس شمول، كأن تقول مثلاً: "كل ما له صفة فهو جسم، والله له صفات فهو جسم، والمخلوقين لهم صفات فهم أجسام"، هذا النوع من القياس لا يجوز في حق الله، وذلك لأنه يتضمن تمثيل الله -سبحانه وتعالى- بخلقه، والله تعالى يقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

القسم الثاني: قياس التمثيل؛ ومعناه: أن يُجعل الله أو المخلوق أصلاً؛ ويقاس عليه الآخر، يعني إما أن يُقاس المخلوق على الخالق، أو أن يقاس الخالق على المخلوق،

وهذا القياس أيضاً لا يجوز في حق الله؛ لأنه متضمن للتمثيل الذي نفاه الله عن نفسه بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

فهذه الأقيسة لا يجوز استعمالها في حقه -سبحانه وتعالى-.

ولكن يجوز استعمال **قياس الأَولى** في حقه سبحانه وتعالى؛ وهو الذي سماه الله في القرآن: المثل الأعلى؛ فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، ومعنى "المثل الأعلى" أو "قياس الأولى": **أن كل كمال وجودي ممكن اتصف به المخلوق لا نقص فيه من جميع الوجوه؛ فالله -سبحانه وتعالى- أولى به**، فإذا قلت: (إن المخلوق متصف بالسمع من حيث الجملة)؛ فالله أولى أن يكون متصفاً بالسمع، وإذا قلت: (إن المخلوق متصف بالكلام)؛ فالله أولى أن يكون متصفاً بالكلام؛ لأنه لو لم يتصف بالكلام والسمع والبصر ونحو ذلك، للزم من ذلك أن يكون المخلوق أشرف وأعظم من الخالق، وكل نقص تنزه المخلوق عنه فالخالق أولى بالتنزه عنه، فإذا كان الناس يعتبرون البكَم نقص في المخلوقين، والكامل منهم لا يكون أبكم، فالخالق -سبحانه وتعالى- لا يكون أبكماً ، وإذا كان الإبصار صفة كمال للمخلوق، والعمى صفة نقص، فإن اتصاف الله -سبحانه وتعالى- بالبصر من باب أولى لأنه أكمل، ولأنه هو الذي أعطى الكمال، فهو أولى بالكمال -سبحانه وتعالى-، و لأن من يفقد الكمال لا يعطي كمالاً لأنه لا يملكه، فإذا كان الله -سبحانه وتعالى- ليس موصوفًا بهذه الكمالات، فإنه عندئذٍ لا يستطيع أن يجعل الإنسان سميعًا بصيرًا، متكلماً ، عالمًا، مريدًا، قادرًا، هذا يقولون له: "قياس

الأولى"، فله طرفان: طرف في الإثبات، وطرف في النفي، طرف الإثبات: أن كل كمال، وجودي، ممكن، اتصف به المخلوق، لا نقص فيه من جميع الوجوه؛ فالخالق أولى به، وطرف النفي: أن كل نقص، تنزه عنه المخلوق، فالخالق أولى بالتنزه عنه.

ثم علل المؤلف –رحمه الله– وبين السبب، في أن الله –سبحانه وتعالى– لا يقاس بخلقه، وأنه يجب علينا أن نثبت أسماءه وصفاته.

قال: (**فإنه سبحانه أعلم بنفسه**)؛ يعني: لما نطق الله –سبحانه وتعالى– في القرآن الكريم بأنه له صفة كذا، وله صفة كذا، فهو أعلم بنفسه، ولولا أنه أخبرنا –سبحانه وتعالى – لما علمنا هذه الصفات، ولا علمنا أنه يتصف بها.

ثم قال رحمه الله: (**وبغيره**) يعني: من المخلوقين، فلو كان اتصافه بصفة ما فيه تمثيل له لنزه نفسه عنها، ولقال سبحانه مثلاً: لا تصفوني بهذه الصفة؛ لأنه يعلم صفاته، ويعلم صفات المخلوقين، وما الذي يجب له وما الذي يجوز على المخلوقين، لكنه مع ذلك وصف نفسه بهذه الصفات مع وجود نظائرها عند المخلوقين؛ لأن التشابه في مسمى الصفة لا في كيفية الصفة، لأن سمع الله غير سمع المخلوقين وبصر الله غير بصر المخلوقين، وعلم الله غير علم المخلوقين، كل ما هو للمخلوق يجوز عليه العدم والضعف، أما الله – سبحانه وتعالى– فصفاته أعلى ما يكون، وأجل ما يكون، وأعظم ما يكون، وهذا معنى قول الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠] لأنه أعلى ما يكون وأجل ما يكون وأعظم ما يكون.

قال: (**وأصدق قيلاً**) فالقرآن منزه أن يوجد فيه شيء من الكذب، أو الخطأ، أو الخلل في العبارة، وإذا كان الأمر كذلك فإن الله -سبحانه وتعالى- عندما ذكر هذه الأسماء والصفات لم يذكرها إلا لنؤمن بها، ونصدق بها، ولننسبها إلى الله - جل وعلا-.

قال: (**وأحسن حديثًا من خلقه**)، وهذا دليل عقلي بالجملة على بطلان كل باطل يعارض ما في الكتاب والسنة.

ثم انتهى - رحمه الله - من تقرير المصدر الأول للأسماء والصفات، وهو القرآن الكريم، وبيّن هذا الدليل العقلي على وجوب متابعته، والأخذ بما فيه؛ لأنه كلام الله الذي هو أصدق قيلاً، وهو أحسن الكلام وأفضله على وجه الإطلاق، ومن حسن إعجازه وفصاحته وبلاغته، التي توجد حتى في الحرف منه، فضلاً عن الكلمة، والجملة، والأسلوب، والسياق، وغيرها من أنواع الإعجاز الأخرى؛ لأن كل هذه الإعجازات التي ذكرناها كلها تسمى إعجاز لفظي، ومعنوي، وإلا فهناك إعجازات أخرى، كالإعجازات العلمية، والإعجاز الصوتي، وغيرها من أنواع الإعجازات الأخرى، التي تدل على أن القرآن هو أصدق الحديث وأحسنه.

ثم جاء المصنف رحمه الله بالمصدر الثاني وهو السنة فقال: (**ثم رسله**) وقد تقدم بيان معنى الرسل، وأنها جمع رسول، والرسول وقد تقدم لنا بأنه: (**إنسان ذكر، حي، حر، خلٍ من منفر طبعًا، أُمر بشرع، وأُمر بالتبليغ**).

ثم قال رحمه الله: (صادقون مصدقون)، يعني صادقون فيما يبلغونه للناس، ويبينونه، لا يكذبون أبداً، وهذه صفة أساسية من صفات الرسل، وهي الصدق، كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣] قالوا إنه: الرسول -صلى الله عليه وسلم - هو الذي جاء بالصدق وهو أيضا مصدق به، وقال بعض أهل العلم: الذي جاء بالصدق هو محمد - صلى الله عليه وسلم-، والذي صدق به هو أبو بكر - رضي الله عنه -، وقال بعضهم بل هو أعم؛ (صدَّق به) يعني: عموم المؤمنين، أبو بكر وغيره، لكن هؤلاء هم سادة المؤمنين، وإذا كان هكذا فكل ما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من أسماء الله وصفاته بالأحاديث الصحيحة، يجب التصديق به، و الإيمان به، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣٣] .

قال: (بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون)، بخلاف أهل البدع الذين تركوا طريقة الكتاب والسنة، والانصياع والذل والخضوع لكل ما أمر الله به ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ورجعوا إلى عقولهم وأذهانهم، فنفوا صفاته وعطلوها وحرفوها ولربما مثلوها.

قال: (يقولون عليه مالا يعلمون)، والقول على الله بغير علم هو أعظم من الشرك؛ لأن الشرك نفسه هو جزء من القول على الله بغير علم، وهو من الكذب على الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ

﴿ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣] .

فلا يجوز للإنسان أن يقول على الله بغير علم، لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في عبادته، ولا في شرعه ودينه، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء:٣٦] فلا يجوز للإنسان أن يقول شيئا إلا بعلم، وهذا معنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - «**بلغوا عني ولو آية**»[(١)]، ليس المقصود بقوله: «بلغوا عني ولو آية»، يعني: قولوا فيها ما تشاءون، ولكن المقصود هو التبليغ بعد الفهم، والإدراك، والعلم، والعلم بمعنى هذه الآية يكون عن طريق أهل العلم، وما قالوه فيها، ثم إذا أدرك ذلك المعنى؛ عندئذٍ بلَّغه للناس، وأفهمهم إياه، أما أن آتي بالآية وأستدل بها بغير مواضعها، فهذا لا يجوز لأنه كذب على الله، وتحريف لكتابه، عندما يأتي الإنسان بالآية وهو لا يفهم معناها، ويستدل بها في الموقع الذي ليست فيه، ولا في المكان الذي فيه، هذا كذب على الله، لأنه يدعي أن معنى الآية كذا وهو ليس كذلك، ليس هو معناها، إنما معناها شيء آخر، الشاهد في هذا أن القول على الله -سبحانه تعالى- بغير علم يعتبر من أعظم الذنوب وأجلها، وهو أعظم من الشرك بالله؛ لأن الشرك بالله جزء من القول على الله بغير علم، ثم استدل -رحمه الله تعالى- على إثبات أسماء الله وصفاته، ووجوب التسليم للكتاب والسنة بقوله: (**ولهذا قال**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

سبحانه: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢])

فـ (**سبحان**) معناه تنزيه، وتقديس لله -سبحانه وتعالى- عما وصفه به الواصفون، مما لم يصف به نفسه، أو يصفه به رسوله ﷺ، وأضاف إليه (**ربك**) بيان لعظم هذا الذنب، ولأن تقديس الله وتعظيمه، من أعظم الأشياء التي توجب الثواب عند الله -سبحانه وتعالى-، وقال: (**رب العزة**)، ليدل على أن الله - سبحانه وتعالى- ينتقم ممن لا ينزهه عما لا يليق بجلاله -سبحانه وتعالى-، ولذلك قال: ﴿ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ لأنهم يصفونه بالباطل، وقد نزه نفسه -سبحانه وتعالى- عن الباطل، وأن يكون متصفاً به -سبحانه وتعالى-، ولأن كل من نفى صفة لله - سبحانه وتعالى- فقد أثبت ضدها، سواء كان هو فعلاً أثبت الضد، أو كان ذلك لازماً من لوازم قوله؛ لأن لوازم الأقوال تدل على بطلانها، وإن لم يلتزمها أصحابها، ولذلك أهل السنة والجماعة يقولون: (**من نفى الصفات، فقد نفى وجود الله - سبحانه وتعالى-**)، قد يكون بعض المعطلة لا يقولون إن الله غير موجود، لكن لا يسوغ ولا يصح القول بوجود ذات، إلا بوجود صفاتها؛ لأن الصفات هي الدالة على وجود الذات، وهي المرشدة على وجود الذات، فإذا انعدمت الصفات انعدم الذات، فمن جاء بإنسان وأراد أن يصفه لك فقال: رجل ليس له عينان، ولا رجلان ولا أنف، ولا بطن، ولا جلد، ولا عظم، ولا دم! فيكون حينئذٍ قد جرده من جميع الصفات، يعني أنه قال: (**إنه معدوم غير موجود**)

هذا معنى كلامه، فكذلك من قال: الله لا يسمع، ولا يرى، ولا يعلم وليس بحي وليس بقادر، فقد أثبت أن الله غير موجود وهو لا يدري.

قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إذًا الشاهد من الآية هو تنزيه لله –سبحانه وتعالى– عن كل باطل، وهذا يدل على وجوب الإقرار بالحق، الذي ذكره الله –سبحانه و تعالى– في كتابه، والذي منه أسماء الله – سبحانه تعالى– وصفاته، ونعوت جلاله، والمرسلين أيضاً سلم الله –سبحانه وتعالى– أقوالهم وأفعالهم من النقائص، والذنوب، والباطل، فهم لا يقولون إلا حقاً، ولا يعملون إلا حقاً، ولا يقولون إلا صدقاً، لذلك قال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: نزههم أيضاً من كل ما لا يليق بمقامات الرسالة والنبوة، فمن وصف رسولاً من رسل الله بصفة تتنافى مع هذا اللقب الشريف، الذي هو: (الرسول) فقد كفر بالمرسلين، وادعى عليهم باطلاً، فمن جاء ونفى شيئاً في السنة من أسماء الله وصفاته فهو واقع بين أمرين، إما أن يُكذب ما جاء به الرسول ولا يثبته وإما أن يتهم الرسول بأنه يهذي بكلام غير مفهوم، ولا شك أن هذا قدح عظيم، في مقام الرسالة، والمرسلين.

ثم بعد ذلك حمد الله – سبحانه وتعالى– نفسه بأن ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هو فضل من الله –سبحانه وتعالى–، قال تعالى: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على ما أتمه على الناس من النعمة، فقد علّمهم هذا العلم الشريف، الذي يعرفهم بربهم –سبحانه وتعالى–، فيعرفون الله بجمالاته وكمالاته، فيصفونه

بها، ويحمدونه بها، ويدعونه بها، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠] .

قال – رحمه الله – مبينا وجه مبينا وجه الاستدلال بهذه الآية قال: (فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين)، يعني نزهها، عن كل عيب لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى وعظمته، ومن كل عيب يقدح في كمال ما ذكره في كتابه أو في سنته صلى الله عليه وسلم عما وصفه به المخالفون للرسل، وهؤلاء المخالفون للرسل كثيرون، لكن أهم من حمل رايتهم هم المشركون و القبوريون ثم بعد ذلك الجهمية، ثم المعتزلة، ثم الأشعرية، ومن وافقهم وماثلهم من الكلابية والكرامية والسلامية، ثم يأتي الخوارج، والمرجئة، لكن الذي يهمنا في هذا الباب، والذي اشتهر عنهم الانحراف فيه هم الجهمية؛ لأنهم ينفون الأسماء والصفات كلها، ثم تأتي بعدهم المعتزلة، الذين يثبتون الأسماء لكن ينفون المعاني عنها فيقولون: **(عالم بلا علم)** ما يصفونه بصفة يعني: يقولون: (إنه عالم) لكن بشرط: أن هذا المعنى لا يحمل صفة له! وهذا مخالف للشرع واللغة؛ لأنه لا توجد كلمة في اللغة العربية إلا ولها معنى مفهوم، فالكلام في اللغة العربية ينقسم إلى قسمين: كلام مهمل، كلام مستعمل، ولفظ المستعمل في اللغة العربية، لابد أن يكون وضع لمعنى يحسن السكوت عليه من المتكلم، واللفظة التي ليس لها معنى، لا فائدة منها؛ لأن المقصود بالكلام هو أن تُفهم غيرك ما تريد أن يسمعه، ويفهمه، فتبينه له حتى يستطيع التنفيذ، فإذا كانت كلمة (علم) لا يُفهم منها أن

الله عالم بمعنى أنه موصوف بالعلم فما فائدة لفظ العلم، هل هي مجرود حروف وفقط (عين، لام، ميم)؟! هذا لم يعهد في لغة العرب أصلاً، لم يرد عن العرب ولم يُعهد عليهم استعمالهم مثل هذا اللفظ بلا معنى، فإذا سألت أي واحد من العقلاء، حتى من عوام الأمة المحمدية وقلت له ماذا تفهم من كلمة علم؟ فسيقول: أفهم منه معنى، لا يقول هو: (علم عين، لام، ميم)! فاللفظ إذن يُفهم منه ما دل عليه، فلفظ البصر ولفظ السمع مثلاً يُفهم منهما إدراك المتصف بهما للمرئيات، وإدراك المسموعات، وهكذا دواليك، فالذي يُفهم هو بالتأكيد له معنىً يدركه كل عقل، حتى العوام من الناس، وكذلك الحال في الشرع، فإن الشرع جاء بالإيمان بمثل هذا ولا يتأتى بالإيمان بما لا يمكن فهم معناه؛ لأن الذي لا تفهم معناه كيف تؤمن به؟! فالله عز وجل ما جاء بألفاظ جوفاء، ليس لها معنى؛ لأنها لو جاءت الألفاظ هكذا بلا معنى لاحترنا في التكليف، ما الذي كلفنا الله به عندما عبر لنا بهذا اللفظ: عين، لام، ميم؟ هل هذه الحروف المكونة لهذه الكلمة خالية من المعنى؟ الجواب: كلا؛ لأن هذا لا يمكن في اللغة، ولا يمكن في الشرع، بل ولا يمكن حتى في العقل، فالعقل الراشد، لابد أن يفهم من هذه الكلمة معنىً من المعاني.

إذًا عرفنا من هم المخالفون، في أبواب الأسماء والصفات.

بعد هذا بين المؤلف – رحمه الله تعالى – السبب الذي من أجله نقبل ما جاء به الرسل، وهو أنهم صادقون ومن جهة أخرى، قال: (لسلامة ما قالوه من النقص

والعيب) فالله – سبحانه وتعالى– عندما يرسل الرسل، يرسل أفصح الناس، وأعلمهم بما يوحي به إليهم، وذلك ضرورة من ضرورات التبليغ، حتى إذا بلغوا، بلغوا بعبارة صحيحة، سليمة، دالة على الحق، لا يفهم منها الإنسان فهماً آخر غير الفهم الحق الذي أراده الله، وبالمناسبة: فما فهمه أهل الباطل، ليس سببه كلام الرسول، أو كلام الله، بل سببه القصور في العلم، والفهم، والإدراك، والعناية في الكتاب، والسنة، فلماقصرّ وا في ذلك جاءهم الانحراف، مع ما في بعضهم من النية السيئة، رغبةً في تغيير الإسلام، وإضلال المسلمين، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

إذًا الرسل منزهون من أن تكون في عباراتهم عبارات تدل على الباطل، أو عبارات لا تدل على المقصود، بحيث أن الإنسان يفهم منها فهماً غير ما أراده الله وأراده رسوله صلى الله عليه وسلم، وأما ما يحصل للناس من الانحرافات عما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – فهذا بسبب القصور العلمي، أو النية الفاسدة، التي تكون في العبد، ولذلك كان الجهل من أعظم أسباب الضلالة، والاختلاف، وكان اتّباع المتشابه من أعظم أسباب الاختلاف، والضلال، سواءً قلنا إن المتشابه هو الذي لا يعلمه إلا الله؛ فيكون خوض الإنسان فيه، خوض فيما لا يقدر على الوصول إلى شيء فيه، فهو فوق عقله، وفكره، وطاقته، أو قلنا: إن المتشابه اشتبه عليه بسبب قصوره في أدوات العلم، واستشكل المعنى لهذا السبب، لكنه بدلاً من أن يسأل أهل العلم، ويستفيد منهم، وينتفع بكلامهم، قال في القرآن والسنة

بهواه! فضل وضاع مع الضائعين، وجاء في الحديث عن النبي- صلى الله عليه وسلم- وإن كان فيه بعض الضعف: (**من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**)[1] وفي رواية (**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**)[2].

إذًا ليس كلام الله، أو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم سببًا في ضلالة بعض الناس، بل المسئول عن الضلالة هو صاحبها؛ لأنه لما انحرف عن الكتاب والسنة أصابته الضلالة، ولو أنه اهتدى بهدي الله، وبهدي نبيه صلى الله عليه وسلم ما أصابته الضلالة، ومن الناس يرفض الكتاب والسنة علوًا، واستكبارًا، مع معرفته بأن من يخبره ويعلمه هو محق، ومن الناس من يرفض الحق، طلبًا للزعامة عند الناس، فقد تكون له مكانة ومنزلة ويخشى إذا ترك الباطل الذي هو عليه، أن يفقد زعامته وتنزع منه هذه الزعامة، وتذهب، كما حصل من كثير من المشركين.

قال - رحمه الله -: (**وهو -سبحانه وتعالى- قد جمع ما وصف به نفسه فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات**) في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ نفي وإثبات، نفي للتمثيل وما هو أكبر منه؛ ليدخل فيه من التعطيل والتحريف والتكييف، وفي نفس الوقت فيه إثبات في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ إثبات لصفة السمع، وإثبات لصفة البصر، وهذين هما ركنا توحيد الأسماء والصفات، فتوحيد الأسماء والصفات له ركنان:

---

(١) سنن الترمذي (٢٩٥١) والحديث ضعفه الشيخ الألباني.

(٢) سنن الترمذي (٢٩٥٠) والحديث ضعفه الشيخ الألباني.

الركن الأول: الإثبات للأسماء والصفات.

والركن الثاني: نفي ما يضاد ما أثبته الله -سبحانه وتعالى- أو أثبته رسوله - صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات.

والإثبات هنا لابد أن يكون مفطلاً ، كما فصله الله، فإنه فصل الإثبات فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فذكر السمع والبصر، وفي آيات أخرى ذكر غيرها من الصفات وفي النفي أجمل، وذلك لأن النقائص ليس لها حد، ولذلك ليس من المناسب أن نقول: إن الله ليس بأعمى، وليس كذا، ولا كذا، بل قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فنفى جميع النقائص عنه -سبحانه وتعالى-، وكذلك في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نفى عن نفسه جميع النقائص جملة واحدة ولم يفصل في نفيها، ولذلك كان مذهب أهل السنة والجماعة التفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي، وأما ما ورد من بعض الآيات التي ظاهرها العكس فإنها وردت لمعانٍ؛ إما لتوسيع دائرة الإثبات والنفي، بإيجاد طرق متعددة لذلك، أو لأنها وردت في حوادث خاصة كان لابد من التنصيص على المنفي بعينه.

قال: (فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون)، لا عدول يعني لا يميلون عنه، ولا يتركونه، بل يتمسكون به، ويعملون به، فلا يميلون عنه أبداً.

قال سبحانه: **(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله)** إذًا لابد من طاعة الله -سبحانه و تعالى - وطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم

- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥].

ثم علل ذلك بقوله: (فإنه الصراط المستقيم)، هذا هو السبب، الصراط المستقيم، والمراد بالصراط هنا: الطريق، والمستقيم: الذي لا عِوَج فيه، ومن خواص هذا الطريق أنه مؤدٍ للحق، وغيره لا يؤدي إليه، وأنه مأمون ليس فيه مفاوز ولا أخطاء، وأنه متعين للسلوك فلا يصح سلوك غيره، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ وأنه واحد غير متعدد، أما السبل فكثيرة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ فجعل سبيله واحدًا، وجعل السبل المنحرفة كثيرةً لا يمكن إحصاؤها، وكون أهل السنة والجماعة لا يعدلون عن طريقة الكتاب والسنة لأنه الصراط المستقيم، وقد أمرنا الله أن ندعو كل يوم في الصلوات الخمس؛ فنقول: (**اهدنا الصراط المستقيم**)، وهذا الصراط لك فيه قدوة، وقدوتك فيه أناس اختارهم الله، واصطفاهم، واجتباهم للحق، وعرّفهم به.

قال: (فإنه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)، وهذه النعمة: نعمة خاصة غير النعم العامة الداخلة في الرزق العام، مثل نعمة الهداية، والتوفيق للحق، والمعرفة به، والتزامه، ولزومه.

وهؤلاء القدوات هم أولاً : قال: (**النبيون**)، والنبي إذا أُطلق شمل الرسول، بما تقدم من أن الرسول فيه نبوّة وزيادة، فلذلك إذا أطلق الله النبيين دخل فيهم المرسلين، وهذه معروفة باللغة العربية.

قالوا: والصديقين، والصديق: هو الذي كمل صدقه، وتمسكه بالحق، وجزم بالحق، ودافع عنه، ودعا إليه، وعظّم أمره، ورفع شأنه، هذا يقال له صديق، والجمع: صديقين.

قال: (والشهداء) لأن الشهداء من أهل الجنة، وهم ما بذلوا أنفسهم في سبيل الله إلا لأنهم يؤمنون بالله، ويصدقون بما جاء به من الحق.

قال: (والصالحين) من عباد الله، الذين امتثلوا أمر الله، واجتنبوا نهيه، هؤلاء هم الصالحون، فالنبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، كلهم على ما في الكتاب والسنة متمسكين، ومعظمين، فهؤلاء هم قدوة أهل السنة والجماعة في التمسك بالكتاب والسنة، والعمل بهما، والعض على ما جاء بهما وعدم مغادرته.

قال المصنف رحمه الله: (**الفصل الثاني: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وقد دخل في هذه الجملة**)، يعني في توحيد الأسماء والصفات والكلام عليه، وما وصف الله به نفسه؛ من الأسماء التي ذكرها الله، والتي هي في الحقيقة أسماء وصفات.

قال المصنف رحمه الله: (**ما وصف به نفسه في (سورة الإخلاص) التي تعدل ثلث القرآن**) وسورة الإخلاص إنما سميت سورة الإخلاص؛ لأنها خلصت في وصف

الرب عزّ وجل، واستقلت به، وإنما صارت تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن شرع واعتقادات، شرع يتعلّق بالفقهيات، واعتقادات تتعلق بأنواع التوحيد الثلاثة، الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات، وقصص وأخبار عن الرسل والأمم الماضية، وما أجرى الله -سبحانه وتعالى- من العقوبات أو المثوبات، وسورة الإخلاص فيها الاعتقاد، فلذلك كانت ثلث القرآن من جهة المعنى، فلما كانت تعدل ثلث القرآن من جهة المعنى، كانت أيضا تعدله من جهة الثواب، لكن لاشك أن من قرأ القرآن كاملا، أو قرأ ثلث القرآن، ليس هو في الثواب مثل من يقرأ سورة الإخلاص وحدها.

قال المصنف رحمه الله: (**حيث يقول:(قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**) يقول الله -سبحانه وتعالى-: (**قل**) يعني: يا محمد، وفي ذلك دليل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - إنما جاء مبلِّغاً لكلامه؛ لأنه لو كان كلامه لما قال: (**هو الله أحد**) مباشرة، وقوله: (**قل**) أمر من الله - سبحانه وتعالى- لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم- بالتبليغ، وكما ترون فكلمة: (**أحد**)، جاءت هنا في باب الإثبات، والعادة في لغة العرب أن: (**أحد**) لا تستعمل إلا في حال النفي؛ فيقال: (لا أحد في الدار)، ولا يقال: (أحد في الدار)، وإنما أخرج كلمة: (أحد) عن هذا الاستعمال، لمزيد لفت النظر، لوجوب التوحيد.

وقوله: (أحد) اسم من أسماء الله - سبحانه تعالى -، دال على الوحدانية، الصفة منه: الوحدانية، و يشير كلام المؤلف - رحمه الله تعالى - أن أسماء الله أعلام

وأوصاف، أعلام تدل على الذات الإلهية، وهي تحمل في معناها وصف كمال الله جلّ وعلا، وكذلك الحال بالنسبة للفظ الجلالة: (الله)، الذي هو كما تقدم أعرف المعارف، يشتمل على صفة دالة على صفة الإلوهية، وهذا المعنى يختص به أسماء الله -سبحانه وتعالى-، أما أسماء المخلوقين فلا تكون إلا أعلامًا فقط، أو أوصافًا فقط، فإن كان المقصود بها الدلالة على الذات، صارت عَلَماً، وعندئذٍ تُنسى الوصفية في دلالته، حتى لو كانت مأخوذةً من وصف، وهذا يسمونه: العلم المشتق، فإنها تُتَناسى الوصفية عندئذٍ، أما الوصفية في حقه -سبحانه وتعالى- فمتوافقة مع أسمائه، ولذلك صارت أسماؤه أعلام وأوصاف، أما العلمية والوصفية في حق المخلوق فهي متناقضة، من صار عَلَماً لا يمكن أن يدل على صفة، ولذلك قد تسمي الإنسان: شجاعاً؛ وهو جبان! وقد تسمي الإنسان: محموداً، وهو مذموم في الحقيقة! فلما كانت أسماء الله متوافقةً من حيث الدلالة، كانت أوصافاً وأعلاماً، وأما أسماء المخلوقين فلا تكون إلا وصفًا فقط، أو علماً فقط، والنوع الثاني من العلم يسمى العلم المرتجل، هو الذي أُخذ من مادة لا تدل على الوصفية، والمشتق هو الذي أُخذ من مادة تدل على الوصفية، إلا أن المشتق إذا اشتق من وصف؛ فإنه يُتناسى الوصف عندما يصير علماً، فتكون دلالته على الذات فقط، أما بالنسبة لأسماء الله فتدل على الذات، وتدل على الصفة التي اشتق منها الاسم، لذلك قال المؤلف - رحمه الله - قال: (**دخل فيما وصف الله به نفسه**)، مع

أن هذه أسماء؛ لينبّه على أن هذه الأسماء تحمل صفات يتصف الرب -سبحانه وتعالى- بها.

قوله: (الله الصمد) هنا جعل الأسماء الحسنى تابعة للفظ الجلالة، قال: الله أحد، فجعل الأحد تابعاً للفظ الجلالة: (الله)، فاستعمل لفظ الجلالة استعمال الأعلام في دلالته على ذات ربنا جلّ وعلا، وجُعلت هذه الأسماء تابعةً له، فاستعملت استعمال الأوصاف، في دلالتها على صفة الوحدانية، ودلالتها على الصمدية، قالوا: ومعنى الصمد: (**هو ما لا جوف له**)، بمعنى أنه لا يأكل ولا يشرب، ولا يحتاج إلى النَّفَس، وما إلى ذلك من الأمور؛ لأن هذه لا يحتاج لها إلا من كان أجوفاً، فيحتاج لأن يملأ جوفه بالماء، أو يملأه بالطعام أو يملأه بالهواء. وقيل إن (**الصمد**) معناه: هو السيد؛ الذي كمل في سؤدده وعظمته، وقال ابن عباس: (**الصمد هو الكامل، الذي كَمُل في أوصافه**)[1]، وكل هذه المعاني يدل عليها لفظ: الصمد، ويدل على أنه قيّوم بذاته، ولا يحتاج لأحد من خلقه، ومن كان هذا حاله فلا بد أن يتصف بصفات الكمال كلها، واسم: (**الصمد**) اعتبره العلماء، من الأسماء الجوامع، يعني الذي يدل على أكثر من دلالة تدل عليها غيرها من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، فهو من الأسماء الجوامع، هذا هو جانب الإثبات.

---

(١) ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الصمد قولين، الأول رواه عنه عكرمة، قال الصمد: (يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم). والثاني رواه عنه علي بن أبي طلحة، قال الصمد: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده. انظر تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير(٥٢٨/٨).

نأتي بعد ذلك إلى جانب آخر، وهو النفي؛ لأن المؤلف قال: (إن الله جمع فيما سمّى به نفسه، بين النفي والإثبات) وهنا جاء بما يدل على ذلك، فالإثبات: (**قل هو الله أحد، الله الصمد**).

وقوله: (**لم يلد**)، يعني: لم تكن له زوجة، فيأتي منها بولد؛ لأن الولد يكون نائبًا لأبيه، ويكون عضدًا له، والله -سبحانه وتعالى - غني بنفسه عما سواه.

قال: (**ولم يولد**) يعني لم يكن له أب وأم فيولد منهما؛ لأن احتياجه للأب والأم، دليل على عدم الغنى، والله -سبحانه وتعالى - غني بذاته جلّ وعلا، فهو لم يلد، أي: لم يكن له ولد، (**ولم يولد**) يعني أنه -سبحانه وتعالى - لم تكن له أب وأم فيلدوه، كما هو الحال بالنسبة للمخلوقين، وإنما نفى عن نفسه -سبحانه وتعالى- هذه الأمور؛ لأنها دليل عدم الغنى، والله -سبحانه وتعالى- والله غني بذاته – سبحانه وتعالى –، قادر غير محتاج لغيرة.

قال: (**ولم يكن له كفوًا أحد**) كفواً يعني مماثلاً، ونداً ونظيراً، ومشابهاً، فهو - سبحانه وتعالى- كما أنه واحد في ألوهيته، وواحد في ربوبيته، فكذلك هو واحد منفرد بأسمائه-سبحانه وتعالى- وصفاته، لا يماثله فيها أحد من خلقه.

قال: (**وما وصف الله به نفسه في أعظم آية في كتاب الله، التي هي آية الكرسي**)، وهي أعظم آية في كتاب الله، وإنما قيل أنها أعظم آية في كتاب الله، لاشتمالها على معانٍ لم تشتمل عليها كثير من السور.

يقول الله في هذه الآية: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ ابتدأ أيضاً بلفظ الجلالة، وجعل سائر ما جاء من الأسماء، وهي: الحي، والقيوم، وغيرها؛ تابع للفظ الجلالة، واُستعمل لفظ الجلالة استعمال الأعلام في الدلالة على ذات الله -سبحانه وتعالى-، وإن كان هو دال أيضًا على صفة من صفاته وهي الألوهية.

قوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ هذه هي شهادة أن لا إله إلا الله، والمكونة من: «**لا**» النافية، و«**إله**»، والاستثناء، والإثبات الخاص بالله -سبحانه وتعالى- أنه إله، وقوله: (**لا إله**) أي لا معبود مطاع مطلقاً إلا هو، أي: إلا الله - سبحانه وتعالى- فمرجع الضمير إلى لفظ الجلالة، مما وصف الله به نفسه في هذه الآية.

قوله تعالى: «**الحي**» عرّف الحي بأنها تدل على أن حياة الله -سبحانه وتعالى- حياة كاملة لا يعتريها فناء أبداً، فهو موجود -سبحانه وتعالى - أزلاً وأبداً.

قال تعالى: (**القيوم**)، والقيوم: هو من قام بنفسه، فاستغنى عن غيره، فلا يحتاج إليه، وهو قيوم؛ لأنه قائم على حوائج خلقه، فلا يستطيعون الاستغناء عنه، لحاجتهم إليه، فاشتمل اسم القيوم، على بيان غنى الله -سبحانه وتعالى-، وغنى الله غنى ذاتي، وهو لا يحتاج إلى أحد أبداً، وهو غنيٌ بذاته، لم يستغن بشيء معين، فكان به غنيّاً، وإنما وصفه بالغنى مستقل عن سائر المخلوقات، غني قبل أن يخلقها، وقبل أن يوجدها، فليس غناه مترتب على وجود شيء مما هو ملك له - سبحانه وتعالى-، والخلق محتاجون إلى الله-سبحانه وتعالى- وفقرهم فقر ذاتي أيضاً، مهما استغنوا عن غيرهم فهم في النهاية فقراء إلى الله محتاجين إليه؛ لأن

نواصيهم بيد الله، غناهم، وفقرهم، وزواجهم، وأولادهم كثرةً وقلّةً، كل هذا بيد الله -سبحانه وتعالى-، فهو الذي يعطيهم، وإلا فليس هذا الغنى الذي حصل من طبعهم وحالهم، لأن حالهم الفقر، لكن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي أعطاهم أسباب الغنى إن كانوا أغنياء، وأسباب الرزق إن كانوا ممن يعملون ويسترزقون وما إلى ذلك.

قال: ﴿**لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾ هذا من كمال حياته، وقيامه بخلقه، وغناه بذاته، وقيوميته، أنه -سبحانه وتعالى- لا تصيبه سنة؛ يعني: نعاس، ولا يصيبه نوم، لأنه لو نعس، أو نام لهلكت هذه العوالم كلها؛ لأنها قائمة بقدرته، وإرادته -سبحانه وتعالى-، فهو الذي يسيرها، وهو الذي يضمن بقائها إلى أمدها، الذي قضاه -سبحانه وتعالى-، وفي هذا رد على اليهود الذين قالوا إن الله -سبحانه وتعالى- فقير وهم أغنياء، وقالوا: (**إن الله لما انتهى من خلق المخلوقات تعب فنام، وأخذته السنة والنوم**)، فنزّه نفسه -سبحانه وتعالى- عن مثل هذه الصفات، صفات النقص؛ لأنها منافية لكمال غناه -سبحانه وتعالى-، وكمال قيوميته جل وعلا، وفي هذا ما تقدم لنا من بيان معنى الصفة السلبية عند أهل السنة والجماعة، وهي أن كل صفة منفية في الكتاب والسنة، متضمنة للدلالة على الكمال، فنفي السنة والنوم دالان على كمال الحياة، وكمال القيومية، وهذا هو النفي الذي يستعمل في حقه -سبحانه وتعالى-، وأما النفي، الذي لا يدل على شيء من الكمال فهو لا يستعمل في حقه -سبحانه وتعالى-، وإن كان يستعمل في حق

خلقه؛ لأن الخلق فيهم من العيوب، والنقائص، ما قد يسلط النفي عليه، ولا يلزم النفي صفة عندهم، قد يكون عندهم صفة ضدها أكمل منها، بل قد يكون الصفة في أصلها ليست موجودة.

قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ اللام هنا، تفيد الملك والاختصاص، فهو مالك للسماوات وما فيها، وللأرض وما فيها، ومالك لما بينهما وما فيهما، والله - سبحانه وتعالى- هو الذي خلقه وأوجده، ووضع نظامه؛ أنظمته الكونية وأنظمته القدرية، ولذلك كان من حقه -سبحانه وتعالى- أن يضع أيضاً ما يجب على العباد أن يتعاملوا به مع هذه العوالم كلها من أمور الحلال أو أمور الحرام.

ومن كمال غناه وقيوميته -سبحانه وتعالى-، أنه لا يُشفع عنده إلا بإذنه، كما يحصل لملوك الأرض وعظمائها، فإنهم قد يدخل عليهم من يشفع بدون إذن، وذلك لأن الخلق بينهم مصالح مشتركة، فيه فوائد يستفيدها ذلك الكبير العظيم إذا استجاب للشفاعة؛ لأنه من تعظيمه، وهذا فيه فائدة له، وهو استجابة المعظم له، ويكون ذلك نوع مكانة له، ومنزلة عند الناس، بأن فلان حظي عند الرئيس الفلاني، أو المدير الفلاني، أو الملك الفلاني، أو ما أشبه ذلك، أما الله -سبحانه وتعالى- ليس له مصلحة عند الخلق، فإن أعطى فإنه يعطى عطاء المتفضل المتكرم، الذي لم يحوج خلقه لطلبه، العالم بحوائج خلقه -سبحانه وتعالى- ولذلك قال: (من ذا) يعني من هذا؟ وإنما قال (ذا) وهي تدل على القرب، ففيها دلالة على أن

الله -سبحانه وتعالى- قريب ممن يشفع عنده، وأن قربه هذا لا يتأثر بالشفاعة، فهو يعلمها قبل أن تكون إلا بعد أن يُعلم بها.

قال: ﴿**مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ**﴾ -سبحانه وتعالى-، ما فيه أحد يشفع عنده إلا بإذنه، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولا حتى النبي صلى الله عليه وسلم، الرسول عليه الصلاة والسلام عندما يشفع يوم القيامة، يستأذن أولاً، فيسجد حول العرش، ويحمد الله بما يفتح الله -سبحانه وتعالى- عليه، ثم يقول له الرب: «**اشفع تُشفّع وسل تعط**»[1] عندئذٍ يشفع النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولا يعني حصول الشفاعة له يوم القيامة، بعد إذن الله - سبحانه وتعالى- أنه يملكها الآن، هو لا يملكها، هوشبُرٍّ أن له شفاعة، ولا يعني تبشيره بها أنه يملكها، الذي يملكها هو الله - سبحانه وتعالى-، قال تعالى: ﴿**قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا**﴾.

والشفاعة عند المخلوق، في الدنيا، منها ما هو محرم، ومنها ما هو جائز، وقد يكون مستحباً، إذاً الشافعة لها ثلاث أحكام: حكم الحرمة، والجواز، وحكم الاستحباب، أما الحرمة: فذلك إذا كانت الشفاعة في ظلم الناس، أو أخذ حقوقهم، وأكل أموالهم، فإن هذه شفاعة محرمة، لا تجوز لأنها من التعاون على الإثم، والعدوان، وأنها من الظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة[2].

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه، انظر البخاري (٦٥٦٥)، مسلم (١٩٣).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، انظر البخاري (٢٤٤٧)، مسلم (٢٥٧٩).

النوع الثاني: الجائزة وهي الشفاعة في الأمور المباحة، من إعطاء إنسان شيئاً مباحاً، أو إعانة، أو ما أشبه ذلك، فهذه مباحة، فإن كانت في أمور مستحبة؛ كالإعانة على النكاح مثلاً، والإعانة على وجود وظيفة له، أو ما أشبه ذلك صارت مستحبة، يقول عليه الصلاة والسلام «**اشفعوا تؤجروا**»[1]، فإذا شفع الإنسان لغيره شفاعة مباحة، أو مستحبة، ليس فيها تضييع لحقوق الناس، ولا تقديم أحد على من هو أفضل منه، وأولى منه، فإن الشفاعة تكون في هذه الحالة جائزة أو مستحبة.

وهذه الشفاعة مقرونة بمشيئة الله –سبحانه وتعالى–، كما أنه ينبغي للعبد أن يقرن كلامه بالمشيئة، فليس ما يخبر به المخلوق عن المستقبل بأننا سنفعل كذا، ونعمل كذا هو أمر مجزوم به، لكنه يقول: (**إن شاء الله**)، لذلك ربنا –سبحانه وتعالى– قال لنبي من أنبيائه: ﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ** ﴾ لذلك على العبد أن يضع المشيئة، لأن الأشياء لا تقع إلا بإذن الله –سبحانه وتعالى–، ومن ذلك عدم وقوع موجب الدعاء، إذا انتفى شرطه، أو وجد ما يمنع منه، فقد يدعو الداعي ربه –سبحانه وتعالى– لكن يأتي ما يمنعه من الأمور فلا يحصل وقوعه، فهل نقول أن الله لم يعلم بعدم وقوعه؟ الجواب: لا، ولكن نقول: إن هذا الشيء أراده الله أن يقع، ولكن بتحقق شروط، وانتفاء موانع.

ولما بين عموم علمه – سبحانه وتعالى – بين أن علم المخلوقين علم قاصر، في غاية القصور، ولذلك قال تعالى: ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ** ﴾ وفي

---

(١) البخاري (١٤٣٢).

هذا دليل على أن من ادعى شيئاً من علم الغيب؛ أنه كاهن، وأنه كافر، لأنه مكذب لله ورسوله، لكون المخلوقين لا يحيطون بشيء من علم الله -سبحانه وتعالى-، وكل ما يعلمونه عندهم؛ هو من علمه -سبحانه وتعالى-.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ﴾ جعله نكرةً حتى يأخذ مأخذه في التعميم، يعني: أي شيء، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ إذا شاء الله -سبحانه وتعالى- أن يظهر ذلك المغيب، ويسمعه الناس، أو يعرف الناس عنه، هيأ الأدوات التي تخرجه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، وقد تقدم لنا هذا هنا؛ أن هذا لا يكون إلا بالوحي، وهذا طبعًا في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - لمّا كان يوحى إليه، وأما بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا ينكشف ذلك إلا بتقوية أدوات الحس، كما هو الحال في المناظير التي توسعت اليوم، بحيث أن الناس صاروا يشاهدون بعض النجوم الغائبة، التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وصاروا يصلون إلى معرفة منازل القمر رغم أنها غير ظاهرة، ولا واضحة، وعرفوا أيضًا عن الجراثيم أشياء ما كانت تعرف من قبل، وعرفوا أمورًا وأشياء لم تكن تخطر للناس على بال، والفضل يرجع في كل هذه الأمور إلى الله؛ لأن الله، هيأ لهم الأسباب، حتى يصلوا إليها، ويستفيدوا منها، وفي هذا دليل على أنه لا يجوز للإنسان أن يطلب الغيب؛ لأنه لن يستطيع الوصول إليه، بل إن طلبه فإنه سيكل، ويمل، ويفشل، ويضيع وقته وعمره في غير طائل، ومن هنا ظلّ كثير ممن حاول أن يكتشف المغيبات؛ كبعض الناس الذين دخلوا في قضايا

الأسماء والصفات، حتى وصلوا إلى درجة التعطيل والتمثيل لله، أو غيرهم ممن حاول استدراك مكنونات النفوس ففشلوا، وذلّوا، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى شيء من هذا.

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ هذا من سعة ملكه -سبحانه وتعالى- أن ما يملكه جلّ وعلا بعضه أوسع من بعض، وبعضه أكبر من بعض، وقد ورد في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم-: أن السموات السبع، والأرضين السبع، بالنسبة للعرش مثل الحلقة الصغيرة، الملقاة في البر، أو الملقاة في الصحراء[1]، فهي ليست بشيء بالنسبة للكرسي، فالكرسي هو أكبر المخلوقات على وجه الإطلاق، يعني أكبر من السماوات والأرض، وهناك ما هو أكبر منه طبعاً؛ وهو عرش الرحمن، والكرسي كما قال ابن عباس: **(الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره)**[2] وهو مثل المرقاة، مثل الدرج، الذي يرقى عليه الإنسان، ولا يقال إن ذلك من قول ابن عباس رضي الله عنه، وهو مشهور بالأخذ عن الإسرائيليات! لأن ذلك من أبواب العقيدة، ولا يمكن لابن عباس رضي الله عنه أن يبلغ مثل هذا للناس، وهو يعلم أنه من كذب على الرسول متعمدا فمكانه جهنم[3] والعياذ بالله، والحديث مرفوع حكماً، ولكنه

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ١٤٩)، وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على بشر المرّيسي (ص٧٤). والحديث سنده ضعيف.

(٢) انظر السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٣٠١/١)، والتوحيد لابن خزيمة (٢٤٨/١) والأثر ثابت عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٣٣/١)، مسلم (٢).

ليس مرفوعاً حقيقةً، فإن الحديث إذا كان متصلاً بالنبي - صلى الله عليه وسلم- إسناداً بأن قال الصحابي: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهذا يسمى: مرفوع حقيقةً، فإن كان الصحابي يذكر شيئاً لا مجال للعقل فيه، ولا للرأي ولا للنظر، كأن يذكر شيئاً من أحوال القبر، أو يذكر شيئًا من هذه الأمور التي لا يمكن أن تكون مبنية على مجرد رأي وفكر، فهذا يسمى: مرفوع حكماً للنبي صلى الله عليه وسلم، فالصحابي لا يقول: قال رسول الله، ولكن يحدث به، مثل الحديث المشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ عندما وصف الصراط بأنه يروغ كما يروغ الثعبان، وأنه ضيق، وما أشبه ذلك، فهذا يعتبر توقيفاً، هذا بحكم المرفوع.

الشاهد في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾المقصود بها هي المرقاة للعرش، وليست هي العلم، كما يروونه عن ابن عباس، بسند ضعيف[1]، فإن محمد بن مروان

(١) انظر الطبري (٥/٤٠١) تحقيق شاكر، وقد جاء في الحاشية تعليقا على هذا الأثر ما نصه: (العجب لأبي جعفر، كيف تناقض قوله في هذا الموضع! فإنه بدأ فقال: إن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، من الحديث في صفة الكرسي، ثم عاد في هذا الموضع يقول: وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن، فقول ابن عباس أنه علم الله سبحانه. فإما هذا وإما هذا، وغير ممكن أن يكون أولى التأويلات في معنى «الكرسي» هو الذي جاء في الحديث الأول، ويكون معناه أيضًا «العلم»، كما زعم أنه دل على صحته ظاهر القرآن. وكيف يجمع في تأويل واحد، معنيان مختلفان في الصفة والجوهر! ! وإذا كان خبر جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، صحيح الإسناد، فإن الخبر الآخر الذي رواه مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، صحيح الإسناد على شرط الشيخين، كما قال الحاكم، وكما في مجمع الزوائد ٦: ٣٢٣ «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح»، كما بينته في التعليق على الأثر: ٥٧٩٢. ومهما قيل فيها، فلن يكون أحدهما أرجح من الآخر إلا بمرجح يجب التسليم له. وأما أبو منصور الأزهري فقد قال في ذكر الكرسي: «والصحيح عن ابن عباس ما رواه عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال:

السدِّي، رجل ضعيف، متروك، متهم، فلذلك رواياته عن ابن عباس روايات ضعيفة، غير صحيحة، وإنما اعتمد البخاري- رحمه الله تعالى - على رواية بن أبي طلحة؛ لأنها متصلة، بابن عباس فهي قوية، لذلك البخاري تجده في كتابة التفسير من البخاري، ينقل دوماً من هذا الرواية، ولا ينقل من رواية محمد بن مروان السدي.

قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يعني حواهما لصغرهما بالنسبة إليه، وهناك -كما قلت- ما هو أعظم من الكرسي، وهو عرش الرحمن، الذي هو أكبر المخلوقات.

لما ذكر هذه المخلوقات، وإحاطته - سبحانه وتعالى – بها، بين أن هذه المخلوقات على كبرها، وعظمها، لا تتعبه -سبحانه وتعالى-، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: لا تتعبه، ولا تعجزه، ولا تضعفه، ولا تقلل من قدرته.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾يعني: حفظ السماوات والأرض، والكرسي، وغيرها، من المخلوقات، فهو - سبحانه وتعالى- يعلم شؤونها كلها، لا تغيب عنه أبداً، ولولا علمه، وقدرته، وإرادته، لتهتّكت ولتكسرت، ولذهب هذا العالم كله، ولمايبنَّ علو الكرسي على السماوات والأرض، بين لنا أنه متعالٍ على ذلك كله، علو قدر، وعلو قهر، وعلو قدر، ومكانة ومكان، فهو -سبحانه وتعالى- فوق مخلوقاته

«الكرسي موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره». قال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها. قال: ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم، فقد أبطل»، وهذا هو قول أهل الحق إن شاء الله).

كلها، بائنٌ منهم لا يغيب عنه شيء من أحوالهم، فهو -سبحانه وتعالى- بعيد في دنوِّه، وقريب في علوِّه، ولا يتنافى علوّه مع دنوّه، ولا قربه مع علوه؛ لأن الله أخبر عنهما، وهو لا يجمع بين محالين، ولأنه لو جاز استحالتها بالنسبة للمخلوق، لما كان ذلك محالاً بالنسبة له -سبحانه وتعالى-، وذلك لعجز المخلوق، وكمال قدرة الخالق جلّ وعلا، لأجل هذه المعاني، يقول الشيخ: (ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح) يعني لعظم هذه الآية، وما اشتملت عليه من معاني عظيمة، وجليلة، كان من قرأ هذه الآية في ليلة، لم يزل عليه من الله حافظ[1].

وما ذكره الله تعالى في هذه الآية، من الأمور العظيمة والجليلة تدل على أن هذه الآية شملت معاني كبيرة، من شأنها أن يكون لها تأثير بمن آمن بها وصدق وقرأ هذه الآية، ولذلك من قرأها في ليله كفاه الله تعالى شر الشياطين، والجن، والإنس، ولا يقربنّه شيطان، حتى يصبح، كما جاء في الحديث الصحيح المشهور[2]، الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه -؛ وكيف أن الشيطان جاءه ثلاث ليالي، يحتسي من الصدقة، ويأخذ منها ويمسكه أبو هريرة، وجاء - صلى الله عليه وسلم - وأعلمه بالخبر قال له: «**ذلك الشيطان**»، في آخر ليلة قال: ألا علمك كلمات إذا أنت قلتها لا يقربك شيطان؟ قال: أبو هريرة: نعم. فعلمه الشيطان آية الكرسي، فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم: «**صدقك وهو كذوب**». يعني

---

(١) البخاري (٣/١٠١).
(٢) المصدر السابق.

ليس طبعه الصدق، هو طبعه الكذب، لكنه في هذه المرة صدقك خوفًا على نفسه أن يأتي به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان يهابه، ويخافه، فصدقه عندما علمه آية الكرسي، وعلى هذا فالحجة في الحقيقة قول النبي - صلى الله عليه وسلم- لذلك لو أن أبا هريرة نقل هذا القول عن الشيطان وسكت؛ لكان قراءة هذه السورة بدعة لا تجوز، لكنه لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ ومن ثم أقره النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: «**صدقك وهو كذوب**»، صارت الحجة في قول النبي - صلى الله عليه وسلم -، وليس في قول الشيطان.

سبق وأن ذكرنا أن طريقة القرآن في باب الأسماء والصفات، أنه له طريقان في الإثبات، طريق إجمالي، وطريق تفصيلي، قلنا: أما الدليل الإجمالي، وهو أن يذكر لنا لفظاً في القرآن، يعُمّ الكمالات، مثل: (**الله الصمد**) يعم، (**قل هو الله أحد**) يعم الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

قوله: (**سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون**)[1] في شموله لنفي جميع النقائص، والعيوب عن الله -سبحانه وتعالى-، هذه تسمى طريقة عامة، أو تسمى طريقة إجمالية، ما ذكره بعد ذلك المؤلف - رحمه الله – من: حي، وقيوم، وعلم الله، وما إلى ذلك، هذه كلها تفاصيل، هذه طريقة تفصيلية، وكل ما سيذكره لنا، هو داخل في التفصيل.

---

(١) شرح الشيخ هذه الآية وفي المتن آية أخرى ﮋ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي ﮊ ﮋ.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

قوله: (الأول)، كما فسره النبي - صلى الله عليه وسلم -: «**هو الأول الذي ليس قبله شيء**»[(١)]، ليس قبل الله شيء أبداً، وهو الآخر، فسره النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «**فليس بعده شيء**»، فما ثمة شيء بعد الله، الموجودات كلها قبل الله -سبحانه وتعالى- وأقصد بكلمة قبل الله -سبحانه وتعالى- يعني أنه موجود -سبحانه وتعالى- في الأزل، والأبد، لا يجوز عليه الفناء أبداً، وأما المخلوقات، فهذه يجوز عليها الفناء، فالرسول صلى الله عليه قال: (الأول الذي ليس قبله شيء)، فهو باق في الزمن الماضي، وهو الآخر ليس بعده شيء، فهو الدائم - سبحانه وتعالى- في الزمن المستقبل، لا يفنى، بل وجوده -سبحانه وتعالى- لا حد له، كما أن ابتداءه لا حد له، فكذلك انتهاؤه لا حد له -سبحانه وتعالى-، فهو الباقي على الدوام، والاستمرار.

قال: (وهو الظاهر)، فسرها النبي - صلى الله عليه وسلم – قال: (فليس فوقه شيء)، فما ثمة من المخلوقات شيء فوق الله، كلها تحته -سبحانه وتعالى-، هو الذي فوقها، ففيه إثبات الفوقية لله -سبحانه وتعالى-، وصفة الأولية، والآخرية، والظاهرية، هذه كلها صفات لله ذاتية؛ لأنه كما تقدم لنا أن صفات الله -سبحانه وتعالى- تنقسم إلى قسمين: صفات ثبوتية، وهي التي تدل على معان اتصف

---

(١) أخرجه الإمام مسلم (٢٧١٣).

الرب عز وجل بها، وهذه تنقسم إلى قسمين، قلنا: صفات ذاتية، لا تنفك عن الله في حال من الأحوال، وصفات فعلية لله -سبحانه وتعالى-؛ إن شاء فعلها وإن شاء تركها، وسيأتي مزيد من التفصيل في هذا.

قال: (وهو الباطن)، فسرها النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (**وهو الباطن فليس دونه شيء**)، فهو قريب من عباده، أقرب لأحدكم من شعث نعله، هو في علوه، لكنه يعلم كل ما يعمله العاملون، لا يخفى عليه شيء - سبحانه وتعالى-، فهذه الصفات والأسماء الأربعة، من أعظم الأسماء وأجلها، ومن أفضلها دلالة؛ لأنها تدل على بقاء الله -سبحانه وتعالى-، وتدل على مكانه، ومكانته، وقهره لعباده، وعلمه بما يحيط بهم، وأنه لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، ولذلك فإن الله -سبحانه وتعالى- بعد ما جاء بكلمة الباطن قال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فدل ذلك على أن الباطن معناه أنه قريب من خلقه -سبحانه وتعالى-، يعلم ما هم عاملون، لا تخفى عليه خافية، وقد تقدم قولنا في الكلام على مسألة القرب في صفات الله عز وجل، وقلنا: إن من العلماء من رأى أن القرب من الصفات التي تنقسم إلى عامة وخاصة، ومن العلماء من قال: لا، إن القرب لا يأتي إلا خاص، فهو قريب من الداعين، فيجيب دعاء الداعين، و يغفر للمستغفرين، وفي نفس الوقت فإن قربه قرب خاص، وليس قرباً عاماً، لذلك ما ذكر الله -سبحانه وتعالى- قربه إلا من المحسنين، ومن المؤمنين، ولم يذكر قرباً عاماً.

أما المعية فذكر فيها عموماً وخصوصاً، ذكر معيته لعموم خلقه: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾، وذكر المعية الخاصة لبعض عباده: ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾، فهذه تعتبر معية خاصة، أما القرب فلم يرد في القرآن إلا عام، كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–، ومن العلماء من رأى أن القرب مثل المعية، بانقسامه إلى قسمين، لكن الذي يظهر والله أعلم أن القول الصحيح: إن القرب لم يرد إلا خاصاً، لم يرد خاصاً وعاماً.

مما يدخل أيضاً فيما وصف الله به نفسه قوله:

﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ** ﴾ **[الفرقان: ٥٨]** وتوكل يعني: فوض أمرك إلى الله، وقال: الحي؛ لأن الذي يموت لا يمكن تفويض الأمر إليه؛ لأنه قاصر، فلا تجده يستطيع قضاء حوائجك، أما الذي لا يموت فإنك إذا توكلت عليه توكلت على ركن قوي مستمر موجود، والحي: هو الله –سبحانه وتعالى–؛ الموصوف بصفة الحياة الدائمة المستمرة، كما تقدم لنا من أن التعريف بـ الألف واللام يدل على استمرار الحياة، وأنها حياة كاملة مستمرة، قال تعالى: ﴿ **الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ** ﴾ هذا تأكيد لمعنى الحياة، أكد بالتعريف، بالألف واللام، وأكده أيضاً بالجملة الاسمية ﴿ **الَّذِي لَا يَمُوتُ** ﴾، فالله –سبحانه وتعالى– حي على الدوام، والاستمرار، وليس ثمة أحد يماثله في الحياة، أما ما دلت عليه النصوص من بقاء الحور العين، والجنة والنار، فإن هذا الدوام بالنسبة لهما ليس طبعاً ولا حالاً، وإنما أمر وارد عليهما، بجعل الله –سبحانه وتعالى– لهما دائمين، وإلا لو لم يجعلهما الله

دائمين لفنيا، فلذلك قال بعض أهل العلم: (**بأن النار تفنى تغليبًا للرحمة على الغضب**)، والذي عليه جماهير أهل العلم من أهل السنة والجماعة، والظاهر من دلالة الكتاب والسنة أنهما باقيان على الدوام والاستمرار. فالمقصود هو التفريق بين الحياة المنسوبة لله -سبحانه وتعالى- والحياة الدائمة المنسوبة لغيره؛ لأن الحياة المنسوبة لله -سبحانه وتعالى- حياة دائمة مستمرة، لا يطرأ عليها الفناء أبداً ولا الموت، وأما الحياة التي في الجنة وما إلى ذلك فإنها صالحة لطروء الحياة والموت عليها، لكن الله يمنعها الموت فتدوم، فليس حياتها لذاتها، وإنما حياتها لإبقاء الله -سبحانه وتعالى – لها.

قوله سبحانه: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[**التحريم: ٣**]، إثبات لصفتين، الصفة الأولى: صفة العلم، والثانية: صفة الحكمة.

والحكمة: هي الغايات المحمودة للرب عز وجل في خلقه، وفي أمره، فما خلق إلا لحكمة، وما أمر إلا لحكمة، لكن هذه الحكمة قد نعلمها عن طريق الوحي، وقد نعلمها عن طريق الاجتهاد، ولا يلزم أن تكون الحكمة شيئاً واحداً، فقد تكون الحكمة عشرة أو خمسة عشر سبباً تسمى كلها حكمة، المهم أن الله -سبحانه وتعالى- له حكمة في كل شريعةشرّعها، وفي كل خلق خلقه، وجهلنا بحكمته لا يمنع وجودها، ولذلك نحن نؤمن بأن الله حكيم في كل شيء، في الأمر، والنهي، وفي الخلق، حتى لو خفيت علينا الحكمة نقول: حكمة لا نعلمها، أما السؤال عن الحكمة والبحث فيها، فينقسم إلى قسمين، إما أن يكون البحث عن الحكمة بيان

وإيضاح واستطلاع عظمة الله -سبحانه وتعالى- فيما خلق، فهذا سواء كان بحثاً أو سؤلاً لعالم فهو جائز، إذا سأل إنسان عالماً عن الحكمة في شيء، فهذا السؤال جائز، مادام هذا هو مقصوده، أما إذا كان المقصود من السؤال عن الحكمة هو التعنت والاعتراض على الله -سبحانه وتعالى-، فهذا أمر محرم، **(لا يُسأل عم يفعل وهم يسألون)** يعني لا يُسأل عن حكمة ما فعل، لماذا فعل الله هذا و ترك الله هذا؟! لا يُسأل الله أمثال هذه الأسئلة، فهذا حرام إذا كان مقصوده منها الاعتراض على الله، والقدح في حكمته، وأما إذا كان المقصود الأول فهو جائز، والعلم صفه ذاتية، وأما الحكمة فتنقسم إلى قسمين: حكمة شرعية، وهذه يجعلونها صفةً فعليةً، وحكمة قدرية، وهذه يقولون إنها صفة ذاتية.

قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ أيضاً هذا فيه إثبات لصفة الحكمة، وفيه إثبات لصفة الخبرة، التي هي منبثقة عن العلم، فالخبرة هي العلم بدقائق الأمور، ولذلك لا يُقال لإنسان أنه خبير في شيء إلا إذا قضى فيه سنين طويلة، وصار متقناً له، فيقولون: فلان خبير بالموضوع هذا، فإذاً الخبرة هي: العلم بدقائق الأشياء، ففيه إثبات لفظ الحكمة، وإثبات الخبرة، والخبرة علم وزيادة، يعني أكثر من العلم ليست مجرد علم.

قوله - سبحانه وتعالى-: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ فيه إثبات صفة العلم لله -سبحانه وتعالى-، وبيان أن علمه -سبحانه وتعالى- شامل في كل شيء، فهو يعلم ما يلج في الأرض من الحيوانات، من

الحبوب، من جذور النباتات، وما إلى ذلك من الأموات، التي تكون تحت الأرض مدفونة، وغير ذلك من الأمور، التي تكون في داخل الأرض، من الغازات، كل هذه يعلمها -سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يعني: ما يخرج من الأرض، من المياه، من النباتات التي تخرج على وجه الأرض، إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأمطار، كل قطرة من المطر فالله يعلمها، ويعلم أين وقعت، وما الذي قُدِّر بسببها، والمقصود طبعاً بالسماء هنا: ما علا وارتفع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ المقصود بالعروج: هو ما يرتفع إلى السماء، ويذهب إليها، سواءً كان ذلك من مسترقي السمع، أو من الملائكة؛ الذين يذهبون بكتب الأعمال، أو ما أشبه ذلك، كل هذا مما يعلمه الله -سبحانه وتعالى-، وإنما فصل الله - سبحانه وتعالى- في أنواع المعلومات لكثرتها، فقد يتوهم الإنسان أنه يعلم أشياء كثيرة، لذلك جاء بألفاظ فيها عموم وشمول، حتى لا يبقى شيء إلا وهو داخل فيما يعلمه الله -سبحانه وتعالى-.

قوله سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: ٥٩] المؤلف ركّز على قضية العلم؛ لأن العلم قد خالف فيه كبار المبتدعة من الفرق الضالة، فمنهم من قال إنه لا يعلم الجزئيات، ومنهم من قال إنه لا يعلم أفعال العباد وما سيعملون قبل أن يعملوها، فادعوا دعاوى، ولكل

منهم في هذا الباب دعاوى كثيرة، لذلك المؤلف أكثر من الاستدلال على إثبات صفة العلم، ونوّع في الاستدلال عليها، حتى يشمل كثيراً من الأمور، وينفي كثيراً من الأمور التي ادعاها المبتدعة، وعندما ذكر الله -سبحانه وتعالى- أن هناك مفاتح الغيب، والمقصود بمفاتح الغيب: ما كان أعلاها شأناً وأعظمها، والتي منها: علم الله - سبحانه وتعالى- بالكسب وبالرزق، وعلم الله -سبحانه وتعالى- بما في بطون الأمهات؛ من ذكور أو إناث، وعلمه بقيام الساعة، إلى غير ذلك، فهي خمسة أشياء، ذكرها الله -سبحانه وتعالى- في كتابه تسمى مفاتح الغيب، وخصّها بالذكر لعظمها وجلالتها وعلو مكانتها، ثم بعد ذلك بأسلوب عام لسائر الموجودات، فقال سبحانه: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أولاً بدأ بمفاتح الغيب، ثم بعد ذلك عمم أمر الغيب، وأن هذه الخمسة ليست المخصوصة بعلم الغيب، وإنما هناك غيرها مما هو داخل في علم الغيب، الذي لا يعلمه إلا الله – سبحانه – ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ وهذه تفصيلات تدل على أن الله يعلم الجزئيات، يعلم قطرات الأمطار، ويعلم كم هي عروق الأشجار، وكم هي النباتات التي أنبتها، وكم عدد أورقها، وغير ذلك من الأمور التي يعلمها – سبحانه وتعالى- ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ قد يقول قائل: قد علمنا أنه يعلم كل شيء في النهار والنور، كيف في الظلام؟ ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ فلا يحد بصره -سبحانه وتعالى- وعلمه بالأشياء وجود الظلمة، هي تحد علمنا لكنها لا تحد علم الله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ كل هذه الأشياء مسطرة في اللوح المحفوظ، قد علمها الله قبل خلقها، وقبل إيجادها، ثم أوجدها الله -سبحانه وتعالى- بقدرته، وإرادته، وحكمته البالغة، ووضع كل شيء في موضعه المناسب، وفي مكانه المقدر له، وإلى زمنه المقدر له منه -سبحانه وتعالى-.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، وسماه كتاباً لأنه يجمع ما كُتب فيه؛ لأن الكتاب معناه في اللغة العربية: الجمع، ولذلك قالوا: كتيبة؛ لأنها تجمع الجنود، وكتابة: لأنها تجمع الحروف، وهكذا.

قوله: ﴿مُّبِينٍ﴾ يعني: ظاهر وواضح، كل شيء مكتوب فيه على سبيل الوضوح، والظهور، بحيث أنه كُتب بأسلوب لا خفاء فيه.

قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]. هذا من مفاتح الغيب؛ ما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه -سبحانه وتعالى-، فهو يعلم أنها ستحمل قبل حملها، ويعلم ما هو حملها من ذكر أو أنثى، ويعلم كم سيبقى هذا الحمل، وفي أي يوم، وفي أي ساعة، وفي أي ثانية سيولد.

قال: ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ ، فلا شيء يخرج عن علم الله -سبحانه وتعالى-، لا يولد مولود، ولا يموت ميت، ولا تحمل أنثى من ذكر، أو أنثى إلا والله - سبحانه وتعالى - يعلمه، وفيه أيضاً إثبات علم الله -سبحانه وتعالى- بالجزئيات.

قوله سبحانه: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [**الطلاق**: ١٢] اللام هنا تعليل لما قبلها، (**تعلموا**) يعني: أنتم أيها الآدميون تعلمون أن الناس مخلوقات من مخلوقات الله، أوجدها ووضعها على هذا النظام، لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، فلا يوجد شيء يخرج عن قدرة الله -سبحانه وتعالى-، فهو لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، ففيه إثبات صفة العلم؛ لأنه يجعل الغيب عنده معلوماً، واقعاً، مشاهداً، فيعلمه الناس، وفيه بيان أن هذه الأشياء وقعت بقدرة الله -سبحانه وتعالى-، وأنه لا تعجزه جلّ وعلا، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، هذه صفة العلم التي تقدم بيانها؛ لأن علمه يحيط بكل شيء.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ بين في هذه الآية أن الله -سبحانه وتعالى- قد وسع علمه الأشياء كلها، وذِكر: (شيء) فيه الدلالة على العموم، وهو يشمل كما تقدم الجائزات، ويشمل الواجبات، ويشمل الممكنات، والمعدمات، فما ثمّة شيء إلا والله -سبحانه وتعالى- يعلمه، وفيه إثبات صفة العلم على ما تقدم، وفيه إثبات نعمه على جميع خلقه -سبحانه وتعالى-.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [**الذاريات**: ٥٨]. فيه إثبات ألوهية الله -سبحانه وتعالى-، والتي دل عليها لفظ الجلالة، وفيه إثبات الرزق، فقال: ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾ وهي صيغة مبالغة، يعني: الذي يرزق الناس كثيراً، وما من مخلوق إلا والذي يرزقه هو الله، ولذلك جاء في الحديث: (**أن الله -سبحانه وتعالى- يأمر**

الملك بكتابة رزقه وأجله، وشقي هو أم سعيد)[1] فما يوجد إنسان يموت، إلا وقد استوفى هذه الأشياء، استوفى الرزق كاملاً، فإذا كان له رزق في شيء؛ فلن يموت حتى يحصله، ولا يتأخر عنه، وهذه من الأمور الكونية التي لا تختص لا بمؤمن ولا بكافر، فهو يرزق الكافر كما يرزق المؤمن، بل إن الكافر قد يكون له في هذه الدنيا من الأمور ما ليس للمؤمن، وذلك لأن الله -سبحانه وتعالى- أراد الآخرة للمؤمنين، وأما الكفار فعجل لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، ثم إذا ماتوا لم يكن لهم ثواب، بل يكون عليهم إثم؛ لأن كل نعمة من هذه النعم التي تصلهم يأثمون على عدم شكرها، فتكون ذنوباً عليهم، ولذلك فإن الكافر يؤخذ إلى النار ولا يُحاسب، ولا يحتاج للحساب؛ لأن أعماله كلها كفر وجحود لنعمة الله -سبحانه وتعالى-، فإذاً الحساب للمؤمن بالله - سبحانه وتعالى - الذي عمل بعض السيئات ونحو ذلك، ولذلك الكافر إذا أُخذ إلى النار تمنى أن يكون تراباً إذا رأى البهائم، عندما يأمر الله -سبحانه وتعالى- أن تكون البهائم تراباً، يتمنى الكافر هو أيضاً أن يكون مثل البهائم، لأنه إذا لم يكن تراباً فيسكون مصيره إلى النار.

والرزق إنما يأتي بأسبابه، فهو من الأمور القدرية، يعني: لا يظُنّن إنسان أنه ينام ويأتيه رزقه، هذا محال، ولكن الله قدر الرزق بأسبابه، فقد كتب في اللوح المحفوظ أن الرزق لا يأتي إلا بالسعي، ولذلك جاء بالحديث: **(لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا)**[2] **قال: (تغدوا)** ما قال: تقعد، ولكن قال:

(١) البخاري (١/٧٠)، مسلم (٢٦٤٦).
(٢) الترمذي (٢٣٤٤)، ابن ماجة (٤١٦٤)، والحديث صححه الألباني.

إنها تروح في أول النهار تطلب رزقها وترجع، فكذلك الواجب على العبد، أن يعلم أن رزقه مقدر بأسبابه، فلابد من الحركة في طلب الرزق، وهذا رد على الصوفية، الذين سمّاهم شيخ الإسلام ابن تيمية: (**صوفية الأرزاق**)، وهم الذين يعيشون في المساجد وغيرها، على صدقات الناس مع ما فيهم من القوة والقدرة، لذلك لا يجوز للمسلم أبداً أن يعتمد على صدقات الناس، فيجلس ولا يتحرك، ولا يطلب العمل وأسباب الرزق، ولكن لابد أن يطلب أسباب الرزق، ودل ذلك على أن الأسباب لابد من تعاطيها؛ فهي من القدر أيضاً، ولابد للمؤمن أن يتعاطى الأسباب ولا يتركها، لكنه لا يعتمد عليها، فالاعتماد على الأسباب شرك بالله، وأما الأخذ بالأسباب والتعامل معها، فإنه من الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأن الله ربط الأشياء بأسبابها.

قوله: ﴿ **ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ** ﴾ فيه إثبات لصفة القوة لله تعالى، وهي من الصفات الذاتية، قوله: (المتين)، المتين: هو بمعنى القوة أيضاً، ولذلك يقال هذا حبل متين، يعني حبل قوي متقن، والله -سبحانه وتعالى- له صفة القوة، التي لا يفوقها قوة، ولذلك من اعتمد على الله -سبحانه وتعالى- فقد اعتمد على ركن متين قوي، ﴿**ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ**﴾ يعني صاحبها المتصف بها -سبحانه وتعالى-.

وَقَوْلُهُ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [**الشورى: ١١**] تقدم أن الله -سبحانه وتعالى- جمع في هذه الآية بين النفي والإثبات، إثبات الصفات له، وهو السمع والبصر، ونفى ما ينافيها من النقائص والعيوب بقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ**

﴿ شَيۡءٞ ﴾ (شيء) لفظ نكرة فتعم، وجاءت في سياق النفي، وكل نكرة في سياق النفي تعم، فليس ثمة مماثل لله -سبحانه وتعالى- في شيء، لا في صفاته، ولا في ذاته، ولا في أفعاله، وقد تقدم قولنا: إن تقديم الله -سبحانه وتعالى- لنفي التمثيل دليل على أن الإثبات ليس تمثيلاً كما يقوله أهل البدع، بل هو من الحق الذي يجب إثباته والإيمان به، وتقدم أن الآية اشتملت على إثبات مفصّل ونفي مجمل، فأجمل الله -سبحانه وتعالى- في قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾، وفصّل في بيان ما يتصف به، في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾، وذكرنا أن الآية ردٌ أيضاً على المحرف، والمعطل، والمكيف، والممثل، بقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾.

وقلنا إن الإثبات هنا رد على المعطِّلة، وبينا وجه قولنا: إن في قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ رد على المحرف، والمعطل، والمكيف، والممثل؛ لأننا قلنا إنه ما من واحد من هؤلاء، إلا والتمثيل هو أصل اعتقاده، ولما اعتقد أن هذه الصفات هي مشابهه لله في المخلوقات عطلها وحرفها ولربما مثّلها، فالتمثيل هو الأصل.

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء: ٥٨].يعني: ما يبينه الله لكم، مما ذكره من الجنة والنار؛ هذا يسمى «وعظ»، والوعظ هو الجمع بين الوعد والوعيد في كلام المتكلم، وقد بدأ الله -سبحانه وتعالى- وأعاد في وعظنا، فذكر الجنة وذكر النار، وذكر أحوال الكل، أهل النار، وأهل الجنة،

وثواب هؤلاء، وعقاب هؤلاء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ بعد ما بين أنه وعظنا، بين أنه سميع بصير، يشاهد ما نعمله، وما نفعله، بل ويشاهد ما في قلوبنا، مهما دق من الإرادات، ويرى الدم يجري في العروق، فهو -سبحانه وتعالى- لا تخفى عليه خافية، ففيه إثبات صفة السمع، والبصر وعمومهما، فالسمع والبصر عموم، وهو ما ذكرناه من أنه لا يخفى عليه صوت من الأصوات أبداً، مهما دق، ومهما خفي علينا، وكذلك يبصر كل شيء مهما دق وصغر، فلا تخفى عليه -سبحانه وتعالى- خافية، لا علماً، ولا سمعاً، ولا بصراً.

قوله سبحانه: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩] هذا بالنسبة للرجلين، أحدهما عنده جنة، والآخر عنده جنة، أحدهما رجل صاحب صدقة، يعتني بجنته، و يتصدق، ويؤمن بالله -سبحانه وتعالى-، ويرجو ثواب الله -سبحانه وتعالى-، والثاني كان لا يرجو ثواب الله، يظن أن هذه الجنة هي آخر المنتهى، وأنه إذا مات لا يُبعث ولا يُعاقب على أفعاله، فخاطب الرجل صاحبه وصديقه هذا وجاره فيما قال الله عنهم: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ يعني: يوم دخلت ورأيت ما أعطاك الله -سبحانه وتعالى- من النعمة والفضل، من الأشجار الخضراء، والفواكه، وغيرها، كان الواجب عليك أن تقول: ما شاء الله، فتنسب ذلك إلى الله -سبحانه وتعالى-؛ لأنه هو الذي أعطاك، ففي هذا إثبات صفة المشيئة لله -سبحانه وتعالى-، وفيه دليل على أن الإنسان ينبغي عليه إذا رأى شيئا طيباً حسناً وأعجبه؛ أن يقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ وفيه إثبات صفة

القوة لله - سبحانه وتعالى -، وهذه الصفة لا يقف أمامها أحد أبداً، مهما كانت قوته، ومهما كانت عظمته، والمشيئة من الصفات الذاتية أيضاً، ولا يقع شيء في السماوات والأرض إلا إذا شاء الله -سبحانه وتعالى-، وبناءً على ذلك فمشيئة المخلوق مقيدة بمشيئة الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فدل ذلك على أن الفعل لا يقع من العبد إلا إذا تعلقت به المشيئة، مشيئة الله الموجبة للخلق والإيجاد، ومشيئة المخلوق الموجبة للعزم والإرادة والحركة والفعل، فدل على أن المخلوق له فعل، وله إرادة، وله مشيئة، وأنه ليس مجبوراً على ما يفعله، بل هو يفعل بإرادة، ويفعل بمشيئة،﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ وإنما ذكر القوة بعد ذلك لأنه ذكر أن للإنسان مشيئة، فقد يستعمل الإنسان ما يشاء في الظلم وإيذاء الناس والإفساد في الأرض، فبين له أن القوة لله -سبحانه وتعالى-، وأن هناك من هو أقوى منه ويعاقبه ويحاسبه على كل ما يفعله، والمشيئة قلنا أنها صفة ذاتية، أما الإرادة فتنقسم إلى قسمين، إرادة كونية، وإرادية شرعية، وسيأتي الكلام عليهما، وإنما نبّهت على هذا؛ لأن بعض المؤلفين ممن عُرفت عنه السنة، قد غلط فقال: إن المشيئة تنقسم كما هو الحال بالنسب للإرادة.

قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[**البقرة: ٢٥٣**]. لو شاء الله ما اقتتل المؤمنون مع الكفار، ولكن هناك شيء يريده الله -سبحانه وتعالى-؛ وهو أن يعاقب الكفار، ويمحوا الكفر من الأرض؛

لأن الأرض عندما خلقها الله -سبحانه وتعالى-، خلقها ليُعبد فيها، والكفار لا يعبدون الله -سبحانه وتعالى-، فهم لا يستحقون الحياة عليها، وإنما الذي يستحق الحياة عليها هو من يقوم بمرضاة الله جلّ وعلا، من عبادته وطاعته وامتثال أمره، وتطبيق شرعه، هذا الذي يستحق البقاء، ولا يدل ذلك على أنه يجوز للمسلم أن يقتل الكافر في أي موقع بدون سبب؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- هنا قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ يعني المؤمنين مع الكفار في الجهاد الشرعي، الذي أذن الله -سبحانه وتعالى- به، أما من ليس حربياً ولا مقاتلاً، فهذا لا يُتعرض إليه، لكن الذي يُتعرض إليه من كان في المعركة وإن لم يُقاتل؛ لأنه أدلى برأيه وفكره، وأعان على هذا، فهذا يُعتبر مقاتلاً وإن لم يحمل سلاح، لكن الذي لا يحمل سلاحاً وهو باق في بلده وفي مكانه، وجالس فيه، فلا يجوز للمؤمن أن يعتدي عليه، ولاسيما إذا كان بيننا وبين هذه البلاد «سلم» و «صلح»، فالشاهد أن الجهاد شُرِع في الأصل من أجل إزالة الكفر، وتقوية التوحيد، ونشره بين الناس.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيه إثبات الإرادة لله -سبحانه وتعالى-، وفيه دليل على أن أفعال الله تكون بإرادته، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وفيه دلالة على أنه لا فعل إلا بإرادة، وأن أفعاله متعلقة بإرادته، فهو لا يفعل إلا بها، وفيه دليل على أن الله لا مُكره له من خلقه، بل هو يفعل بإرادته -سبحانه وتعالى- ما يشاء، إذًا عندنا في الأولى أثبت المشيئة التي هي صفة ذاتية، وهنا أثبت الإرادة، التي كما تقدم تنقسم إلى قسمين:

✍ القسم الأول: لمّ عليه هذه الآية، وهو أن يريد الله من نفسه أن يفعل، فهذه إرادة متلازمة للفعل، لا يكون فعلاً إلا بها، وإذا كان فعلاً فلابد أن يكون بإرادة الله.

✍ النوع الثاني: إرادته من غيره -سبحانه وتعالى- أن يفعل، وهذا أيضاً لا يتخلف عنها مرادها، إذا كانت كونية قدرية.

ومن الآيات التي ذكرها ابن تيمية - رحمه الله - تعالى للدلالة على توحيد الأسماء والصفات، قول الله سبحانه: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ** ﴾ [**البقرة: ١٦٥**] المقصود بالناس هنا: هم المشركون، واتخاذ الأنداد، أي: جعل نظراء لله -سبحانه تعالى - في ألوهيته، قوله: ﴿**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ**﴾ أن حب المشركين لأصنامهم، مساوٍ لحب الله -سبحانه وتعالى-، وهذه الجملة فسرها العلماء بمعنيين:

المعنى الأول: أن يُثبت حب المشركين لله، وعندئذٍ فهم يحبون أصنامهم مثلما يحبون الله أو أشد.

والأمر الثاني: أن يُنفى حبهم لله -سبحانه وتعالى- وذلك لأنهم مشركون، والله - سبحانه وتعالى- لا يقبل الشريك له، فيردها عليهم، فلا يكون لهم في الحقيقة والواقع أي شيء من محبة الله -سبحانه وتعالى-، والشاهد في قوله: ﴿**كَحُبِّ ٱللَّهِ**﴾ فالآية دلت على أن الله -سبحانه وتعالى-يحُب، وفي الآية إبطال للنظراء،

والشبهاء، وما أشبه ذلك، مما يدّعيه بعض الناس من مساواة صفات الله أو بعضها بصفات الخلق، وأن ذلك يُعتبر من الشرك في باب الأسماء والصفات.

قوله سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]، أمر الله -سبحانه وتعالى- نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم - أن يمدح الله ويثني عليه بما هو أهله وأن يجمع جميع أنواع الكمال والجلال اللائقة بجلال الله -سبحانه وتعالى- وعظمته، وحتى يحُافظ على هذا الجانب من الإثبات؛ أُمر بأمر آخر: وهو أن ينفي عبودية غير الله -سبحانه وتعالى-، وذلك بعدم اتخاذه للولد، وذلك لأن الولد صنو الأب، ولا يتخذ لله -سبحانه وتعالى- شريكاً في ملكه في السماوات ولا في والأرض ولا غيرها، ولا يتخذ له من يواليه ويحبه ذلاً له وخضوعاً، إنما يكون الذل والخضوع لله -سبحانه وتعالى- قال تعالى: ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ فالشاهد في قوله: (**الحمد لله**)، وأيضاً ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾، وكبره تكبيراً: أي عظم الله -سبحانه وتعالى- بلسانك وقلبك تعظيماً كثيراً، وفيه إثبات صفة الملك لله -سبحانه وتعالى-، وفيه إثبات ولاية الله -سبحانه وتعالى- لأهل الإيمان، وأن موالاة غير الله -سبحانه وتعالى- يعتبر من الشرك به؛ لأنه مستلزم لصرف شيء من حقه لغيره.

قوله سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]. تقدم قولنا: إن التسبيح هو التنزيه والتقديس لله - سبحانه و تعالى - عما لا يليق بجلاله وعظمته، وفيها من الصفات صفة الملك، وفيها ما يدل على إثبات الكمال جملة، وفيها إثبات القدرة لله -سبحانه وتعالى - التي لا يتخلف عنها شيء من المخلوقات.

قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١-٢] المقصود بالفرقان: هو القرآن، والمقصود بالعبد: هو محمد - صلى الله عليه وسلم -، ومن أهداف الرسالة: الإنذار لمن كذب، وطغى وأنكر، وعادى، وفيها إثبات صفة الملك لله - سبحانه وتعالى -، الذي له ملك السماوات والأرض، وفيها تنزيه لله -سبحانه وتعالى- عما لا يليق بجلاله من الولد، والشريك، وفيه إثبات صفة الخلق له -سبحانه وتعالى-، وفيه إثبات القدر، بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢] هذه الآية تعتبر من الأدلة القرآنية العقلية

على إثبات الألوهية والعبودية لله وحده، ووجهها: أن الله -سبحانه وتعالى- قدّر ثلاث تقادير:

التقدير الأول: قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ حتى يكون له شريك فيما هو فيه، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ فليس لله شريك في ملكه، ولو فُرض وقُدر وجود الشريك في الملك لحصل بين هؤلاء الشركاء من النزاع والخصام ما بان أثره في اضطراب العالم، ولو حاول كل واحد منهم أن يكون هو الحاكم والمالك له فلن يترك فرصةً تواتيه إلا سعى إليها، وهذا معنى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، ثم نزّه نفسه تنزيهاً عاماً عن كل ذلك بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يعني: تنزه ربنا -سبحانه وتعالى- عما يصفوه، من دعوى الولد، أو دعوى الشريك، فإنه -سبحانه وتعالى- ليس له ولد وليس له شريك.

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ دلت الآية على أن علم الغيب من خواص رب العالمين، وأنه لا يعلمه إلا هو، ومن ادعى أن أحداً يعلم الغيب؛ فقد أشرك بالله -سبحانه وتعالى- في ذلك، ولذلك الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فالكاهن والساحر ومن في حكمهما، من العرّاف والرمَّال، وقارئ الفنجان، وقارئ الكف، وما أشبه ذلك، كل هؤلاء يعتبرون مشركين بالله لأنهم لا يتأتى لهم ذلك إلا بأن يصرفوا شيئاً من العبادة لمن يتعاون معهم من الجن.

قوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤] نفى الله في هذه الآية أن يكون له – سبحانه وتعالى – من يماثله في شيء من الذات، أو الصفات، أو الأفعال، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ فهو نفي بمعنى النهي، فينهى العباد أن يجعلوا له مثلاً ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، يعني: إن الله يعلم خبايا ضمائركم، إن كان هذا الأمر والشأن موجود فيكم، أو غير موجود، وهل تضربوا لله الأمثال، أو لا تضربوا لله الأمثال، وتقدم لنا أن المثل يعتبر من الأدلة العقلية التي يستعملها القرآن كثيراً، كما في قوله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ إلى آخر الآية.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] قال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]

وكما ترون فمعظم ما تقدم لنا من النصوص في الصفات الذاتية، أو في الصفات التي تنقسم؛ كمثل الإرادة، والنصوص التي سيبتدئها المؤلف الآن، أغلبها في الصفات الفعلية، أي أنها تدل على الصفات الفعلية، وهذا من أدلة أهل السنة والجماعة في انقسام الصفات إلى: صفات ذاتية وصفات فعلية؛ لأن هذا ورد في القرآن. وهذا ورد في القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] فيه إثبات صفة المحبة لله -سبحانه وتعالى-، وهو -سبحانه وتعالى-يُحِب، وهو في نفس الوقتيُحِب، وحبه لعبده تكريم له، ورفعة لشأنه، وليس هو من قَبيل الحب الذي ينتابه الضعف، أو سببه: الضعف، وإنما هذا حب سببه العزة والفخر، وهذه دعوة للناس كي يحرصوا ويحسنوا، فلا يعملوا فقط؛ بل يحسنوا في أعمالهم، سواءً كان الإحسان بمعنى: أن يؤدونها على وجه الكمال، والتمام، موافقة للشريعة، أو بمعنى أنهم يوصلون الخير إلى غيرهم، محسنين إليه.

قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] أقسطوا؛ يعني: اعدلوا، فالقسط هنا: المقصود به العدل، وهو من الفعل قسط، أقسط، فإذا كان الفعل منه بالهمز كان المقصود به العدل، وإذا كان بدون همز: (**قسط**) فالمقصود به: الظلم، وهنا المقصود به: الأمر بالعدل، سواءً مع ربكم؛ بأن تؤدوا ما أمر الله به مع الناس، أو مع النفس، أو مع الزوجة، أو مع الأولاد، أو مع الجيران، كل هذا يدخل في مسمى القسط، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، أيضاً هذا فيه إثبات المحبة لله -سبحانه وتعالى- على ما يليق بجلاله وعظمته، وهذه المحبة من الصفات الفعلية، ليست من الصفات الذاتية، بل إن شاء الله أحب، وإن شاء كره -سبحانه وتعالى-، فهي تابعة لمشيئته.

قوله سبحانه: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧] أمر الله -سبحانه وتعالى- المسلم أن يكون رجلاً مستقيماً في تعامله، أمره

بالاستقامة؛ والاستقامة معناها: موافقة الأوامر والنواهي مما جاء في الكتاب والسنة، ولا يمكن للعبد أن يكون مستقيماً؛ إلا إذا كان عالماً بما يريد أن يعمله، حتى يستطيع أن يقيم ذلك العمل ويستقيم، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فيه إثبات صفة المحبة لله -سبحانه وتعالى- وهي من الصفات الفعلية كما أسلفنا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ يعني: الذين يعملون بما أمر الله، ويطبقون أوامره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ **[البقرة: ٢٢٢]** فيه أيضاً إثبات صفة المحبة لله تعالى، وذكر حبه -سبحانه وتعالى- لأناس مخصوصين؛ الذين هم التوابين؛ الذين يداومون على التوبة إلى الله -سبحانه وتعالى- إذا ما وقعوا في الذنب، ويحب المتطهرين؛ سواءً كان المتطهرون أي: من الذنوب، أو المتطهرون: الذين يقومون بعبادة الطهارة، فيحافظون على الوضوء كاملاً صحيحاً بشروطه، ويحافظون على الغسل، وهكذا، ويتجنبون النجاسات، فهؤلاء كلهم ممن يحبهم الله -سبحانه وتعالى-.

قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ **[آل عمران: ٣١]** فيه بيان أن المحبة دليلها المتابعة للنبي - صلى الله عليه وسلم - في كل ما جاء به، فكلما كان الإنسان أتبع للقرآن والسنة، كلما كانت محبته لله ورسوله أعظم، وكلما نقص اتّباعه؛ نقصت محبته، فهنا الآيات الأولى كانت من جهة الله - سبحانه وتعالى-، أما في هذه الآيةيِنّ الجهة الثانية؛ وهي أن الله - سبحانه

وتعالى-يحُب كمايحُب، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ يعني: المؤمنين، هم الذين يحبون الله، ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ هذا النوع الثاني، إذاً هناك حب من الله للعباد، وهناك حب من العباد لله.

قوله سبحانه: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]. أثبت هنا أيضاً المحبة من الجهتين، من جهة أهل الإيمان، ومن جهة الله -سبحانه وتعالى-، فالله يحبهم، وهم يحبون الله - سبحانه وتعالى -.

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤] هنا بين أن الله -سبحانه وتعالى-يحب الذين يجاهدون في سبيله، الذين يطيعون لمن ولاّهم الله -سبحانه وتعالى- عليهم؛ لأن كونهم صفاً مرصوصاً دليل على اجتماعهم، ووحدة كلمتهم، واستقامة صفوفهم.

قال: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ البنيان المرصوص؛ يعني: المتصل بعضه ببعض، لا يفصله شيء، ليس فيه خلل ولا كسر، ولا شيء من ذلك، الشاهد في هذه الآية، إثبات صفة المحبة لله -سبحانه وتعالى-، وأن الله -سبحانه وتعالى- يحب المجاهدين في سبيله، إذا ما كانوا على الصفة المعينة التي ذكرها الله -سبحانه وتعالى- في الآية: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ وإنما أكثر المؤلف - رحمه الله - من الكلام عن المحبة؛ لأن خلاف المبتدعة فيها شديد وقوي، بل إن المؤلف -

رحمه الله – ألف كتاب كاملاً عن المحبة، وهو مطبوع[1]، فهي من الصفات التي خالف فيها أهل البدع، ولذلك أكثر المؤلف رحمه الله من الآيات عليها. وبعضهم أنكر أنيحُب، وبعضهم أنكر أنيحِب فقط، وبعضهم أنكر هذا وهذا، والآيات قاضية عليهم، ورادةٌ عليهم، بأن اللهيحِب ويحُب.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ الغفور؛ يعني: كثير المغفرة، والودود: شديد المحبة لعباده المؤمنين، فالود هو: شدة المحبة، وقد جاء أيضاً الخُلّة التي أُثبتت للنبي إبراهيم – عليه السلام – ولنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، فكل هذه الآيات تدل على صفة المحبة، وهي كما تقدم من الصفات الفعلية، التابعة للمشيئة والإرادة، إن شاء الله أحب، وإن شاء كره، فلا مكره له سبحانه من خلقه.

قوله سبحانه: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ هذه فيها ثلاث أسماء، كل واحدة منها تثبت صفة، فالله: يثبت صفة الألوهية، والرحمن: يثبت الرحمة العامة، والرحيم: يثبت الرحمة الخاصة، وقد تقدم الكلام علي شيء مما يتعلق بالبسملة.

قوله – سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧] قوله: شيء؛ يعم جميع المخلوقات، فرحمته –سبحانه وتعالى– شملت جميع المخلوقات، ورحمته –سبحانه وتعالى– يأتي المراد منها: صفة، ويأتي المراد منها: متعلقاً بالصفة وليس الصفة، فهذه الآية دلت على الصفة العامة لجميع المخلوقين، هذه صفة

---

(١) اسم الكتاب: قاعدة في المحبة.

ذاتية، وهناك رحمة رحم الله بها الأنبياء ومن خصهم من عباده، وهذه صفة فعلية، وقد جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «**إن لله مائة رحمة أنزل الله رحمة واحدة يتراحم بها الخلائق في الدنيا، وتسع وتسعين ادخرها لهم في الآخرة**»(١)، وهنا المقصود منها ليست الرحمة التي هي صفة الله -سبحانه وتعالى- ؛ وإنما المقصود بها: الرحمة التي هي صفة المخلوقين، فهي متعلقة برحمة الله؛ وليس المقصود بها: الصفة، لكن مع ذلك فهذا الحديث فيه دليل على اتصافه بالرحمة، إذ الذي يعطي الرحمة لابد أن يكون متصفاً بالرحمة؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، لكن نفس الحديث ليس دليلاً على الرحمة التي هي صفة كدليل مباشر.

قوله سبحانه: ﴿ **وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾ [**الأحزاب: ٤٣**].هذا فيه الرحمة الخاصة المقتضية للتوفيق، والإعانة، والهداية، وغير ذلك، وهذه لا تكون للكفار أبداً، لا تكون إلا للمؤمنين خاصة، أما الرحمة العامة فيدخل فيها المؤمن والكافر، وذكر الله أن رحمته تسع كل شيء، فكذلك هو يرحم الناس جميعاً، ومن رحمته بالكفار ما يعطيهم إياه في الدنيا؛ من الأكل والشرب واللباس والنعيم وما إلى ذلك، وإن كان هذا من طيباتهم التي عجلها الله لهم في الحياة الدنيا، وإلا لو لم يرحمهم ما أطعم الكافر ولا أشربه قطرة ماء؛ لأنهم لا يستحقون هذا.

قوله سبحانه: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ** ﴾ [**الأنعام: ٥٤**].كتب؛ يعني: أوجب على نفسه الرحمة، أوجب على نفسه أن يرحم عباده، وهذه الرحمة هي:

---

(١) البخاري (٨/٨).

الرحمة العامة، وفيه دليل على أن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي يوجب على نفسه، أما العباد فلا يوجبون شيئاً عليه، بل هو الذي يوجب على نفسه -سبحانه وتعالى-.

قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] الرحيم هو: إثبات للصفة الفعلية المتعلقة بالمخلوقين.

قوله سبحانه: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] فيها صفة الحفظ، يحفظ الناس من تخطف الشياطين لهم، والجن، وغير ذلك من الأمور، وحفظه – سبحانه وتعالى - أيضاً ينقسم إلى قسمين: حفظ عام؛ وهذا يكون للمؤمن والكافر، وفيه حفظ خاص؛ وهو لا يكون إلا للمؤمنين.

قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وهذا إثبات لصفة الرحمة له – سبحانه وتعالى-، وفيه دليل على أن القول: بأن العبد رحيم وأن الخالق رحيم، لا محذور فيه، فهذا لا يستلزم أن تكون رحمة الله مثل رحمه المخلوق، بل رحمة المخلوق مختلفة كل الاختلاف عن رحمة الله، إذ رحمة الله ليست بمخلوقة، وأما رحمة المخلوق فهي مخلوقة به.

انتهى كلامه عن هذه الصفة؛ صفة الرحمة، ثم تكلم - رحمه الله - عن صفة أخرى من الصفات الفعلية.

قال سبحانه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ ذكر سبحانه صفة رضاه عن المؤمنين، فهو -سبحانه وتعالى- لم يصف نفسه بالرضا مطلقاً، وإنما وصف نفسه بالرضا عن

المؤمنين خاصة، لا أنه راض عن كل شيء، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ عن أهل الإيمان، ورضوا هم أيضاً - أهل الإيمان - عن الله، وهم لا يتذمرون مما يصيبهم من المصائب، ولا ما يصيبهم من المعايب، بل شأنهم الصبر، والاحتساب، بل كان السلف - رحمهم الله تعالى - يفرحون بالضراء، أكثر مما يفرحون بالسراء؛ لأن السراء قد تكون استدراجاً، وأما الضراء فهي تكفير للذنوب، ما يصيب المؤمن من شيء إلا يكفر الله – سبحانه وتعالى - من خطاياه، فأهل الإيمان يرضون بقضاء الله – سبحانه وتعالى - وقدره، وفي نفس الوقت لا يتذمرون إذا أصابتهم المصيبة، بل يأخذوا الأسباب المشروعة، التي تزيلها وتخففها، ولا ييأسوا من رحمة الله، بل دوماً هم يتطلعون إلى رحمته على الدوام والاستمرار، مهما كانت المصائب، والمعايب، لكنهم في حال المعايب التي هي الذنوب؛ يتوبون إلى الله -سبحانه وتعالى- ويستغفرونه، وإذا جاءتهم المصائب بحثوا عن الأمور المشروعة التي شرعها الله -سبحانه وتعالى- لتخفيفها، فإذا جاء المرض ذهبوا للطبيب وبحثوا عن الدواء غير متوكلين على الدواء بل متوكلين على الله -سبحانه وتعالى-، لكنهم يستعملون الأسباب المشروعة لأن الله أمر باستخدامها.

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾، في هذه الآية بيان أن قتل المؤمن حرام، وأنه كبيرة من كبائر الذنوب، وخصه بالتعمد ليبين أن الإنسان بطبيعته وحاله يعرف أن استحلاله لقتل غيره معناه استحلاله لنفسه هو، ولذلك

جاء في بعض الآيات: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ لأن هذه النفس مثل هذه النفس، من استحل هذه فقد استباح قتل نفسه بنفسه، والقتل عند العلماء ينقسم إلى ثلاث أقسام: منه ما هو عمد، ومنه ما هو خطأ، ومنه ما هو شبه عمد، فأما العمد: فهو قصد المعصوم عدواناً، يعني: تكون فيه عداوة، ويقصد قتله عداوةً له، هذا يقال له العمد، وهذا ليس فيه إلا القصاص، وإن عفوا فالدية، والدية عقوبة وليس فيه كفارة، أما الخطأ فهو: أن يعمد لشيء فيقتل معصوماً، يعني يريد أن يصيد طائراً، أو يريد أن يرمي فاكهة بحجر فتضرب إنساناً فيموت؛ ليس قصده الإنسان إنما قصده الفاكهة، أو قصده الطائر، أو قصده السمك، أو نحو ذلك، فيصيب معصوماً فيموت، هذا يقال له: خطأ، وهذا ليس فيه قصاص وإنما فيه الدية والكفارة، الثالث: شبه العمد، وهذا قال به الأئمة الثلاثة خلافاً للإمام مالك؛ لأن الإمام مالك ليس عنده شيء اسمه شبه عمد، والأئمة الثلاثة يقولون يوجد شبه عمد، وشبه العمد: أن يقصد معصوماً بشيء غير قاتل، يعني: يضربه بحصاة صغيرة، أو يضربه بيده وما أشبه ذلك، فيموت، هذا لا يقصد القتل، والآلة التي استعملها لا يقتل مثلها في العرف أصلاً ، لكن قدر الله -سبحانه وتعالى- أن يكون أجله في ذلك، فمثل هذا يقال له: شبه العمد، وحكمه حكم الخطأ؛ إلا أن الدية تُغَلّظ فيه، فيقولون له: ادفع الدية فوراً، وفي نفس الوقت الدية هنا تُربّع؛ يعني: ليس كمثل الخطأ، إذا كانت مائة من الإبل، يعني خمس وعشرين، وخمس وعشرين، وخمس وعشرين، خمسة وعشرين، فيدفعها

كاملة في وقتها، بعكس الخطأ فإنه يجوز تقسيطها عليه، الشاهد في هذا أن الآية الكريمة قالت: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ﴾ هذا جزاء صاحب العمد في الآخرة؛ أنه في جهنم خالداً، وكما هو ملحوظ أن الله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿جَزَآؤُهُۥ﴾ لكنه سبحانه لم يقل أنه سيدخل النار، قال: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾، هذا هو الجزاء إلا أن يعفو الله - سبحانه وتعالى - عنه، قال ابن عباس رحمه الله: **(يتعلق بالمقتول عمداً ثلاث حقوق: حق لله)**، وهذا احتمال العفو فيه؛ لأن رحمة الله غلبت غضبه، **(وحق للأولياء)** هذا بالقصاص أو الدية، **(وحق للقاتل)** هذا مات ولم يأخذ حقه، فيأخذه يوم القيامة من حسناته، وقد يكون حاله مثل ما جاء في الحديث: **(عندما يؤتى بالرجل، فيقال له انظر، يقول يا عبدي انظر فإذا قصر، عظيم بين يديه يراه، ما رأى مثله، فيقول يا رب: لمن هذا؟ فيقول الله له: هذا لمن يؤدي الثمن قال: ومن يستطيعه؟ قال: أنت بعفوك عن أخيك)**[1]، قد يعفو يوم القيامة إذا رأى عظم الثواب والجزاء، فعندئذٍ تسقط الحقوق الثلاثة، ويدخل الجنة.

وهذا الوعيد للإنسان -نسأل الله العافية-، قد وعده الله بثلاثة أمور؛ أولاً : أن جزاءه الخلود في النار، الثاني: غضب الله عليه، وهذا فيه إثبات صفة الغضب لله - سبحانه تعالى- وهي من الصفات الفعلية اللائقة بجلال الله وعظمته، وهذا ليس مثل غضبنا؛ يكون نتيجة ردود فعل، فالأمر ليس كذلك، بل غضبه -سبحانه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٦٢٠) والحديث إسناده ضعيف.

وتعالى- لائق بجلاله وعظمته، كل هذا جزاء له، لكن لا يمنع هذا الجزاء من العفو، ومن العلماء من قال: هذه الآية عامة مطلقة، لكنها خصصت بقوله: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ فهو داخل في ما دون ذلك، يعني: ما دون الشرك بالله، الشاهد في هذا أن فيه إثباتاً لصفة الغضب، وإثباتاً للعن، أن الله يلعن من يستحق اللعن.

قوله سبحانه: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ** ﴾ [**محمد: ٢٨**] الشاهد في هذه الآية قوله: ﴿ **مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ** ﴾ ففيها إثبات لصفة السخط من أفعال الكفار والمنافقين وغيرهم من أعداء الله، فهو يسخط؛ بمعنى: أنه -سبحانه وتعالى- يغضب، ففيه إثبات صفة السخط والغضب لله -سبحانه وتعالى- على ما يليق بجلال الله وعظمته، وهي من الصفات الفعلية.

﴿ **وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ** ﴾ يعني: هؤلاء الكفار كرهوا ما يرضي الله -سبحانه وتعالى- من الصلاة، والصيام، والحج، وغيرها من العبادات.

قوله سبحانه: ﴿ **فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ** ﴾ [**الزخرف: ٥٥**] فيه صفتين؛ الصفة الأولى: آسفونا؛ بمعنى: أغضبونا، والصفة الثانية: انتقمنا منهم، صفة الانتقام من الكافرين، وهذه من الصفات المقيدة بسياقها؛ يعني: لا يجوز للإنسان أن يقول: الله ينتقم ويسكت، أو يقول: الله منتقم ويسكت، بل يقول: منتقم من

كذا وكذا، أو ينتقم من كذا وكذا، فهي من الصفات الفعلية المقيدة بسياقها، وهي الانتقام من الكفار خاصة والمنافقين.

قوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦] فيه: إثبات صفة السخط، والكره من الله -سبحانه وتعالى- للكفار، ولذلك ثبطهم، ثبط المنافقين عن الخروج مع المؤمنين لقتال الكفار وجهادهم، ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ يعني: كره خروجهم إلى الجهاد مع المسلمين فاقتضت حكمته أن يثبطهم عن الجهاد، ويبعدهم عنه، فلا يذهبوا مع المسلمين، حتى لا يخرقوا خرقاً، ولا يضعفوا الجيش الإسلامي، وأيضا هنا صفة: الكره، وقد جاءت مقيدة، فليس كرهاً مطلقاً.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:٢:٣] الشاهد في هذه الآية: أن الله أثبت للعباد فعلاً؛ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ فنسب الفعل لهم؛ أنهم سيفعلون؛ لكنهم ما فعلوا شيئاً.

قوله سبحانه: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فيه إثبات صفة المقت للكفار والمنافقين، وهنا مقته -سبحانه وتعالى- لمن قال أنه سيجاهد وسيفعل ويعمل ثم لا يفعل، فإن هذا يكون ممقوتاً عند الله -سبحانه وتعالى-، بل إن الله -سبحانه وتعالى-

يجب من العبد العزم على الطاعة إذا أراد الطاعة، فيتوكل على الله ويعزم، ولا يتردد فيها، هذه أيضاً جملة من الصفات الفعلية، لكن هذه الجملة المتقدمة من الصفات الفعلية كلها، مقيدة بسياقات خاصة، هل المنتقم من أسماء الله؟ الذي عليه الجماهير: أن المنتقم ليس من أسماء الله؛ لأن الانتقام يحتمل حقاً وباطلاً، وما كان محتملاً فلا يجوز إطلاقه على الله -سبحانه وتعالى-، ولكن يجوز للإنسان أن يقول: أن الله موصوفٌ بالانتقام من الكافرين، ولا يقول: أن من أسمائه المنتقم، بل يقول: منتقم من أعدائه، فلا يجوز أن يشتق صفة من هذه الأفعال المقيدة.

قوله سبحانه: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ** ﴾ [**البقرة: ٢١٠**] هذه الآية تدل على صفة الإتيان يوم القيامة، وهي أيضاً صفة مقيدة بسياقها؛ لأن الله لم يقل: أنه يأتي وسكت، وإنما قال: ﴿ **يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ** ﴾ فسبب إتيان الله تعالى هو: يوم القيامة، وهو أيضاً من الصفات الفعلية، ولا يكون إلا في وقته.

قوله سبحانه: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ** ﴾ [**الأنعام: ١٥٨**] في هذه الآية إثبات صفة إتيان الله -سبحانه وتعالى-، وأن ثمة فرق بين إتيانه وإتيان الملائكة وإتيان بعض الآيات التي تنزل على بعض العباد إما عقوبةً وإما معجزةً كما ينزل على الأنبياء، وهذا يبطل تأويل بعض الناس من المبتدعة لصفة الإتيان بأنه إتيان الملائكة، أو إتيان

بعض الآيات، لأن التقسيم يأبى أن تكون هذه الثلاثة معناها واحد، فإتيان الملائكة شيء، وإتيان الله – سبحانه وتعالى – شيء، وأيضاً إتيان بعض الآيات شيء آخر.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا (٢١) وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ **[الفجر: ٢١ – ٢٢]** في الآية صفة: الدك؛ لأن الذي يدك هذه الأشياء هو الله – سبحانه وتعالى – ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ فيه أيضاً إثبات صفة المجيء يوم القيامة للرب –سبحانه وتعالى– على ما يليق بجلاله وعظمته.

قوله سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ **[الفرقان: ٢٥]** الشاهد في هذه الآية: بيان أن نزول الله –سبحانه وتعالى– غير نزول الملائكة، كما في الحديث: (**ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل**)[1] إلى آخر الحديث، فجاء بهذه الآية ليبين أن الله –سبحانه وتعالى– ذكر تنزل الملائكة؛ وذكره له بهذه الطريقة يدل على أنه مغاير كل المغايرة لنزول الله –سبحانه وتعالى–.

قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ **[الرحمن: ٢٧]** فيه إثبات صفة الوجه لله –سبحانه وتعالى– على ما يليق بجلال الله وعظمته، ووصف الوجه أيضاً بـ (**ذو الجلال**)، وهو صفة من صفات الله –سبحانه وتعالى– ، وهي من الصفات الجامعة، ذو الجلال والإكرام، هذه من الصفات الجامعة، التي تجمع معاني الأسماء الحسنى.

---

(١) البخاري (٢/٥٣)، مسلم (٧٥٨).

وقوله سبحانه: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ ﴾ لاشك أنه إذا بقي وجهه فإن ذاته باقية أيضاً، ولذلك قال بعض أهل العلم: (**إن معنى الوجه هنا هو: الذات**)، وهذا ليس بتأويل، لأنهم يثبتون الوجه ولكن يقولون إثبات الوجه له أدلة أخرى مباشرة تدل عليه، وهذه الآية قالوا تدل على الوجه باللزوم، ومنهم من عكس قال: (**الآية تدل على الوجه وعلى الذات باللزوم**)، هذا هو الأصح والأقوى أن الآية تدل على وجه الله -سبحانه وتعالى- وتدل أيضًا على ذاته باللزوم؛ لأن من كان وجهه باقيًا فذاته أيضًا موصوفة بالبقاء والدوام، الشاهد في هذا أن القول المتعين أن الآية فيها إثبات الوجه لله - سبحانه تعالى - على ما يليق بجلاله وعظمته، وفي نفس الوقت فيه إثبات لذات الله، وذلك عن طريق اللزوم، والوجه من الصفات الذاتية، ليس من الصفات الفعلية، قوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [**القصص**: ٨٨] أيضًا هذه الآية فيها إثبات الوجه لله -سبحانه وتعالى- على ما يليق بجلاله وعظمته، وفي نفس الوقت فيها إثبات الذات عن طريق اللزوم، وهذه نظير قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ يعني جميع العوالم تموت حتى الملائكة، ثم يبعثها الله – سبحانه وتعالى – من جديد إلا ما استثناه الله – سبحانه وتعالى- إلا ما شاء ربك من الحور العين والجنة وما فيها، أما الذين يعذبون في النار فلهم وضع آخر، الناس هالكون كلهم، والجن هالكون، والملائكة يهلكون، وهكذا.

قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ خطاب لإبليس، وفيه إثبات اليدين لله تعالى، (**وكلتا يديه يمين**) كما جاء في الحديث[1]، وورد أيضًا في حديث صحيح، أن له يمين ويسار[2]، لكن إطلاق اليمن عليها أولى؛ لأنها مباركة، ولذلك جاء في الحديث الصحيح (**وكلتا يديه يمين**)، فالشاهد فيه إثبات اليدين لله -سبحانه وتعالى- على ما يليق بجلال الله - سبحانه وتعالى - وعظمته.

قوله -سبحانه وتعالى- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[المائدة:٦٤] ، في هذه الآية، إثبات لصفة اليد، (**يد الله**) فأضافها إلى الله والإضافة هنا إضافة صفة لموصوف، وقد تقدم لنا أن الإضافة والنسبة إلى الله -سبحانه وتعالى-، والإضافة إليه تنقسم إلى قسمين: إما أن تكون إضافة معاني فهذه قلنا إنه إضافة صفة كما هو الحال في مثل هذه الآية، وإما أن تكون الإضافة، إضافة أعيان وهذه تنقسم إلى قسمين: إما إضافة يراد بها التكريم والتشريف، وإما أن تكون إضافة مشتركة، كما هو الحال في قضية الخلق والرزق، خلق الله، رزق الله، هذه إضافة مشتركة جميع الخلق يدخلون فيها، الذي يهمنا هنا الإضافة. وإضافة اليد إلى الله -سبحانه وتعالى- هنا إضافة صفة لموصوف، ولا

---

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» انظر صحيح مسلم (١٨٢٧).

(٢) أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون. ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ » انظر صحيح مسلم (٢٧٨٨).

يمكن أن تكون غيرها؛ لأن السياق الموجود ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ جاء بها في مقابلة مالهم من أيدي، ثم قال ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ لأنهم ادعوا أنه قبض يديه، فهو بخيل، قاتلهم الله اليهود والنصارى، فبين هنا أنه -سبحانه وتعالى- سخي يعطي ولا يهمه العطاء؛ لأن عطاءه لا ينقص من ملكه شيء، كما جاء في الحديث: (**لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وقفوا في صعيد واحد فأعطيت كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر**)(1)، فإذًا يداه مبسوطتان المقصود به وصفها بالسخاء الجزيل ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ من الكثرة أو القلة، بحسب ما تقتضيه مشيئته وحكمته، الشاهد في قوله ﴿بَلۡ يَدَاهُ﴾ يعني في الأول قال ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾وهنا قال ﴿بَلۡ يَدَاهُ﴾ تصريح بأنها يدان ليست يدًا واحدة، فإضافتها الأولى، يعتبر من قبيل إضافة الجنس، والإضافة الثانية إضافة واضحة لأنها تثنية ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾.

قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ جاء في الآثار الصحيحة، وعليه أجمع السلف، أن لله -سبحانه وتعالى- عينين، ومما استدلوا به حديث الدجال أن أحد عينيه صحيحة والثانية عوراء قال: «**وربكم ليس بأعور**»(2)، فاستشفُّوا من هذا الحديث الدلالة على أن له عينين، وفيه أيضًا أحاديث، وإن كان بها بعض الشيء لكنها تلقيت من العلماء بالقبول، كما في قوله النبي - صلى الله

---

(1) مسلم (٢٥٧٧).
(2) البخاري (٤/٧١)، مسلم (١٦٩).

عليه وسلم – «**إذا وقف المصلي فإنه بين عيني الرحمن**»[1] والعلماء ليسوا متفقين على صحة هذا الحديث، لكن أحسن أحواله أنه حسن لغيره، إذ له طرق متعددة. وقد جمع الله عز وجل العين في قوله (**بأعيننا**) وجمعه لها جمع المعظم لنفسه، (**نا**) للتعظيم، وإلا هي كما تقدم عينان، ففيه إثبات صفة العينين، على ما يليق بجلال الله وعظمته، ومعلوم أن العينين للإبصار.

قوله –سبحانه وتعالى – ﴿**وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ**﴾ [القمر:١٣-١٤] ، طبعًا الدسر المقصود بها المسامير وذات الألواح هي السفينة المصنوعة من الأخشاب ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾، يعني بمرأى منا ومشاهدة منا بأعيننا، وقد تقدم أنهما عينان كما جاء في الأحاديث والآثار، وإجماع السلف. ﴿**جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ**﴾ جزاء لمن كان كافرًا، يعني أنجى الله –سبحانه وتعالى– نوحًا ومن كان معه على هذه السفينة، التي أوحى الله –سبحانه وتعالى– له وأعانه على صنعها، وكلأه ورعاه، أن يتعرض له أحد من المشركين بشيء حتى أنهاها وإلا لتعرض له المشركون، وكسروها وأخذوا الألواح، لكن الله –سبحانه وتعالى– زرع الخوف والمهابة في قلوبهم منه فصار أمام أعينهم وهم يشاهدونه، حتى أكملها ولم يتعرضوا له ولا للسفينة بشيء، كان بإمكانهم أن يتركوهم يعملون بالنهار ويكسرونها بالليل، أو يمنعونه من مواصلة العمل، لكن الله –سبحانه

(١) رواه البزار في «مسنده» (٥٥٣ –كشف الأستار) وعامة المحدثين على ضعفه.

وتعالى- ألقى المهابة في قلوبهم، فلم يستطيعوا أن يعملوا شيئا، ففي هذه الآية أيضًا إثبات للعينين.

قوله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، فيها إثبات صفة العينين، وأيضًا فيها إثبات صفة المحبة، صفة العينين طبعًا صفة ذاتية، وصفة المحبة صفة فعلية.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ الآية فيها الدلالة على صفة السمع، وأن سمعه - سبحانه وتعالى- عام بدليل قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ فهو يسمع كل شيء، ولم يمنع علو الله -سبحانه وتعالى- من سماعه لما كان بين خولة وبين النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومعروف أن سبب نزول هذه الآية[1]، أن خولة زوجة عبادة بن الصامت جاءت للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله - لأنه قال لها أنت علي كظهر أمي وكان في الجاهلية يعتبرون ذلك طلاقًا - فجاءت تسأل النبي- صلى الله عليه وسلم - وتشتكي هذا الأمر تشتكي إلى الله هذا الأمر وتقول له: يا رسول الله إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليِّ جاعوا يعني أنا ما عندي مصدر رزق لكي يأكلوا منه، والرجل له القوامة، وله التوجيه والتربية، فالأولاد يحتاجون لنا نحن الاثنين، وعائشة رضي الله عنها تقول: **أنا**

(١) مسند الإمام أحمد (٤٥/٣٠٠). وقد ذكره البخاري مختصراً (٩/١١٧).

بجانبهم لم أسمع كلمة واحدة وربنا -سبحانه وتعالى- سمع ذلك وأنزل فيه القرآن)).

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ سماع خاص مستلزم للتشريف والتكريم للنبي - صلى الله عليه وسلم – و لخولة أيضًا، ثم أعاد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ فأثبت السمع في هذه الآية ثلاث مرات، أثبت السمع وأثبت الفعل المضارع وأثبت الفعل الماضي، وهذا ما يسميه العلماء حكم الصفة، حكم الصفة وهو استعمال الفعل المضارع والماضي، هذا يقولون له حكم الصفة؛ لأن الفعل يسمونه حكماً وهو ذكر ما تقتضيه الصفة من سمع ذلك المسموع، وفيه أيضًا إثبات صفة البصر لله تعالى الذي يدرك به جميع المبصرات والمرئيات -سبحانه وتعالى- على ما يليق بجلاله وعظمته، وصفة السمع، صفة ذاتية والبصر أيضًا صفه ذاتية.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ أيضًا في هذه الآية إثبات صفة السمع، الله أخبر أنه سمعهم، والناس ما يدرون ما سمعوا؛ لأن المنافقين كانوا يسمع بعضهم بعضًا، ما كانوا ينشرون ذلك بين الناس، ولكن الله -سبحانه وتعالى- سمع ما يقولون وأنزل فيه قرآنًا، والذين قالوا أنهم نسبوا إلى الله -سبحانه وتعالى- الفقر ونسبوا لأنفسهم الغنى وهذا طبعًا قلب للموازين لأن لا يعقل أن يكون المخلوق المربوب هو الغني ويكون الرب الخالق الموجد هو الفقير، بل هذا من الكذب على الله، وما فتئوا يكذبون على الله وعلى دينه ويحرفونه، وفيه دلالة على صفة الغنى؛ لأن هذا جاء في معرض

الرد عليهم وتكذيبهم فيكون مستلزم لإثبات ضده وهو غنى الله -سبحانه وتعالى- وإثبات أيضًا لفقرهم، وحاجتهم إلى الله.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾، يحسبون: ليس المقصود به من الحسبان وهو الظن، والظاهر أنهم كانوا يتيقنون في أنفسهم، يعني هم يدّعون هذا متيقنين له، ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ ﴾ أن الله -سبحانه وتعالى- لا يسمع ما يسرون به من الكلام، ولا يسمع النجوى التي هي أكثر، السر أشد من النجوى لأن النجوى فيها صوت أما السر فيحاول الإنسان أن يخفي صوته، والله قد سمع هذا السر وسمع تلك النجوى، وبين أن رسله الملائكة يكتبون ما يقوله العباد ويحصونه عليهم، وهذا بيان فيه تهديد لهم بأن ما قلتموه ستشاهدونه لأنه مكتوب، فأنتم عليكم شهود يطالعونه ويكتبونه ويشاهدونه، الشاهد في ذلك إثبات صفة السمع وعمومها للسر والنجوى والقليل والكثير والبعيد والقريب إلى غير ذلك من الأمور، والمكتوب هنا يكتبون يعني يكتبون في صحف الملائكة، ليس في اللوح المحفوظ، وإلا فاللوح المحفوظ ما فيه شيء يكتب، انتهى كل شيء؛ لأن الله أمر القلم أن يكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة فكل هذه الأشياء مكتوبة فيه، ليس فيه تغيير وليس فيه تبديل وإنما الكتابة هنا في صحف الملائكة لأنفسهم.

قوله تعالى ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ فيه إثبات صفة المعية لله -سبحانه وتعالى- وهي تنقسم إلى قسمين: هناك معية تعتبر من الصفات الذاتية وهناك

معية تعتبر من الصفات الفعلية، فمقتضى المعية العامة الذاتية أن الله لا تخفى عليه خافية من أمر العباد، فهو يعلمها -سبحانه وتعالى-، ومقتضى المعية الخاصة هي إرشاده لعباده المقربين إلى الطريق الحق والدلالة عليه ونحو ذلك، وهذه الآية تدل على المعية الخاصة لأن المقصود بقوله ﴿مَعَكُمَآ﴾ المقصود موسى وهارون لأن هذه الآية نزلت لبيان حالهم في الغار، فالله -سبحانه وتعالى- طمئن نفوسهم، بأنه معهما ومن كان الله -سبحانه وتعالى- معه فهو ناج لا محالة، لن يستطيع أحد أن يصل إليه أبدًا.

﴿وَأَرَىٰ﴾ فيه إثبات صفة الرؤية لله -سبحانه وتعالى- وهي صفة الإبصار فهو يرى كل شيء ويشاهده ولا يخفى عليه مهما دق، وأطلق كلمة أسمع وأرى ليدل على عمومها لم يقل: وأنا أسمع كلامكما وأراكم في الغار، بل قال: ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ليدل على عموم سمعه وعموم رؤيته -سبحانه وتعالى-.

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ المقصود هنا بالعلم الاعتقاد يعني يعتقد ويجزم ويصدق بأن الله يرى، وفي إطلاقه كما تقدم دليل على أن رؤية الله -سبحانه وتعالى- فيها عموم، وهي بصره الذي يبصر به كل شيء والمقصود هنا أن الله هو الذي يرى، لا أن الناس يرون الله، لكن العلماء استنبطوا من هذا دليل عقلي على رؤية لله يوم القيامة، فقالوا إذا كان قادرًا على أن يرى الأشياء فهو قادر على أن يُري نفسه، فدل ذلك على أن الله -سبحانه وتعالى- رؤيته ممكنة وليست مستحيلة.

قوله: ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩].

فيها رؤية خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم مقتضية لكلائته ورعايته وحفظه وتقلبه حيث يسجد لله عز وجل في صلاته.

قوله: ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ إثبات أن الله – سبحانه وتعالى- يُبصر ويرى على ما يليق بجلاله وعظمته، وأيضًا صفة السمع فيها اسم السمع السميع الذي يدل على السمع، والعليم على العلم وقد تقدم أن في هذه الآية ونظائرها عموم سمعه وعموم علمه.

قوله: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]. هنا بين أن رؤية الله -سبحانه وتعالى- ليست كرؤية غيره بدليل أنه جعل لله رؤية وجعل للرسول رؤية وجعل للمؤمنين رؤية فدل على أن هذه الرؤى التي يراها الله – سبحانه وتعالى- تختص به وهي كما تقدم يرى يعني يبصر ويشاهد كل شيء فلا تخفى عليه خافيه.

قوله تعالى: ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣] المقصود بالشديد القوي، والمحال يعني الذي يحول الأشياء من حال إلى حال، ومن شأن إلى شأن، من صحة إلى مرض، من فقر إلى موت، من موت إلى حياة، إلى غير ذلك من التحولات، التي تتحول إليه المخلوقات والشاهد في هذا إثبات صفة القوة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهي من الصفات الذاتية.

قوله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤] فيه إثبات صفة مكر الله - سبحانه وتعالى - بأعدائه، وهي من الصفة التي تستعمل في سياق المقابلة الجزائية، فلا يجوز للإنسان أن يقول أنا أثبت صفة المكر ويسكت، بل يقول أنا أُثبت صفة المكر بالكافرين، فيجب تقييدها بسياقها ولا يجوز أخذ الاسم منها، فلا يجوز للإنسان أن يقول من أسماء الله الماكر، لكن يجوز أن يُخبر بهذا الاسم إذا قُيّد، فيُقال ماكر بالكافرين، هذا باب الإخبار فيجوز هذا، الشاهد أن هذه الآية قال: ﴿ وَمَكَرُواْ ﴾ هذا مكر المخلوقين ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ هذا مكر الله - سبحانه وتعالى- بأعدائه، فقابل مكرهم بمكره -سبحانه وتعالى-، وظاهر وواضح أن مكرهم مذموم وأما مكر الله -سبحانه وتعالى- فهو صفة كمال لله جلّ وعلا؛ لأنه انتصار لأهل الحق وانتصار للحق.

قوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ وصف المخلوق بأنه يمكر، لا يمنع أنه -سبحانه وتعالى- متصف بصفة المكر، وأن مكر المخلوق غير مكر الله - سبحانه -.

وقوله: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٥٠]. أيضًا هنا إثبات صفة المكر لأعداء الله من الرب عز وجل، وهنا أيضًا فرّق بين مكرِه وبين مكرهم حيث قال: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا ﴾ النا هنا يعني للمعظم نفسه؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- عظيم فتستعمل له هذه النون التي تدل على العظمة، قوله: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦].

طبعًا المكر من الصفات الفعلية فهنا أثبت صفة الكيد بأعدائه -سبحانه وتعالى- أو الكيد بالكافرين والمنافقين في مقابلة كيدهم وهي من الصفات التي تستعمل في سياق المقابلة الجزائية، فالكيد يُقابل بالكيد، وكيد الكافرين لا شك أنه مذموم أما كيد الله تعالى الذي هو من جنس العقوبة لهم فإنه في الحالة هذه ليس مذمومًا بل هو صفة مدح، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هذا تأكيد للكيد الأول يعني كاد بهم، وإذا شاء كاد مرة أخرى وثالثة وهكذا.

قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]بين -سبحانه وتعالى- أن الإنسان إذا عمل عملاً سيئًا أو عملاً صالحًا فأبداه أو أخفاه فإن الله يعلم ذلك ويعفو عمن تاب عن الذنب ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ إذا أصابك سوء من غيرك لأنه لا يكون العفو إلا عن الغير، فلا يكون العفو عن النفس، فإن الله – سبحانه وتعالى – يعفو بمعنى يمحو الذنب، فالعفو هو محو الذنب والتجاوز عنه، ﴿قَدِيرًا﴾ هذا اسم من أسماء الله تعالى وهو يدل على صفة القدرة، وقدرة الله تعالى تتعلق بما تتعلق به الإرادة من الممكنات والأشياء والمخلوقات وأطلق اللفظ ليبين عمومه، وقدرة الله تعالى تشمل جميع المخلوقات كلها بما فيها خلق أفعال العباد، وأنكرت المعتزلة والجهمية ومن تابعهم قدرة الله -سبحانه وتعالى- على أفعال العباد، فقالوا إن الله لا يستطيع أن يمنع العبد من الفعل ولا أن يجعله يفعل، قالوا ما يقدر على هذا، ولا يقدر على مقدور العبد عنده، وأهل السنة والجماعة يقولون الله قادر على

مقدور العبد لأنه هو الذي خلقه وأوجده، موافقين بهذا القول لنصوص القرآن فقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ ومثل هذه التي دلت على عموم قدرة الله سبحانه: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] أول الآية جاء بلام الأمر، فأمر بالعفو والصفح عمن أساء في حقه وكان عليه السلام يعفو إلا أن تنتهك محارم الله عندئذ تأتي العقوبة ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ ألا للاستفتاح والحذف والحض كأنه يقول لهم اعملوا ما يكون سببًا في المغفرة ألا تحبون أن يغفر الله لكم الجواب: بلى يحبون أن يغفر الله لهم ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ إثبات لصفة المغفرة وإثبات لصفة الرحمة الخاصة، وفيه إثبات للمغفرة لأنه فعل من أفعال الله تعالى قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨].

لفظ الجلالة فيه دلالة على صفة الإلوهية وعندك أيضا العزة التي أضافها إلى لفظ الجلالة من إضافة الصفة للموصوف فالله - سبحانه وتعالى – عزيز، وعزته تبين عظمته وقهره للعباد وكلائته للكون كله وتسييره له، ونشره للحق، كل هذا يعتبر من آثار عزة الله تعالى وهي صفه ذاتيه تُثبت لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته. قوله: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢] هذا مما ذكره الله تعالى في القرآن عن الشيطان، أنه توعد أن يغوي جميع من يستطيع إغوائه من الناس، لا يستثني أحدًا كما قال الله تعالى في هذه الآية ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ وفي آية أخرى

استثنى الله من اصطفاه من عباده من المرسلين فإن هذا الصنف ليس للشيطان عليهم سبيل، الشاهد أن فيه إثبات صفة العزة وفيه دليل على أن إبليس يعرف الله وأنه يؤمن بوجوده وصفاته، وإن كان قد كفر لاستكباره عن عبادته وعن طاعته، وفيه إثبات العزة لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين، طمأنة لقلب النبي صلى الله عليه وسلم ولقلب المؤمنين وأن النصر والتأييد والتوفيق سيكون حليفهم من الله تعالى.

قوله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨]. تبارك يعني تنزه وتعالى وتقدس ﴿ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ ذو العظمة والكبرياء ﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ كثير الكرم الذي يعطي بلا حساب وفي قوله ﴿تَبَٰرَكَ﴾ إثبات صفة البركة الذاتية لله تعالى لأن البركة تنقسم إلى قسمين: بركة ذاتية وبركة فعليه، بركة ذاتية يعني صفة ذاتية، بركة فعلية يعني صفة فعلية، البركة الفعلية تتعلق بمشيئة الله تعالى، إن شاء بارك وإن لم يشأ لم يبارك، وأما هو -سبحانه وتعالى- وأسمائه وذاته هو المبارك ذاتًا وهذه البركة لا تغادره كسائر صفات ذاته ولا تنفك عنه، ولا يوصف بالبركة إلا من وصفه الله بها، والله قد وصف بيته الحرام بالبركة، ووصف المسجد الأقصى بالبركة والمسجد النبوي بالبركة، ووصف الشيء بالبركة لا يعني أن البركة تتعداه وتصل إلى من لمسه، بل بركته لا تتعداه إلا ما ثبت بالدليل من تبرك الصحابة -

رضوان الله عليهم – في حياته به[1] فإن ذلك دليل على أن بركته صلى الله عليه وسلم تصل إلى غيره، والذي يوصلها هو الله –سبحانه وتعالى– لذلك من مسّ جسده جسد النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل النار[2]، فالشاهد في هذا أنه لا يجوز للإنسان أن يتبرك لا بحجر ولا بشجر ولا بغيره حتى ولو كان هذا الشيء مما وصفه الله بالبركة، ولذلك من المأثور عن عمر رضي الله عنه عندما خاطب الحجر أمام الناس حتى يعلمهم قال: (**إنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك**)[3] فنحن نقبله متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم لا تبركًا به، والتبرك بالأشجار والدواب إذا كان يعتقد أنها تخلق البركة وتوجدها، فهذا الاعتقاد يخرجه من الملة، وأما إذا كان يعتقد أنها لا تخلق

---

(١) كان الصحابة يتبركون بشعرات النبي صلى الله عليه وسلم والحديث رواه البخاري في صحيحه عن عثمان بن عبد الله بن موهب، قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بقدح من ماء – وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة – فيه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبه، فاطلعت في الجلجل، فرأيت شعرات حمرا. انظر البخاري (٧/١٦٠)، وكانوا يتبركون بفضل وضوئه صلى الله عليه وسلم كما ثبت أيضا في الصحيح معلقا، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه، ثم قال لهما: «اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما»، البخاري (١/٤٩).

(٢) لم أقف على دليل صريح لهذا القول، ولعل أقرب دليل ما رواه الواقدي في مغازيه وابن إسحاق في سيرته، قال ابن إسحاق: وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية، حليف بني عدي بن النجار– قال ابن هشام يقال، سواد، مثقلة، وسواد في الأنصار غير هذا، مخفف وهو مستنتل من الصف– قال ابن هشام: ويقال: مستنصل من الصف – فطعن في بطنه بالقدح، وقال: استو يا سواد فقال: يا رسول الله، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فأقدني. فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال: استقد، قال: فاعتنقه فقبل بطنه: فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، وقاله له.

(٣) البخاري (٢/١٥١)، مسلم (١٢٧٠).

البركة ولكن يعتقد أن البركة تقارنها أو شيء من هذا فإنه في الحالة هذه لا يكفر لكنه يكون كفره كفرًا أصغر لا يخرجه من ملة الإسلام، ولذلك الصحابة رضوان الله عليهم لمّا كان بعضهم قريب عهد بإيمان كما في حديث أبي واقد الليثي ومروا بشجرة ينوط بها المشركين أسلحتهم قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(الله أكبر إنها السنن قلتم ما قالته بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا آلهة كما لهم آلة)**[1] ثم علمهم النبي - صلى الله عليه وسلم – وأخبرهم أن هذا لا يجوز، فالذي يكون ملاً في بادية بعيدة لا يمكنه أن يدرك الأشياء الدقيقة في أمور الاعتقاد، وكذلك الحديث بالإسلام الذي لم يعرف العقائد على وجه التمام والكمال هذا يُعذر إذا أخطأ ويُعلّم ويُفهّم ولا يكفر، لكن من كان يعيش بين المسلمين ويناقض التوحيد هذا يكفر ويخرج من الملة؛ لأن العلم بهذه الأمور، من مقتضى لا إله إلا الله ومثلها لايجُهل على المسلمين، لابد يسمعه ولا بد يقرأ القرآن ولابد يسمع الخطباء ولابد أن يسمع العلماء فإن أعرض يعني وقع بسبب إعراضه، كان كفره كفر إعراض أكبر، وإن كان ليس معرضًا لكنه جهل مجرد جهل صار كفره كفر جهل وهكذا دواليك، وإن كان متكبرًا عن الحق صار كفره كفر استكبار كما هو الحال في إبليس.

قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥] أمر بعبادة الله تعالى والاستمرار على هذه العبادة بالصبر عليها إلى المات كما قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ

---

(١) الترمذي (٤/٤٧٥). والحديث صححه الشيخ الألباني.

﴿ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ الاستفهام هنا بمعنى النفي أي لا تعلم له سميًّا، لا تعلم له مماثلاً في اسم من أسمائه، ونظرًا لأن الأسماء مشتقه من الصفات، فإذا كان ليس له من يساميه فمن باب أولى ليس له من يتصف بمثل صفاته بل هو – سبحانه وتعالى– مختص بصفات جلاله وعظمته، وفي هذا ما تقدم مما ذكرناه أن هذه من الصفات السلبية المتضمنة للكمال لأنه إذا كان ليس له مساميًا في اسم من أسمائه فهو منفرد به ففيه إثبات الوحدانية لله تعالى باختصاص أسمائه وصفاته له جلّ وعلا.

قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] الكفء هو النظير والمماثل والمقارب وقوله ﴿ أَحَدٌ ﴾ هو اسم من أسماء الله والأصل فيه أن يستعمل في النفي لكنه هنا استعمل في الإثبات ودلالته (.............................) السنة والجماعة وهي أن النفي لصفات النقص والعيب المنافية لله ولكمال الله –سبحانه وتعالى– تتضمن إثبات كمال الله تعالى.

قوله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] هذا أيضًا نهي للعباد على أن يجعلوا لله تعالى مماثلاً ومناظرًا، وهذا المناظر سواء كان ذلك في الذات أو في الصفات أو في الأفعال أو في غيرها قال: ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ لاشك أن الإنسان إذا فعل هذا وهو يعلم، فهو أعظم من الإنسان الذي فعل هذا وهو جاهل، وإن كان الاثنان كليهما واقعين في الشرك الأكبر المخرج من الملة، وهو أيضا من نوع النفي المتقدم الذي ذكرناه لكم عندما بينا أنواع الصفات وقلنا إن

الله تعالى لا يستعمل من النفي في حق نفسه إلا ما كان متضمنا لإثبات كماله متضمنا لإثبات ضد ذلك النقص الذي نفاه.

لما انتهى المؤلف رحمه الله تعالى من ذكر عدد من الدلائل على توحيد الأسماء والصفات بموضوعاته المتعددة ويكون بذلك قد تحدث عن أصل من أصول العقائد وهو القرآن الكريم.

والقرآن دلالته على العقائد قسمان:

✍ القسم الأول: أن يسوق الأخبار والعقائد سياق الأخبار المسلمة التي لا تحتاج لاستدلال؛ لأنها واضحة المعاني والمباني وذلك كأمثال أكثر الآيات التي وردت بين أيدينا.

✍ والنوع الثاني: أن يذكر الدلائل العقلية فتأتي الأخبار على ميزان من موازين العقل ونحن عندما نقول إنها تأتي على ميزان من موازين العقل لا نقصد به أن تأتي على ما عليه اصطلاح المناطقة والفلاسفة وغيرهم، وذلك كأمثال قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢] ومثل ضرب الأمثال ومثل قياس الغائب على الشاهد، ومثل ذلك من الدلائل العقلية التي جاء بها القرآن الكريم وجاءت بها أيضًا السنة النبوية، النوع الثاني من الأدلة: هي سنة الرسول والمقصود بالسنة: ما صحّ سنده ووضحت دلالته هذا المقصود بالسنة هنا في باب العقائد، والسنة عند علماء العقائد تطلق تارة ويراد بها العقيدة، وتارة تطلق على مصادر العقيدة، مصدر من مصادر العقيدة الذي هو

كلام النبي – صلى الله عليه وسلم –، وما ألف من الكتب أكثرها من السنة كان المقصود بالسنة العقائد.

عقد المؤلف رحمه الله تعالى فطلاً آخر وهو فصل يتكلم فيه عن المصدر الثاني من مصادر العقائد، ونحن عندما نقول المصدر الثاني لا نقصد بذلك أن السنة في الاستدلال والاحتجاج أقل من القرآن فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – أوتي القرآن ومثله معه يعني السنة النبوية، وكان عليه الصلاة والسلام دلئاً ما يأمر بالتمسك بالكتاب والسنة وكأنه – صلى الله عليه وسلم – قد أوحي إليه أنه يأتي على الناس زمان فينكرون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يتوقفون في الأخذ بها وبما دلّت عليه، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي قال (**لا يجلسن أحدكم على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به والنهي مما نهيت عنه فيقول ما وجدنا في كتاب الله أخذناه ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**)[1] (........................) هنا السنة النبوية صنو الكتاب بالاحتجاج بها بل إن السنة النبوية تظهر أحكام لم ترد في كتاب الله، كما أن معظم أحكام الشريعة وتفاصيلها وتفاصيل العقيدة، هي في السنة النبوية، وإن كان القرآن قد دل على جملتها وعلى أصول أدلتها، ما هي وظيفة السنة النبوية بالنسبة للقرآن الكريم؟؟ قال: لها أربع وظائف: الأولى تفسر القرآن، يعني تكشف عن معانيه وتظهرها، ولذلك من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة انه إذا لم نجد المسألة في

---

(١) سنن أبي داود (٤/٢٠٠) والحديث صححه الشيخ الألباني.

القرآن الكريم، أخذناها من سنة رسول الله ﷺ، فإذًا السنة أصل من أصول الاستدلال والاستنباط، فهي تفسر ما لم ينكشف ويظهر من القرآن، الأمر الثاني: قال تبينه إذا كان فيه أمور مجملة لا يُفهم معناها ولا يفهم المقصود منها في القرآن فإن السنة تبين هذا الأمر المجمل وتظهر معناه حتى يذهب الإشكال الموجود فيه فتجد السنة النبوية تفصل ما أجمل من أمر الصلاة والصيام والحج، وغير ذلك من الأحكام وكذلك تفصل في أمور كثيرة من أمور العقائد، تبينها وتوضحها وتظهرها، قال: وتدل عليه أي تدل على ما دل عليه القرآن فتكون موافقة له، فيما أظهره من العقائد والأحكام، وفي هذا يكون الدليل قد قام على شيء من الكتاب والسنة، فتجتمع الدلالتان دلالة الكتاب ودلالة السنة النبوية، قال: وتعبر عنه لأن إذا كان الأمر فيه مبهماً وضحته، وإذا كان الأمر في القرآن ظاهرًا، ربما نصت عليه فتكون عليه نص لا يحتمل إن كانت الآية فيها احتمال جاءت السنة بعدم الاحتمال فعبرت عنه وإن كان للأمر تفاصيل عبرت عن هذه التفاصيل حتى نعرفها ونفهمها ونستطيع معاشر المكلفين أن نؤدي ما أمرنا الله تعالى به، وهذه الأمور تكون فيها السنة تابعة للقرآن لكن السنة مع ذلك تأتي مستقلة في بيان الأحكام فهي وحي مستقل بذاته تثبت به الأحكام والعقائد. والسنة بأنواعها من حيث القوة منها المتواتر لفظًا والمتواتر معنى ومنها الأحاديث المشهورة والمستفيضة وأحاديث الآحاد وكل هذه الأحاديث بجميع أنواعها حجة في باب العقائد، وذلك أننا عندما أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾

[المائدة:٩٢] وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ كل هذه النصوص لم يُفرق فيها بين أنواع السنة النبوية فإذا ما صح سندها وجب الأخذ بموجبها وأما دعوى أن بعضها لا يفيد اليقين فهذا ليس بصحيح، وذلك لأن اليقين أمر ينبع من النفس فمتى صح الحديث وعُرفت صحته يجد المؤمن قلبه جازمًا بموجبه ولأن قضية اليقينية ليس اعتماده على السند فقط لصحته وإنما اعتماده على طبيعة الخبر نفسه، الذي أخبر الله أو أخبر به النبي، ويكون الخير خبرًا ضروريًا لا تجد النفس إلا الإيمان والتصديق به لأنه من طبيعة فطرتها وحالها وقد يكون الخبر من كلام رسول الله موافقا للضروري ممن ورد فيكون مفيدًا لليقين، ولذا الإنسان يخبره الرجل الواحد بالخبر فيجزم بصحته مائة بالمائة وقد يخبره المجموع من الناس بالخبر فيجزم أنه كذب مائه بالمائة فإذا ما صح الحديث وصحت نسبته للنبي أفادنا اليقين بموجب ذلك ولأنه كما يقولون: **(ما جاز على أحد المثيلين جاز على الآخر)** والمتواتر وغيره كلها تتوافق بأنها صحت عن النبي، فإذا وجب الأخذ بما ورد في التواتر وجب الأخذ بما ورد في غيره؛ لأنه من جنس واحد كلها ثبت صحتها فثبتت حجيتها، ولأن النبي خبره خبر واحد ووجب تصديقه والأخذ به، وكذلك سائر الأنبياء فإن الله تعالى ما أرسل رسلاً إلا مفردًا، فقليل جدًا أن يرسل رسولين مع بعض، ولأن النبي كان يرسل الرجل إلى الآفاق من الناس فيبلغهم ويعلمهم فيؤمنون فيصح بذلك إسلامهم وإيمانهم، ولم يقل أحد من أهل العلم أن هؤلاء القوم لم يؤمنوا ولم يصبحوا مؤمنين؛ لأن

خبرهم خبر واحد بل مؤمنون مصدقون وإسلامهم صحيح وقد دخلوا في الإسلام.

يقول رحمه الله تعالى: (**وما وصف الرسول به ربه عزّ وجلّ من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك**)، إذًا كما أن الصفات وردت في القرآن فهي أيضا وردت في السنة وإذا صح الحديث ومعلوم أن الحديث الصحيح عرفه العلماء أنه: (**ما اتصل سنده وخلا من علة قادحة فيه وكان ضبط رجاله ضبطًا صحيحًا**) وهم يختلفون طبعا في طبيعة الضبط لكن كلمة الصحاح تشمل الحديث الصحيح لذاته والصحيح لغيره، وتشمل الحديث الحسن لذاته والحسن لغيره، وذلك لأن الحديث الصحيح لذاته هو مثل ما قال الناظم[1]:

أَوَّلُهَا الصَّحِيحُ وَهْوَ مَا اتَّصل... إِسْنَادُهُ وَلَمْ يَشُذَّ أَوْ يُعَلّْ

يَرْوِيهِ عَدْلٌ ضَابِطٌ عَنْ مِثْلِهِ... مُعْتَمَدٌ فِي ضَبْطِهِ وَنَقْلِهِ

فإذا توفرت هذه الشروط، سمي صحيحًا لذاته فإذا اختلف شرط الضبط بأن كان راوي الحديث ليس ضعيفًا ولكن في ضبطه بعض الشيء أقل من غيره من الثقات الكبار من العلماء المشهورين فإنه يعتبر في هذه الحالة حديث حسن، فإن كان ضعيفًا وقد تعددت طرقه وتكاثرت صار حسنًا لغيره، فإن كان حديثًا صحيحًا أيضًا لكنه أقل في الضبط من الحديث وتعددت طرقه يعني حسن

---

(١) المنظومة البيقونية، ص٧.

وتعـددت طرقـه صـار صـحيحًا لغـيره، إذا عنـدنا الحـديث الصـحيح لذاتـه، والصحيح لغيره والحسن لذاته والحسن لغيره ثم الضعيف، والضعيف لايحُتج به في باب العقائد أبدًا، كما قالوا:

وجنب الضعيف في العقائد... وحكم الله العزيز الواحد

الحديث لا يستدل به في شيء من العقائد بل ولا يستدل به في شيء من الأحكام، إلا إذا كان ثابتًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، أما إ ذا كان ضعيفًا والضعف قليل وتعددت الطرق وتكاثرت فإنه في الحالة هذه يرتقي إلى أن يكون حسنًا لغيره، فإن كان فيه ضبط لكنه أقل من الصحيح فإنه في الحالة هذه يكون حديثًا حسنًا، فإن كان حديثًا حسنًا وتعددت الطرق فيه ل (.........................). خفة أو شيء فهذا يعتبر صحيحًا لغيره وهذه الأحاديث بأنواعها سواء كانت متواترة، أو مستفيضة أو سواء كان حديثًا عزيزًا أو كان حديث آحاد، أو حديثًا صحيحًا لذاته أو صحيحًا لغيره أو حسنًا لذاته أو حسنًا لغيره، هذه الأنواع كلها حجة في أبواب العقيدة، ولذلك المؤلف رحمه الله قال: (**تلقاها أهل المعرفة بالقبول**) كل هذه الأنواع من الأحاديث مقبولة عند أهل العلم ما النتيجة؟ النتيجة وجب الإيمان بها كذلك كما نؤمن بكتاب الله كذلك نؤمن بما ورد في هذه الأحاديث بأنواعها مادام أن سندها ومتنها صار سندًا ومتنًا مقبولاً ، وعلى هذا فكل حديث وردت فيه صفة لله تعالى وجب الإيمان بموجبها إذا توفرت هذه الشروط التي ذكرها المؤلف رحمه الله. ثم بدأ المؤلف

رحمه الله كما مثّل لآيات الصفات أيضًا أراد أن يمثل لأحاديث الصفات ومن أحاديث الصفات حديث النزول الذي يدل على أن الله ينزل في الثلث الأخير من كل ليلة يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسأل فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له**»(١) والحديث متفق عليه، فهذا الحديث فيه إثبات صفة فعلية من صفات الله وهو نزوله –سبحانه وتعالى– كل ليلة إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، فيجب الإيمان به والتصديق ولذلك يرتجى حصول الدعاء، أما كيفيته فلا يعلمها إلا الله، كيفية هذا النزول لا يعلمها إلا الله ولذلك لا يجوز لأحد أن يدخل في قضية هل ينتقل أو لا ينتقل، يخلو منه العرش أو لا يخلوا منه العرش؛ لأن كل هذا يعتبر من الدخول في الكيفية التي لا يعلمها إلا الله تعالى بل نؤمن بذلك ونصدق بأنه ينزل ونعلم أن نزوله –سبحانه وتعالى– ليس كنزول غيره بل نزوله مختص به، وله معنى يختص به –سبحانه وتعالى–. وفي هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله تعالى حيث قال: «**فيقول**» يعني الله تعالى «**من يدعوني فأستجيب له**» بل إنه ورد في بعض الروايات الصحيحة، رواه ابن خزيمة في كتابه في توحيد الأسماء والصفات أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء في هذا الحديث أن الله يقول: (**أُسئل ولا يُسأل غيري وأنزل ولا ينزل غيري**)(٢) وهذا ينفي ما يؤوله به المتأولون من أن النزول، نزول الرحمة ونزول الملائكة وما أشبه ذلك، وقد أسند

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) لم أقف عليه.

النبي النزول إلى ربه مما يمنع أن يكون النزول لغيره – سبحانه وتعالى –، إذًا هذا الحديث اشتمل على إثبات النزول وإثبات أن الله تعالى يتكلم على ما يليق بجلاله وعظمته، وأما الدخول في اختلاف المطالع بالنسبة للبلدان وكيف يكون، هذا أيضا من الدخول في الكيفية التي ينبغي للمسلم أن يترفع عنها فيؤمن ويصدق بما قاله النبي ويفوض الكيفية إلى الله تعالى.

أيضًا من الأحاديث التي تعتبر من أحاديث الصفات قول النبي:ﷺ «**لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته**» متفق عليه وفي رواية أخرى «**لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم كانت معه دابته فضلت عنه فجلس تحت شجرة ينتظر الموت و إذا دابته واقفة على رأسه فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك وهو يريد أن يقول: أنت ربي وأنا عبدك لكن من شدة الفرح أخطأ**»[1] والحديث فيه إثبات صفة الفرح لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، الله أشد فرحًا، هذا دليل على أن فرح الله بتوبة العبد فرح شديد وعظيم وفيه الترغيب في التوبة والحرص عليها على الدوام والاستمرار.

أيضا من الأحاديث التي يجب الإيمان بها والتصديق بها، حديث «**يضحك الله إلى الرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**»[2] متفق عليه، وفيه إثبات صفة فعلية لله تعالى وهي الضحك وضحكه -سبحانه وتعالى- ليس له مؤثرات وأسباب فنضحك عليها، وأما ضحكه -سبحانه وتعالى- فهو صفه تليق بجلاله

---

(١) مسلم (٢٧٤٤).
(٢) البخاري (٢٤/٤)، مسلم (١٨٩٠).

وعظمته كيفيتها لا نعلمها لكننا نؤمن أن الله يضحك، وتفسير هذا الحديث ورد أيضا في حديث آخر وهو كما هو موجود في هذا الحديث ورد في تفصيل أكثر من هذا، أن أحدهما يقتل الآخر فيقول الصحابة للرسول: (**هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: لأنه حريص على قتل صاحبه**)(١) استدل العلماء بهذا الحديث، على أن العزم المؤكد، يعتبر فعلاً وأن العبد يأثم عليه، أما إذا كان داخلاً في دائرة الخطرات والخواطر أو الهم، فإن الإنسان لا يأثم عليه بل إذا تركه يؤجر على ترك هذا الهم الفاسد ولم يفعله، أما إذا عزم وما فعل بمعنى أنه مقدم على الفعل لا محالة، لكن قد يمنعه مانع، هذا يأثم حتى لو لم يفعل؛ لأن المانع منعه لأنه ما تركه ابتغاء وجه الله ومرضاته، وإنما منعه منه مانع فوق قدرته، فلم يستطع الفعل، الشاهد في هذا أن الاثنين دخلا الجنة لأن أحدهما قتل صاحبه. في هذا الحديث أن أحدهما قتل صاحبه وهو مسلم وفي الحديث الأول أن الرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة كان أحدهما قتل أخوه كلاهما يدخل الجنة يعني أنه يقتل في سبيل الله فيدخل الجنة وهذا أيضا يُقتل في سبيل الله فيدخل الجنة، مثل الرجل الذي قال لا إله إلا الله فقتله أسامه(٢) هذا يدخل الجنة وأسامة رضي الله عنه قُتل في سبيل الله فيدخل الجنة، إذًا عندنا إثبات صفة الضحك.

هناك الحديث الآخر الذي يدل على الصفة الرابعة من الصفات الفعلية وهي قوله: «**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أذلين قلقين فيظل**

---

(١) البخاري (١/١٥)، مسلم (٢٨٨٨).

(٢) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، البخاري (٥/١٤٤)، مسلم (٩٦).

يضحك يعرف أن فرجكم قريبا»[1] والحديث حسن، هذا الحديث فيه إثبات صفتين، صفة العجب من الله أنه يتعجب من الشيء، وفيه إثبات صفة الضحك، ويدل على قرب الله تعالى من عباده فهو قريب، فدل على ثلاث من الصفات، الأولى: القرب، وهي صفه ذاتية والعجب والضحك صفتان فعليتان من الصفات الفعلية، وقال حديث حسن يعني الشيخ يحسنه يحسن هذا الحديث، و أكثر أهل العلم على ضعفه لأن فيه رجل متروك، لكن لعل للحديث طرق أخرى علمها الشيخ رحمه الله وبناء على ذلك قال عنه حديث حسن، وإلا الموجود في الثقات للعقيلي أن فيه رجل متروك وضعفه لكن مادام أن الشيخ رحمه الله حسّنه فهذا دليل على أن له طرقًا حسنة، وبناء علي ثبوت الحديث فإنه يكون مثبتًا لهذه الصفات كلها.

أيضا ذكر قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها رجله وفي رواية عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض فتقول: قطٍ قطٍ**»[2] متفق عليه، هذا الحديث فيه إثبات صفة القدم والرجل لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وقوله **(قط قط)** يعني اكتفيت، يعني أن النار اكتفت وامتلأت.

---

(١) سنن ابن ماجة (١/٦٤) والحديث ضعفه الشيخ الألباني.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري (٦/١٣٠)، مسلم (٢٨٤٦).

قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: «**يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار**»[1] متفق عليه، هذا الحديث يثبت صفة الكلام لله تعالى، والشاهد من الحديث يقول الله تعالى: (**يا آدم**) يقول والكلام لا يكون إلا بحرف وصوت والقول، لا يكون إلا بحرف وصوت وكذلك الكلام هو حرف وصوت وأيضا قوله (**بصوت**) إثبات الصوت، وأن الله كلامه بصوت قوله: (**فينادي**) دليل على أنه متكلم فالنداء لا يكون إلا بحرف وصوت (**إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا من النار**) فيه دليل على أن أهل الكبائر لا يخلدون في نار جهنم، وأن من دخل منهم النار يخرج بعد أن يُمحص ويعذب.

أيضًا من الأحاديث المثبتة لصفة الكلام قوله: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان**»[2] والشاهد قوله: (**سيكلمه**)، وفي هذا دليل على ما قلناه من حدوث أفراد الكلام بمعنى أن الله تعالى يتكلم في الزمن هذا والزمن هذا، وهكذا دواليك يعني كلامه لموسى انتهى، ثم كلم محمدًا وهكذا كل الكلام له ابتداء وانتهاء وهذا معنى حدوث الآحاد فقوله تعالى: (**يا آدم**) هذا قاله في وقت وزمن معين وانتهى هذا القول بعدما قاله، دل ذلك على أن أفراد الكلام حادثه بمعنى أن لها ابتداء وانتهاء في الزمان أيضًا.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، البخاري (٦/٩٧)، مسلم (٢٢٢).
(٢) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم، البخاري (٢/١٠٨)، مسلم (١٠١٦).

فيه دليل على أن الله يكلم كل أحد باللغة التي يفهما ووردت أحاديث أنه يكلم أهل الجنة[1] والمحشر[2]، وأنه يكون بالعربية[3] لكن ليس هذا بحديث صحيح واضح لكن الحديث يدل على أن الله يكلم كل إنسان بما يفهمه سواء كان الناس جميعًا يتكلمون العربية في ذلك الوقت أو يتكلمون بلغات مختلفة، فإن الله يكلمهم ويفهمون عنه ما يقول ويجيبون وهكذا.

قوله صلى الله عليه وسلم في رقية المريض «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا

---

(١) منها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى؟ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا ».

(٢) ثبت في صحيح مسلم في حديث طويل الشاهد منه: (. . . . . أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا)

(٣) سئل الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله عن سؤال يتضمن هذا المعنى فكان جوابه: (ظاهر النصوص أنها اللغة العربية، ظاهر النصوص الواردة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه يكلم الناس باللغة العربية، والله أعلم جل وعلا، ظاهر النصوص الواردة في كلامه جل وعلا باللغة بالعربية، ولا أعلم مانعًا من أنه يتكلم بغيرها وهو على كل شيء قدير سبحانه وتعالى، يعلم كل شيء ويعلم جميع اللغات ولا تخفى عليه خافية جل وعلا، لكن ظاهر النصوص أنه يخاطب الناس يوم القيامة باللغة العربية، وأن لغة أهل الجنة هي اللغة العربية، يتخاطبون بهذه اللغة المعروفة أهل الجنة، والله يخاطبهم بذلك كما هو ظاهر النصوص، وهو سبحانه يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء وعلى جميع اللغات سبحانه وتعالى، ويعلم أحوال أهلها، ويجازيهم على أعمالهم بما يستحقون سبحانه وتعالى).

حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفاءك على هذا الوجع فيبرأ»[1] حديث حسن، والشاهد في هذا (**ربنا الذي في السماء**) إثبات لعلو الله وفي هذا الحديث تعظيم لأسماء الله؛ لأن كلمة اسمك مفرد معناه أسماؤك فهو اسم جنس فالمقصود به تعاظمت أسماؤك وجلت أسماؤك، (**أمرك في السماء والأرض**) كونه قال (**أمرك في السماء والأرض**) مع قوله: (**ربنا الله الذي في السماء**) دليل على أن نسبة العلو لله تعالى هو صفة من صفاته لأنه فرق بينه وبين أمره، وهذا يبطل قول من يقول مثل من فسر أمر من أمور العلو أو النزول بأنها نزول الأمر أو نحو ذلك، وفيه إثبات رحمة الله تعالى التي هي صفته، وفيه أن المسلم يستعمل الأدعية المشروعة لشفاء مرضه، وهي إما أن تكون من كلام الله أو من كلام الرسول ﷺ فهي في شفاءها أعظم من شفاء الأطباء وآرائهم، قوله صلى الله عليه وسلم: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**»[2] فيه صفه للنبي ﷺ وهي الأمانة التي عرفها الكفار قبل المؤمنين، الأمر الثاني إثبات صفة العلو لأنه قال «**أمين من في السماء**» وهو الله، ففيه إثبات العلو لله تعالى.

أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم: «**فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء إلى السماء، وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهن العرش، بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى**

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٢/٤) والحديث ضعفه الشيخ الألباني.

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، البخاري (١٦٣/٥)، مسلم (١٠٦٤).

سماء، والله فوق ذلك»[1] وفيه دليل على أن العرش هو أعلى المخلوقات، وأكبرها ودليل على أن فوقية الله وعلوه لا تنافي معيته التي هي معية العلم والإحاطة بكل ما يعمله العباد بدليل قوله «**وهو يعلم ما أنتم عليه**» فلا تنافي بين المعية وبين إثبات الفوقية والعلو لله تعالى.

قوله – صلى الله عليه وسلم – للجارية «**أين الله؟ قالت: في السماء قال: من أنا قالت:أنت رسول الله قال: أطلقها فإنها مؤمنة**»[2]، هذا من أدلة العلو وهو أن الله تعالى عال على خلقه، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد للجارية بالإيمان لما قالت إن الله في السماء، وقولها: «**أنك رسول الله**» سماه إيمانًا، فدل ذلك على أنه مما يجب الإيمان والتصديق به، وفيه جواز السؤال من أجل الاستفادة أو الاختبار لأنه أراد أن يعرف هل هي مؤمنة أم لا، وكان الرسول يسأل أصحابه في بعض الأحيان لا من قصد اكتشاف الإيمان، بل من أجل أن يعلمهم، كما جاء جبريل ثم قال لهم الرسول: «**أتاكم جبريل ليعلمكم أمر دينكم**»[3]، عن طريق السؤال أما هنا المقصود بالسؤال الاختبار، هل هي مؤمنه أو لا؟ ولذلك قال أعتقها فإنها مؤمنه، وفيه دليل على أن الشرع يحث على عتق المؤمنات، وأما الكفار إذا كانوا أرقاء عند المؤمنين، فالأولى بقائهم لأن ذلك يعلمهم الدين، من خلال رؤيتهم

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٥/٤٧٥) وقال حديث حسن غريب، والحديث ضعفه الشيخ الألباني.
(٢) مسلم (٥٣٧).
(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة البخاري (٦/١١٥)، مسلم (٩).

لأصحاب البيت وهم يصلون ويتكلمون في أمور الشريعة، وما إلى ذلك فيكون ذلك طريقًا لإيمانهم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «**أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**»[1] في هذا الحديث إثبات المعية لله تعالى ووجوب الجزم بذلك، وقد تقدم لنا أن المعية تنقسم إلى قسمين:

✍ معية عامة: وهي معية العلم والإحاطة والقهر.

✍ ومعية خاصة: وهي معية النصر وتأييد.

وقد تبين لنا من قبل أن المعية العامة، صفة ذاتية، وأما المعية الخاصة فهي صفة فعلية، يفعلها الله متى شاء وكيفما شاء.

قوله: (**أن تعلم**) أن توقن وتجزم بموجب ذلك، أن الله معك حيثما كنت، يعني زمانا ومكانا فيشمل الزمان والمكان، وقد دلت آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وإجماع العلماء على أن المعية لا تقتضي اختلاطًا بالمخلوقين، ولا تعارض علو الله على عرشه.

وقوله «**أفضل الإيمان**»، يدل على أن الإيمان يزيد؛ لأنه إذا كان هذا أفضل الإيمان فهناك ما هو دونه، فدل على أن الإيمان يزيد وينقص بالأعمال الصالحة، كما أنه يزيد وينقص بما في القلب أو بما يقوله الإنسان على لسانه.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/٣٣٦)، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الإيمان.

قوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصقن قِبَل وجهه، ولا عن يمينه فإن الله قِبَل وجهه ولكن عن يساره أو تحت قدمه**»[1] في هذا الحديث إثبات صفة الوجه لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وقوله: (**يبصق عن يساره أو عن يمينه**) هذا في الأماكن الرملية في غير المساجد أما المساجد المفروشة أو البيوت المفروشة أو نحو ذلك فإنه لا يبصق عن يمينه ولكن يبصق في شيء عنده.

وقوله: (**فإن الله قِبَل وجهه**) يعني أن الله أمامه كما تقول هذا القمر أمامي، أنا أطالع القمر الآن في جهة الغرب وفي نفس الوقت يكون أمامك، وكونه أمامك لا ينافي كونه أنه فوقك، وفيه أيضا تحريم البصاق في القبلة، جهة القبلة أو في أثناء الصلاة، والنهي هنا للتحريم لأنه نفي مطلق، وفيه دليل على أن الله ليس في الجهات الأخرى في اليمين أو اليسار أو تحت، هذه الجهات كلها لا يجوز أن تنسب لله تعالى وإنما تنسب له جهة واحدة وهي الفوقية، وهي لا تنافي كونه قِبَل وجهك فهو أمامك وفوقك -سبحانه وتعالى-.

قوله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم رب السماوات السبع والأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**

---

(١) البخاري (١/٩٠).

وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغننا من الفقر»[1] في هذا الحديث إثبات صفة الأولية، واسم الأول، وصفة الآخيرية، والآخر، وصفة الظاهر والباطن، وقد تقدم مزيد كلام على هذه الصفات بأن الأول يدل على أن الله لم يكن قبله شيء بل هو أول الموجودات، وهو لا يفنى كما تفنى الموجودات، بل هو آخر باق بعد فناء الموجودات وقد تقدم على أن الظاهر يدل على الفوقية، فليس فوقك شيء دال على الفوقية والعلو، والباطن دال على المعية وأن الله يعلم ما العباد به قائمون وعاملون، وفيه إثبات توحيد الربوبية **(اللهم رب السماوات)**، وفيه إثبات العرش وعموم ربوبية الله بقوله: **(ربنا ورب كل شيء)**، وفيه أن الله خالق العوالم، خالق الحب والنوى، وأن كتبه منزلة، منزل التوراة والإنجيل وفيه أن الاستعاذة لا تجوز إلا بالله ﷻ **(أعوذ بك)**، يعني بالله تعالى من شر نفسي، **(ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها)**، وفي هذا نسب الشر إلى المخلوق، إلى النفس والدواب، وفيه ما تقدم من أن الشر المطلق لا يضاف إلى الله تعالى.

قوله صلى الله عليه وسلم لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا وإنما تدعون سميعا بصيرا إن الذي تدعونه اقرب لأحدكم من عنق راحلته»**[2] متفق عليه، وفيه إثبات السمع والبصر وعموم سمع الله للمسموعات، وفيه دليل على قربه تعالى ممن دعاه، وفيه شرعية خفض الصوت بالدعاء، وأن رفعه يعتبر من التعدي، وكلما كان الدعاء

---

(١) أخرجه الإمام مسلم برقم (٢٧١٣).
(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، البخاري (٤/٥٧)، مسلم (٢٧٠٤).

أخفى بينك وبين الله كلما كان أفضل، وفيه أن الشرع يدعو إلى رحمة الإنسان بنفسه وعدم إجهادها كما يفعل أهل البدع من المتصوفة في هذا الزمان.

قوله صلى الله عليه وسلم «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر، ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**»[1] متفق عليه، وهذا الحديث فيه إثبات الرؤية يوم القيامة، وأن كل إنسان يرى الله رؤية واضحة ظاهرة لا مضايقة له من غيره في هذه الرؤية بل يراه على سبيل السعة والراحة والوضوح والظهور، وقد استشكل بعض أهل البدع مثل هذا الحديث فقالوا: (**إن ذلك تشبيه لله بالقمر**)، وكلامهم هذا مردود غير صحيح؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما مثل الله بالقمر وإنما مثل رؤيا العبد في الحالين بعضهما ببعض فهذه الرؤيا في الوضوح، كتلك الرؤيا في الوضوح، ولم يقل أن القمر مثل الله، فرؤية الله في الوضوح يوم القيامة كرؤية القمر ليلة البدر في الوضوح في الدنيا، وفيه فضل صلاة الفجر والعصر لأن الصلاة إلى قبل الغروب هي العصر والصلاة إلى قبل طلوع الشمس هي الفجر، والفجر هي الصلاة الوسطى كما عليه كثير من أهل التحقيق من أهل العلم، وصلاة العصر قال فيها النبي (**من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله**)[2] يعني ماتوا وذهبوا، فهو حث على المحافظة على هذه الصلوات؛ لأنها في أوقات النوم كثير من الناس ينام عن صلاة العصر والفجر.

---

(١) متفق عليه من حديث جرير بن عبد الله، البخاري (١/١١٥)، مسلم (٦٣٣).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر، البخاري (١/١١٥)، مسلم (٦٢٦).

قوله: (**فإن استطعتم**) دليل على أن المكلفين لا يطلب منهم إلا ما يستطيعونه، وأن الله ما كلفهم إلا بما يستطيعونه، بل إنه كلفهم بأقل مما يستطيعونه، فهم يستطيعون أكثر من هذه التكاليف.

يقول رحمه الله: (**وإلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر بها رسول الله عن ربه بما يخبر فان الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، يؤمنون بذلك، يصدقون ويوقنون كما يؤمنون بما أخبر الله في كتابه في الآيات المتقدمة، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فكليهما يؤمنون بما فيهما متجنبين التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل، وبذلك يظهر لنا تواتر النصوص على إثبات توحيد الأسماء والصفات، ووجوب الإيمان به والتصديق بموجب ما ورد في النصوص من أسماء الله وصفاته**) بعد أن حقق لنا المؤلف رحمه الله الأمر في دلالة هذين المصدرين، الكتاب والسنة وذكر لنا هنا إجماع أهل السنة والجماعة على ذلك، فذكر لنا الدليل الثالث وهو إجماع السلف وسيأتي له مزيد بحث وزيادة فيما سيأتينا.

أراد المؤلف رحمه الله أن يبين ميزة وخصيصة من خصائص أهل السنة والجماعة مرتبطة بالإجماع وهي وسطية أهل السنة والجماعة بين سائر الفرق والأمم فهناك وسطية للأمة المحمدية بين الديانات وهناك وسطية لأهل السنة في فرق الأمة يعني أهل السنة والجماعة والطائفة الناجية هذه وسط بين فرق الأمة المحمدية، والمقصود بالوسط أنها على الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، ووسطية هذه الفرقة الناجية نابعة من وسطية أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله وصف

هذه الأمة المحمدية بهذه الصفة كما تقدم وذلك في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ فالفرقة الناجية هي الممثلة للأمة في صفاء عقيدتها وبساطتها وظهورها ووضوحها. ولهذه الوسطية مظاهر واضحة من أهمها قوله: (**فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة**)، وجه هذا التبسط أن الجهمية تنكر الصفات ولا تؤمن بها، ويدخل في الجهمية المعتزلة، ومن ماثلها، وأهل التمثيل المشبهة الذين يسوون الله بخلقه ويجعلون صفات الله مثل صفات المخلوقين ويدخل في هذا المكيفة؛ لأن المكيف مشبه وممثل، وإنما جمع المؤلف بين التمثيل والتشبيه هنا بالنسبة ليبين أن المقصود هو التمثيل الذي ورد في الكتاب والسنة وإلا فإن لفظ التشبيه لم يرد في الكتاب والسنة نفيه ولا إثباته فهو لفظ مجمل يحتمل حقًا وباطلاً ، والباطل منه أن يكون الله مماثلاً لخلقه والحق منه ما دل عليه الكتاب والسنة من أن التعبير لتلك الألفاظ المتشابهة التي تطلق على الله وعلى خلقه أنه لا يلزم من هذا تمثيلاً ولا تشبيهًا لله كإطلاق بصير على بعض خلقه (**فارتد بصيرًا**) وإطلاق بصير على نفسه، وإطلاق سميع على خلقه وإطلاق سميع على نفسه، يقول هذا التشابه ليس فيه محذور شرعي ولهذا السبب قرن أهل التمثيل، يقال أهل التمثيل المشبهة حتى يُعرف المقصود من التشبيه، وهو التشبيه الذي هو التمثيل الذي نفته الأدلة، فصارت الفرق صنفين: إما نافية وإما مثبتة على سبيل التشبيه، وأهل السنة والجماعة وسط بينهما على الحق يثبتون ما في

الكتاب والسنة فلا يعطلون وفي نفس الوقت لا يمثلون هذه الصفات بصفات الخلق فهم وسط بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة.

قال: (**وهم وسط في باب أفعال الله بين المجبرة والقدرية وغيرهم**)، المقصود بأفعال الله ما خلقه الله وأوجده مثل الخلق والإيجاد والرزق والإحياء والإماتة، وكذلك أفعال العباد، أن الله خلق أفعال العباد كما قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم:٤١] فالفاعلون لأفعالهم هم الناس، أما الجبرية والقدرية هاتان طائفتان منحرفتان في هذا الباب فالجبرية غلت في قضية إثبات الأفعال فقالت: جميع الأفعال التي تحصل من العبد هي فعل الله وليس فعل للعبد والعبد ليس له إرادة للفعل وليس له قدرة عليه، بل هو كالريشة في مهب الريح، تذهب بها حيث شاءت فهؤلاء ضلّلوا الناس من مسؤولياتهم، كأنهم قالوا للعباد لا تصلوا ولا تصوموا ولا تفعلوا شيئًا (...............) من الزنا وشرب الخمر وأفعال الكلاب والخنازير وغيرها من المخلوقات هذه أفعال الله لأن هذه مالها فعل ولا قدره ولا إرادة فهم نسبوا إلى الله أقبح القبائح من جهة ومن جهة، يعني جعلوا الناس يتنصلون من الشريعة، جعلوا الناس لا يحترمون الشريعة ولا يعظمونها، فليس فيهم تعظيم لله، وبذلك كان فعلهم هذا إبطال للشريعة من أصلها. وأما القدرية، فهؤلاء غلوا في إنكار القدر قالوا: ما فيه قدر

أصلاً وأن الله لا يقدر على مقدور العبد و العبد أقدر من الله، وقالوا: إرادة الله لا تتعلق بأفعال العباد ولا إرادته، وإنها العباد هم الذين يخلقون أفعالهم.

قوله: (وغيرهم) يعني من سلك مسلك الجبرية ومسلك القدرية مثل الأشعرية سلكوا مسلك الجبرية والخوارج والرافضة وغيرها، وكل هذه المسالك باطلة، فجميع الآيات والسنن التي تدل على تكليف العباد وأن لهم استطاعة ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ تدل على أن العباد لهم فعل وإرادة وقدرة، وأنهم مستطيعون بهذه القدرة وهذا الفعل أن يفعلوا وبناء على ذلك هم مأجورون على ما فعلوه مما هو موافق للشريعة، وهم آثمون على ما يفعلونه مما يخالف الشريعة، فإذًا هؤلاء نفوا أن يكون هناك تعلق بمشيئة الله وقدرته بأفعال العباد. أما أهل السنة والجماعة فقد جمعوا بين النصوص كلها وأخذوا بها وما تركوا ضدًا فجاءوا لقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ قالوا: الله خالق أفعال العباد وجاءوا لإرادة العبد وقدرته فقالوا له قدرة وإرادة لأن القرآن والسنة دلاّ على ذلك، لكن قالوا إن فعل العبد لا يحصل بمجرد وجود قدرته وإرادته بل لابد من شروط أخرى تجتمع حتى يوجد الفعل من العبد، هذه هي مشيئة الله، وإرادة الله وقدرته، ولذلك حتى يحصل فعل العبد، لابد من وجود إرادة من الله وقدرة من العبد وإرادة من العبد، عندئذٍ إذا اجتمعت هذه الأربعة، يقع الفعل وقالوا إن قدرة الله وإرادة الله هذه هي الموجبة لوجود الفعل وخلقه وإيجاده وأما قدرة العبد وإرادته هذه مصححة لوجود

الفعل، إذ لا يصح الفعل إلا بها، وبوجودها فقسموا الإرادة إلى قسمين: إرادة مصححة للفعل وإرادة مقارنة للفعل.

وذلك بدليل قوله تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فلا بد من وجود مشيئة الله تعالى وإرادته وقدرته لأنها مقتضية للخلق وإيجاد الفعل، ووجود إرادة العبد وقدرته حتى يصح وقوع الفعل من العبد ولذلك سموا الإرادة إرادة الله، سموها الإرادة. قلنا هناك إرادة مصححه للفعل وإرادة مقارنة للفعل فإرادة الله مصححة للفعل، بمعنى أنه لا يوجد ولا يخلق إلا إذا تعلقت إرادة الله بخلقه وإيجاده مقارنة للفعل وهي إرادة العبد، التي لابد من وجودها في صحة وقوع الفعل من العبد، الشاهد في هذا أنهم جمعوا بين نصوص الكتاب والسنة، وأنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريد -سبحانه وتعالى- وأثبتوا للعباد فعلهم كما ذكرنا من قبل، أما أهل البدع وهم القدرية فقد تقدم، الجبرية قالوا: العبد هذا ماله فعل أصلاً ، لا إرادة ولا قدرة ولا أي شيء، وبذلك خالفوا الكتاب والسنة، والآخرون قالوا: لا، له فعل لكن نفوا خلق الله تعالى لهذا الفعل وجعلوا الله شريك للفعل في الخلق وأما أهل السنة فأثبتوا لله الخلق، وبينوا أن خلق الفعل ليس هو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب وإنما الثواب والعقاب يترتب على وقوع الفعل من العبد فإذا وقع الفعل من العبد كان العبد مسئولاً عن وقوعه، عندئذ يأثم أو يؤجر.

قال: (**وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرها**)، قبل أن نبدأ في هذا بعض العلماء يقول بدل ما يقول وسط في باب أفعال الله يقول وسط في

أفعال العباد والأمر هنا واضح، أفعال العباد يعني خلق الله تعالى وإيجاده للمخلوقات بما في ذلك إيجاده لأفعال العباد وإن قلنا وسط في أفعال العباد من حيث أن هؤلاء الجبرية يقولون إنها خلق الله وإن العبد ماله قدرة، ولا إرادة عليها ومن جهة أن القدرية، قالوا أن أفعال العباد هذه ليست مخلوقة لله، وإنما الذي خلقها هو العبد، فسواء كان العنوان باب أفعال الله أو باب أو باب أفعال العباد فالوسط......... أما في باب الوعيد والمقصود بالوعيد النار، هذا المقصود بكلمة الوعيد، إذا أُطلق الوعيد فالمقصود به ما أنذر الله تعالى به من النار وهو دال على أن من العباد من يعمل المعاصي، ولذا يستحق هذا الوعيد الذي ذكره الله تعالى مترتبا عليها، قاله في الوعيد بين المرجئة والوعيدية، وهذه المسألة تنقسم إلى قسمين في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فإن المرجئة يقولون إن العمل ليس من الإيمان، وبالتالي من مات ولم يعمل فهو مؤمن كامل الإيمان، ومادام أنه ليس من الإيمان فيكتفي من الناس بالقول والاعتقاد فقط، وإذا مات الإنسان على مثل ذلك، كان مآله في الآخرة الجنة، أما الوعيدية والمقصود بهم الخوارج والمعتزلة لأن الخوارج يقولون إنه في الدنيا كافر، فعندهم صاحب الكبيرة كافر خارج عن ملة الإسلام، والمعتزلة في الدنيا يقولون: ليس كافرًا لكنه في منزلة بين الإيمان والكفر، خرج من الإيمان وما دخل في الكفر، ولا يختلفون مع أهل السنة في تسميته فاسقًا، لكن الفاسق عند أهل السنة، من فعل المعاصي والكبائر، أهل السنة يقولون هو مؤمن بدليل أن الله تعالى لما ذكر الطائفتين المتقاتلتين جعلهما من المؤمنين ولم

يخرجهم عن دائرة الإيمان ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات:٩] ولاشك أن قتال المؤمن للمؤمن كبيرة من كبائر الذنوب ومع ذلك سماه مؤمنًا وكذلك عندما ذكر القاتل قال: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ جعله أخوه في الإيمان فدل ذلك على أن مرتكب الكبيرة في الدنيا مؤمن، وعند أهل السنة والجماعة في الآخرة مرتكب الكبيرة تحت المشيئة لكن لو مات عليها، فإنه تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له من أول وهلة ولا دخل النار، أخذًا بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أما في الآخرة فالمرجئة كما تقدم يقولون مرتكب الكبيرة في الجنة، ولا تصيبه النار أبدًا وأما الوعيدية وهم الخوارج والمعتزلة، يقولون إنه خالد مخلد في نار جهنم، والوعيدية كلهم قدرية في باب الاعتقاد، يعني نفاة للقدر كلهم المعتزلة والخوارج، ولذلك قال: **(من القدرية)**، حتى يعمهم فهم قدرية، نفاة للقدر، إذًا المرجئة صاحب الكبيرة شجعوه على المعاصي لأنهم قالوا أنت مؤمن كامل الإيمان مهما فعلت، فإن إيمانك لا يتحرك ولا يتزلزل ولا ينقص شيئًا، والوعيدية جعلوه ييأس من رحمة الله، والخوارج قالوا إنه كافر، والمعتزلة قالوا هو خرج من الإيمان لكن ما دخل في الكفر منزله بين المنزلتين، وأهل السنة والجماعة جمعوا له بين الخوف والرجاء فقالوا له أنت إذا فعلت الكبيرة فسقت ونقص إيمانك وإذا تبت إلى الله واستغفرت، رجع إيمانك كما كان، وقالوا: في الآخرة أنت تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر لك مادامت أقبلت على الله تائبًا، وإن شاء عذبك، فما جعلوه

ييأس من النجاة في الآخرة، وقالوا إن مآل عصاة أصحاب الكبائر سواء عُذبوا أو عُفي عنهم، إلى الجنة، هذا مآلهم، كما في ظاهر الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك، كمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**»[1] فمثل هذه الأحاديث وأمثاله تدل على أن المؤمن مآله إلى الجنة، حتى لو كان مرتكبًا للكبائر.

تقدم أن المؤلف رحمه الله تعالى تكلم على وسطية هذه الأمة المحمدية وجعلها الأساس في وسطية أهل السنة والجماعة، وذكر عده عناصر تبين عن هذه الوسطية لم يكن المقصود منها الحصر، وإنما المقصود منها التمثيل لأهم الأبواب فتكلم عن الوسطية في أبواب الأسماء والصفات بين أهل التعطيل والجهمية وأهل التمثيل والمشبهة، وتحدث عن الوسطية في أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم وتكلم عن الوسطية في باب وعيد الله بين المرجئة الوعيدية، والوعيدية من القدرية وغيرهم وتحدث في الوسطية في أبواب أسماء الدين،

قال المصنف:(**وَفِي بَابِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ «الحَرُورِيَّةِ» وَ«المُعْتَزِلَةِ»، وَبَيْنَ «المُرْجِئَةِ» وَ«الجَهْمِيَّةِ» وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ «الرَّوَافِضِ»، وَبَيْنَ «الخَوَارِجِ»**).

---

(١) البخاري من حديث أبي هريرة (١/٣١).

أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة، وتحدث عـن الوسـطية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج والناصبة وبـين الرافضـة والنواصب، ثم عقد فطلاً رحمه الله تعالى هو يعتـبر مـن (............) ثـم بعـد ذلك بدأ يتكلم عن قضية الأسماء والصفات وما يتعلق بها.

يقول رحمه الله تعالى: (**وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله**) تقدم لنا تعريف الإيمان بالله، وهو الإيمان بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه سلف الأمة، من أنه – سبحانه وتعالى - فوق سماواته على عرشه، عليٌّ على خلقه وهو - سبحانه وتعالى- معهم أينما كانوا ويعلم ما هم عاملون، إذًا هو تكلم على باب التفصيل يعني مما دخل في ذلك أبواب الصفات وذكر أحاديثها، ثم بدأ يعقد فصلاً لأبواب خاصة، هذه الأبواب الخاصة اشتهرت فيها مخالفة أهل البدع، اشتهارًا عظيماً ولهذا السبب عقد هذه الأبواب؛ لأن أهل البدع أكثروا من الشبهات حولها، وقد يتأثر بهم بعض الناس لذلك عقد مثل هذه الأبواب حتى يحرر الحق، والمسألة التي بين أيدينا هي مسألة علو الله على عرشه، وقد تقدم أن المراد بعلو الله على عرشه كونه تعالى فوق العرش جلّ وعلا وأنه سبحانه لا تخفى عليه خافيه مما يعمله العباد، وذكرنا الأدلة من الكتاب والسنة ومن إجماع السلف الصالح، فإذًا أول شيء هو أنهبيّنّ لنا المصادر التي اعتمدنا عليها في إثبات العلو التي هي القرآن الكريم والسنة النبوية، وبيّنّ أن دلالة القرآن والسنة دلالة متواترة، وهو تكاثر الأدلة عليها كثرة وافرة، بحيث لا

تجعل للإنسان مجلاً للشك أو الريب أو التردد و نحو ذلك، وذلك لأن الإنسان من طبيعته أنه يقوى جانب الجزم عنده والإيمان بصحة ما أُخبر به، تعدد الأخبار بالخبر من الصادقين.

والعلو تكاثرت الأدلة عليه في القرآن، وتكاثرت عليه الأدلة في السنة النبوية، وأيضا جاء في الآثار عن السلف رحمهم الله تعالى سواء كان من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم معلنة عن إثبات علو الله تعالى على عرشه، وإذا كان الله تعالى عال على عرشه فهو عال على سائر مخلوقاته، فإن العرش هو آخر المخلوقات علوًا هو أرفعها، فما ثمّة بعد ذلك إلا رب العالمين. وبين في هذا رحمة الله أن الإيمان بعلو الله على عرشه لا ينافي معية الله تعالى وكونه يعلم ما هم عاملون وهي المعية العامة وبين أن هذه المعية معية علم وإحاطة، وذلك لسببين:

✍ السبب الأول: أن الله جمع بينهما والله -سبحانه وتعالى- لا يجمع بين أمرين محالين.

✍ السبب الثاني: أنه لو كان فيه الجمع بين العلو والمعية محذور لبينه الله تعالى ولأظهره وبينه فكونه يصف نفسه بالعلو ويصف نفسه بالمعية فهذا دليل على أنهم لا يتنافيان وأن الإيمان بهما واجب، واستدل على ذلك قال: (كما جمع بين ذلك) يعني جمع بين إثبات علوه وبين إثبات معيته العامة، (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) (استوى على العرش) يثبت العلو، الجزء الثاني ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ

﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ:٢] ثم جاء بعد ذلك بالعطف البياني ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ جمع الله تعالى في هذه الآية بين إثبات علوه -سبحانه وتعالى- على عرشه و بنفس الوقت بيان معيته لخلقه، وليس معنى قوله أنه معهم، أنه مختلط بالخلق، يقول: إن الآية ليس فيها دلالة على الاختلاط بالخلق، فإن المعية هنا معية علم وإحاطة بدليل أن الله تعالى قال في هذه الآية ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ثم قال: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ فدل على أن معيته معية علم وإحاطة، ثم إن المؤلف رحمه الله بين أنه كما قامت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة و إجماع السلف على إثبات صفة العلو والمعية، دلّت اللغة العربية على أن هذه المعية، ليست دالة على الاختلاط وذلك بقوله: بل القمر آية من آيات الله، من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، يعني يقول مقتضى اللغة العربية إذا قلت: «**سرت والقمر**» هذا لا يقتضي أن يكون القمر مخالطًا لك، أو أنه بجانبك أو ما أشبه ذلك، وهذا أسلوب عربي صحيح مع أن القمر في السماء وأنت في الأرض وكذا تقول لولدك - كما تقدم لنا - وأنت في الدور الثاني وهو في الدور الأول مثلاً : «**أنا معك**» مع أنك فوقه لست محاذيًا له، واللغة تصحح هذا الأسلوب، فلم تقتض هذه المعية اختلاطًا، ولم يكن هناك تنافر بين كونك في الدور الثاني، وبين كون ولدك في الدور الأول مثلاً وأنت تقول: أنا معك، أو أن القمر في السماء، وأنت في الأرض هاهنا وأنت تقول: سرت والقمر، وهكذا فإن

مقتضى اللغة يدل على أنه لا تنافر، ولا تناقض بين إثبات المعية وإثبات علو الله تعالى.

قال رحمه الله: (فإن هذا لا توجبه اللغة وإنما اللغة العربية تجوِّز الأسلوب المتقدم مع عدم اقتضائه للاختلاط والامتزاج).

قال رحمه الله تعالى: (وهو فوق عرشه رقيب على خلقه)، الرقيب هو: من يرقبهم بأن يعلم جميع تصرفاتهم وحركاتهم، مهيمن عليهم، لا يخرجون عن سننه القدرية، بل القدر واقع فيهم وسائر عليهم وعلى غيرهم من الكائنات، مطّلع عليهم، يعلم سرّهم ونجواهم وما يخفونه وما يعلنونه.

قال: (إلى غير ذلك من معاني ربوبيته)، والمعنى: أن الإيمان بفوقيته –سبحانه وتعالى– فوق عرشه ومعيته لخلقه هذا من مقتضى ربوبية الله –سبحانه وتعالى–؛ لأن هيمنته عليهم واطلاعه على ما يعملون وما إلى ذلك من الأمور القدرية كلها داخلة في مسمى الربوبية، وقد تقدمت الإشارة إلى أن توحيد الربوبية، كما يشمل الإيمان بالذات الإلهية، يشمل الإيمان بالأفعال العامة، ويشمل الإيمان بوجود الله تعالى وأيضًا يشمل الإيمان بالقضاء والقدر، فالإيمان بالقضاء والقدر داخل في مسمى ربوبية الله تعالى. إذًا تقرر عندنا إثبات الفوقية والمعية، وأنه لا تنافر بينهما ولا تناقض، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله تعالى يشير إلى ما ذكره عن العلو وعن المعية ثم جاء بـ«من» البيانية التي تبين هذا الإجمال؛ لأنه قال: (وكل هذا

الكلام الذي ذكره -سبحانه وتعالى- ثم بين من أنه فوق العرش، وأنه معنا حقٌ على الحقيقة).

يقرر المؤلف رحمه الله القول بأن الله فوق عرشه، وأنه معنا هذه في الحقيقة، ليست على سبيل المجاز وإنما على سبيل الحقيقة، والحقيقة بيننا وبين الله مختلفة، فكذلك حقيقة صفاتنا تخالف حقيقة صفاته، وكذلك حقيقة صفات الله تعالى تخالف حقيقة صفاتنا، وبناء على ذلك، فعلوه - سبحانه وتعالى- يختلف ويخالف علو المخلوقين وكذلك معيته -سبحانه وتعالى – لا تقضي الاختلاط، ونحو ذلك أو أن يكون علوهم علوًا نسبيًا، يعني هذا عال بالنسبة لهذا، وقد يكون هناك من هو أعلى منه فإن ذلك مقتضى صفة المخلوق، أما صفة الخالق -سبحانه وتعالى- فمقتضاها أن علوه -سبحانه وتعالى- علواً حقيقيا يليق بجلاله تعالى وعظمته، ولا يماثله فيه أحد من الخلق وكذلك الحال بالنسبة لمعيته -سبحانه وتعالى- فإنها لا تقاس على الخلق بل له معية لا يعلم حقيقتها إلا هو -سبحانه وتعالى-، وكما أخبر بأنها معية علم وإحاطة، إذًا عرفنا أن كلمة حقيقة ليس المقصود إذا أُطلقت أنها مثل كلام المخلوقين؛ لأن الحقائق مختلفة فحقيقة «زيد» غير حقيقة «عمر» وكذلك حقيقة الإنسان غير حقيقة الحيوان بجميع أنواعها، وهكذا عندما نطلق على الإنسان أنه إنسان حقيقة وعندما نطلق على البقرة أنها بقرة حقيقة وعندما نطلق عليها أنها حيوان حقيقة وهكذا دواليك، فإذًا لا يُفهم من معنى كلمة حقيقة أنها تماثل صفاتنا لأنه لا حقيقة إلا ما نحن عليه، وليس حقيقة ما عليه ربنا –

سبحانه وتعالى- غير حقيقة ما نحن عليه سواء ذاتًا أو صفاتًا أو أفعلاً ، لا تحتاج إلى تحريف يعني هذه النصوص واضحة في الدلالة، بيّنة في أن الله أراد بذلك أن يثبت فوقيته - سبحانه وتعالى- وعلوه، وأن يثبت معيته فليست بحاجة إلى تحريف وأعظم أنواع التحريف ما سمي «بالمجاز»، فإن كثير من المبتدعة إذا ما أرادوا أن يحرفوا الكلم عن مواضعه قالوا: الكلام فيه مجاز، ثم بدءوا يعطون للألفاظ معاني غير ما أراده الله تعالى، من المعاني التي شرع لعباده أن يؤمنوا بها وأن يصدقوا بها، وقد تقدم لنا بيان معنى التحريف وأنه الميل بأسماء الله وصفاته عن الحق الثابت لها بوضع معاني أخرى غير التي أرادها الله تعالى باللفظ بالنص القرآني أو النص النبوي، و تقدم لنا الكلام على أن الحق فيما يظهر أنه لا مجاز في اللغة ولا مجاز في القرآن، ولا مجاز في السنة النبوية، وأن ما تكلم به العرب من أنواع الأساليب وطرقها، إنما هو دليل على سعة اللغة العربية، لا أنه دليل على وجود المجاز فيها، وأن العرب لم يُعرف عنهم يومًا من الأيام أنهم عرّفوا المجاز بما يعرفه به علماء البلاغة، وإنما المعروف من معنى المجاز أنه بمعنى التفسير ولذلك «أبو عبيد» رحمه الله تعالى لمّا ألف كتابًا في التفسير سماه «مجاز القرآن»، ويتفق علماء البلاغة وعلماء الشريعة واللغة على أن كلمة مجاز كلمه محدثة، بالمعنى الذي أرادوه وهو أن يستعمل اللفظ في غير ماوُضع له في أصل اللغة وذلك أن علماء البلاغة يقولون أن للفظ وضعان:

☜ وضع تكلمت به العرب لأول وهلة هذا يسمونه حقيقة.

☜ ووضع ثان استعملت فيه اللفظ العرب، مثال ذلك: «أسد» استعمل في لغة العرب بمعنى الحيوان المفترس، واستعمل أيضا بمعنى الرجل الشجاع، فهم يدّعون أن الوضع الأول هو الحيوان المفترس، والوضع الثاني استعماله للرجل الشجاع، وعلماء الشريعة يناقشونهم في هذا بعد ثبوت أن هذا اللفظ مبتدع لم يكن معروفًا في وقت الجاهلية، ولا في العهد الإسلامي ولا عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة ولا التابعين، لم يكن المجاز معروفًا فيها البتة، لم يُعرف المجاز إلا في قرابة القرن الرابع الهجري عندما وُضع ما يسمى بعلم البلاغة، عندئذٍ اُشتهر لفظ المجاز ووُضع لهذا المعنى، الأمر الثاني قالوا لهم: ما الدليل على أن هذا وضع أولاً وهذا وضع ثانيًا أليس هو النقل عن العرب؟ قالوا: نعم، قال: أين النقل عن العرب أنهم وضعوا هذا وضعًا أولاً ووضعوا هذا وضعًا ثانيًا حتى نقول أن هناك حقيقة ومجاز؟! لأنه لابد من النقل، والنقل غير موجود، إذًا هذا التقسيم تقسيم غير صحيح، تقسيم فاسد، الأمر الثالث قالوا: لو فرضنا أن هذا اصطلاح - كما تقول - فإن هذا الاصطلاح بنيت عليه مفاسد كثيرة، في أمور الاعتقاد وغيرها، الأمر الرابع: دعوى أن التفريق بين الاثنين يكون بالقرينة دعوى أيضًا باطلة غير صحيحة؛ لأن العرب لا تتكلم بالكلام بلا قرائن بل جميع كلامها له قرائن ألا ترى أنك تقول هذا فعل مضارع وتعرف حروف المضارعة وحروف المضارعة قرينة ولولاها لما فُرِّق بين الفعل المضارع وغيره وكذا الحال للأمر، فلولا الصيغة المعينة وهي قرينة لما استطعت أن تفرّق بينها وبين غيرها

وكذا الحال في الماضي صيَغُة دلّت على قرينة على المضي وهكذا دواليك، فإذًا مادام النقل ليس موجودًا فكل ما يُدّعى فيه أنه مجاز، يمكن أن يدّعي الآخر أنه حقيقة لأنه ليس هناك ضابط يحكم بحيث أن الإنسان يقول هذا حقيقة وهذا مجاز، وبعد ذلك أقول ليس معنى أن العالِم يقول بوجود المجاز أنه يصير مبتدعًا وأنه سيقول الباطل، فمن العلماء من يرى أن المجاز موجود لكنه مع ذلك لا يتعرض لقضايا العقائد ولا يؤولها ولا يحرفها ولا يتكلم فيها، بينا ذلك حتى لا يظن بعض الناس أن القائل بوجود المجاز – مع خطأ هذا القول – مبتدع أو كافر أو أنه سيقول باطلاً في باب العقائد، .

الشاهد أن قضية المجاز هي المتكئ لمن يريد التحريف في القرآن والسنة، وقد تبين لنا من خلال بعض الوجوه القليلة عدم جواز اتخاذ قضية المجاز ذريعة للتحريف والتبديل، والعلماء رحمهم الله توسعوا في هذه المسألة حتى ذكروا أكثر من خمسين أو خمس وخمسين وجهًا للدلالة على بطلان وجود المجاز في لغة العرب.

قال: (**ولكن يصان من الظنون الكاذبة**) يعني تصان نصوص الكتاب والسنة، (**وأدلته من التخمينات التي ليس لها دليل صحيح يقوم عليها**) مثل أن يُظن أن ظاهر قوله تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أن السماء تظله أو تُقلّه، إذًا إذا أثبتَ أنت العلو فأنت تثبته مع تنزيهك لله عما لا يليق بجلاله وعظمته، فإن الله تعالى هو الذي يُقل المخلوقات كلها حتى العرش نفسه وهو تعالى فوقه، فإذًا ليس معنى قولنا أن الله

فوق العرش، أن الله محتاج للعرش أو محتاج لشيء مما هو تحته، بل هو -سبحانه وتعالى- غير محتاج لشيء من خلقه.

قال: (وهذا باطل) يعني القول بأن السماء تُظلُّه أو تُقلِّه؛ لأن أهل البدع قد ينفون العلو بهذه الدعوة، يقولون: إذا قلتم إنه على العلو فمعناه أن السماء تحمله أو أنها تُقلّه، أو أنها تُظلّه أو ما أشبه ذلك، فبين الشيخ أن هذه المعاني كلها معاني باطلة غير صحيحة بل نثبته كما أثبته الله تعالى ونفوِّض كيفيته إليه.

قال: (وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان الذين هم سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين)، ثم بيّن الحق قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١] يعني السماوات والأرض ما هي قائمة بنفسها، بل الله تعالى هو الذي أقامها وحفظ عليها توازنها وسيّر أمور نظامها فهي لا تختلف كما قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:١-٤] ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ فالسماوات والأرض محتاجة إليه فهو غني بذاته فهو ليس محتاجًا لأحد من خلقه فليس محتاجًا إلى العرش، ولا إلى السماوات ولا محتاجًا إلى الأرض، بل هو الذي يُقلّها وهو الذي يسير أمورها.

قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ تقوم السماء بأمره القدري لأن الأمر ينقسم إلى قسمين الأمر القدري والأمر الشرعي.

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ هذه كلها أوامر شرعية، وأما الأوامر القدرية كقوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فإذًا هي مسيرة بأمر الله القدري بأن يقول لأي شيء كن فيكون ويحصل وينتهي، هذه هي الصفة الأولى التي اعتنى بها شيخ الإسلام ابن تيمية وذلك لاضطراب أهل البدع فيها وكثرة الكلام عليها، ثم جاء بعد ذلك لصفة أخرى من الصفات.

تقدم أن صفة العلو صفة ذاتية لله تعالى، جاء بعد ذلك بصفة أخرى وهي من الصفات الذاتية أيضًا قال: (**وقد دخل في ذلك – يعني الإيمان بالله – أنه قريب مجيب**)، قريب من عبده الداعي ومجيب لهم وقد تقدم القول إن العلماء رحمهم الله في اسم الله «**القريب**» لهم رأيين: الرأي الأول: أنه لم يرد إلا خاص، والرأي الثاني أنه ورد خاص وعام فحكمه حكم المشيئة يعني ما كان منه عامًا يكون قرب علم وإحاطة ويكون صفة ذاتية وما كان منه خاصًا فهذا يعتبر من الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئة الله تعالى، وقلنا إن الحق أن القرب شيء واحد وأنه صفة ذاتية وأنه لا ينقسم إلى قسمين، وإنما هو خاص على الدوام والاستمرار لأنه لم يرد أن الله قريب من كل شيء وإنما الذي ورد أنه قريب من الداعين أو قريب ممن يجيب دعائهم، قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦] الشاهد في

قوله: **(قريب)** وصف نفسه -سبحانه وتعالى- بالقرب ولكن ما وصف نفسه بالقرب العام، بل وصف نفسه بالقرب ممن دعاه، فهو قريب من الداعي ويقول عليه الصلاة والسلام: **(إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق رحله)**[(١)] قوله **(أقرب)** دليل على إثبات القرب فالقرب دلّت عليه الأدلة من الكتاب ومن السنة النبوية وقد أجمع السلف الصالح على ذلك.

قال: **(وما ذُكر في الكتاب والسنة يعني في القرآن وفي سنته صلى الله عليه وسلم من قربه ومعيته لا ينافي ما ذُكر من علوه وفوقيته)**، أيضا هنا أراد أن يبيّن - لئلا يتوهم متوهّم - أن الله تعالى إذا وُصف بصفة القرب من الداعين أن ذلك يقتضي أن يكون مختلطًا بهم، لا يقتضي هذا الاقتضاء بل هو مقتض لعلمه وإحاطته - سبحانه وتعالى- وكلما كان العبد قريبًا من الله بكثرة النوافل كان الله تعالى قريب منه **(ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)**[(٢)].

قال: **(وهو عليٌّ في دنوه، قريبٌ في علوه)** يعني جمع الله تعالى لنفسه بين القرب والعلو فلا منافاة بين كونه عالٍ على عرشه وخلقه جميعًا ولا بين أن يكون قريباص من عباده -سبحانه وتعالى- وذلك لأن الله تعالى جمع بينهما والله لا يجمع بين المحال؛ لأن القرآن لا يتناقض والسنة ما تتناقض لأن السنة كلام المعصوم، قال تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] وإذا كان المخلوق من حاله أن يتنافى علوه مع قربه من حاله وشأنه أن يحصل مثل هذا فإنه

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، البخاري (٤/٥٧)، مسلم (٢٧٠٤).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٨/١١٥).

لا يكون بالنسبة لله تعالى وذلك لأن هناك بونًا شاسعًا بين المخلوق و بين الرب جل جلاله، هذه المسألة الثانية من المسائل المهمة التي اعتنى بها الشيخ لكثرة ما حصّل فيها من الذبذبة والاختلاف بين أرباب البدع.

المسألة الثالثة: هي مسألة الكلام قال: (**ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزّل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تكلّم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره**)، قوله: (**ومن الإيمان بالله**) أي مما يدخل في الإيمان بالله وأيضًا مما يدخل بالإيمان بكتب الله لأن كتب الله من كلام، فلذلك كان الإيمان بالكتب مطابقًا للإيمان بكلام الله تعالى، قال: (**كلام الله**)، أضاف الكلام إلى الله إضافة الصفة إلى الموصوف فالله متّصف بالكلام وقد تقدمت الآيات وبعض الأحاديث الدالة على ذلك، قوله: (**منزّل**) يعني من السماء إلى الأرض، أنزله الله تعالى إلى السماء الدنيا جملةً ثم أنزله إلى الأرض على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم منجّماً حسب الوقائع والأحوال واحتياجات الناس، قوله: (**غير مخلوق**) أي أن الكلام ليس مما خلقه الله تعالى وذلك لأنه صفته ومادام أنه صفته وهو -سبحانه وتعالى- ليس بمخلوق فكذلك صفته ليست بمخلوقة وبالتالي فكلامه -سبحانه وتعالى- ليس بمخلوق، قوله: (**منه بدأ**)، يعني بدأ تكلماً هو الذي تكلم به -سبحانه وتعالى- ولم يتكلم به غيره، الأمر الثاني: (**وإليه يعود**) إما أن المعنى يعود إليه صفةً فهو وصفٌ، هو صفة من صفاته -سبحانه وتعالى- وإما (**إليه يعود**) يعني عندما

يقبض الله تعالى القرآن من الصدور والسطور وهنا طبعا أرجعه إلى الكلام مطلقا فيدخل في هذا كلام الله كله سواء كان ذلك القرآن أو التوراة أو الإنجيل أو غيره من كتب الله التي أنزلها، هذا جزء وإذا ثبت لنا أن الله يتكلم فمن كلامه القرآن فينبغي للمؤمن أن يعتقد أن هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلامه حقيقة، ولا يفهمن منه أحد أنه لا يوجد كلام حقيقة إلا ما نتكلم به نحن، بل إن لكلام الله حقيقة كما أن لكلامنا حقيقة، وحقيقة كلام الله مخالفة لحقيقة كلامنا وقد جاء في النصوص ما تقدم من أن هذا الكلام بصوت وحرف وأنه بمشيئة الله تعالى وإرادته ولذلك قال أهل العلم في هذه الصفة: إنها صفة ذاتية فعلية، فمن نظر إلى أن الله تعالى متصف بالكلام على الدوام والاستمرار قال: هذه صفة ذاتية ومن نظر إلى الآحاد وهو كون كلام الله تعالى تكلم به في أوقات مختلفة وكل كلام تكلم به له بداية وله نهاية قال: هذا صفه فعليه لأنه كلما شاء أن يتكلم، تكلم، وكلما أراد أن يتكلم تكلم، وكلام الله لا يحصيه أحد، لكن التوراة والإنجيل والقرآن وهكذا هذه من كلام الله وليست هي كلام الله كله.

قال: (**لا كلام غيره**) فليس هو كلام الأنبياء ولا هو كلام جبريل ولا كلام الشجرة كما تدّعيه الجهمية، بل هو كلام الله تعالى نفسه وقد ورد في رواية في توحيد الأسماء والصفات لابن خزيمة: (**أقول ولا يقول غيري**)[1]، لىّ ذلك على

---

(١) لم أقف عليه.

أن هذا الكلام المنسوب إلى الله هو كلامه، وبما تقدم لنا من أن نسبة الصفة للموصوف تقتضي أربع أحكام:

☜ الأول: نسبته إلى من اتصف به على أنه صفة له.

☜ الأمر الثاني: نفي أن يكون صفة لغيره.

☜ الأمر الثالث: رجوع حكم الصفة للموصوف؛ لأن صفة الكلام ليست بمخلوقه، متّه وليس بمخلوق وأن الكلام صفته على الدوام والاستمرار.

☜ الأمر الرابع: ألا يعود حكم الصفة لغير من وُصف بها فلا يمكن أن تعود صفة المخلوق للخالق ولا يمكن أن تعود أحكام صفة الخالق للمخلوق. وبهذا يتبين لنا اختصاص ربنا جلّ وعلا بما وصف نفسه من كلامه والقرآن من كلامه، فالقرآن كلامه.

قال: (**ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، هذا القول هو قول الأشعرية**)، الأشعرية يقولون إن القرآن الذي بين أيدينا هو حكاية عن كلام الله وليس هو كلام الله، وإنما كلامه عندهم هو الكلام النفسي قالوا: ما في نفس الله هذا كلامه أما أن يكون له كلام نقرأه وننطق به ونستعمل حروفنا بالنطق به، فهذا ممتنع، فيقولون إن القرآن حكاية عن كلام الله وليس هو كلام الله ومعنى الحكاية في اللغة أن تأتي بالكلام بعينه، يقول إن الله -سبحانه وتعالى- مثلاً قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في نفسه هذا كلامه ثم جاء جبريل فحكى هذا الكلام فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقل هو الله أحد هذه حكاية عن كلام الله، هذا معنى قولهم

حكاية، ونتيجة دعوى الحكاية أنهم يقولون إن القرآن الذي بين أيدينا هذا مخلوق، ضد ما عليه أهل السنة والجماعة أنه غير مخلوق، أو عبارة عن كلام الله، ومما يجدر ذكره أن اللغة تقتضي أن تكون الحكاية عين المحكي وإذا كان في الحكاية عين المحكي فعلى إطلاق قولهم يكون ما في نفس الله أيضا من الكلام مخلوق، هذا على القول بالحكاية، القول الثاني: هو قولهم: (**عبارة**) وهذا قول الأشعرية عبارة عن كلام الله، يقولون الكلام هو الكلام النفسي وأما هذا فهو عبارة عن كلام الله يعني جبريل فهم، فعبّر بأسلوبه عن الله تعالى، ولاشك أن في هذا القول نفي كلام الله تعالى وادعاء أنه مخلوق ووصف الله بعدم القدرة على الكلام وأن جبريل ومحمدًا وغيرهم من البشر أقدر على الكلام من الله تعالى وأقدر على التعبير عما في نفوسهم من الله. هذان القولان مما تقدم وهما القول بالحكاية والقول بالعبارة قولان باطلان فاسدان وغير صحيحين، والحق ما تقدم من أنه كلام الله منزل غير مخلوق.

قال: (بل) وهي للإضراب عن الكلام السابق للانتقال إلى كلام آخر.

(بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة)، إذًا أنت عندما تقرأ القرآن وتؤديه بحروفك وأدواتك التي تتكلم بها، لا تخُرج القرآن عن أنه كلام الله تعالى غاية الأمر أنك تؤدي القرآن بحرفك وصوتك وبأدواتك لا أكثر ولا أقل، وأدواتك كلها وحرفك وأحبارك التي تكتب فيها القرآن كل هذه مخلوقة أما المكتوب الذي هو القرآن الذي تكلم الله به

يوم أن تكلم به فإنه ليس بمخلوق. فيجب التفريق بين كلام الله تعالى وبين كلامه في الذهن، عندما أحفظه فإن حفظي هذا مخلوق لكن القرآن المحفوظ ليس بمخلوق إنما حفظي هذا فعلي أنا، وهو مخلوق مثلي، أما القرآن نفسه فليس بمخلوق، وكذا عندما أكتب القرآن أو أكتب بعض الآيات فإن كتابتي وحبري والحروف التي استعملها أنا هذه مخلوقة لكن كلام الله الذي أُدّيَ بهذه الحروف وبهذه الأحبار وما إلى ذلك هو كلام الله تعالى.

قال: (كلام الله حقيقة وليس مجازًا)، فهو في الحقيقة كلام غيره، فملاً إذا كلّمك إنسان بكلام وقال كذا وكذا، أو جاءتك رسالة ملاً وجئت وقرأتها على الناس، فأنت الآن تقرأ كلام غيرك ومع ذلك الناس يقولون لك: اقرأ كلام فلان، ما يقولون هذا الكلام نفسه هو كلام القارئ، إنما كلام فلان يؤديه هو بصوته، ولله المثل الأعلى فنحن نقرأ القرآن ونؤديه بأصواتنا وبحروفنا وبأحبارنا وبأمدادنا، نكتب بأوراقنا لكن هذا لا يغير من الحقيقة شيئًا من أن ما ننطق به ونتكلم به هو في الحقيقة كلام الله الذي أديناه وهو يختلف عن كلامنا الذي زورناه في نفوسنا وأعددناه ثم تكلمنا به لأن هذا كلامنا نحن وليس كلام الله لأننا نحن نتكلم بالأصالة الآن ولسنا نتكلم نوّابًا عن المتكلم في تبليغ كلامه، كما هو الحال إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه سلم القرآن ويبلّغه، لذاكسُمي رسول وكذلك نحن إذا جئنا بالقرآن على الناس أو قرأناه على أنفسنا فنحن نؤديه بتلك الأمور التي خلقها

الله تعالى لنا، وهو كلام الله حقيقة لم يخرج عن هذا فليس معناه أنه كلام الله لما نقول مجاز، بل هو حقيقة فإن الكلام هذا دليل عقلي.

الفاء هنا تفريع لبيان دليل عقلي على هذه المسألة، قال: (**فإن الكلام إنما يُضاف حقيقة إلى من قاله ابتداءً**)، يتكلم به، ابتدأ، أعده في نفسه، ثم تكلم به (.............) الذي يقال له إن الكلام صفته هذا كلام وأما الإنسان الذي يؤدي الكلام عن الغير فهذا لا يقال إنه كلام فلان وإنما يقال هذا كلام فلان الذي تكلم به يؤديه فلان، لا إلى من قاله مبلغًا ومؤديًا، إذًا نحن جميعًا ابتداء من رسول الله وغيره إذا قرأنا القرآن في الحقيقة نحن نؤديه بلاغًا بما خلق الله فينا من أدوات، لكن هو كلام الله، حروفه ومعانيه ما تغير، لا المعنى هو معنانا ولا الحروف التي تكلم الله بها هي حروفنا، وإنما الذي أديناه بها هي الحروف، حروفنا، ليس كلام الله الحروف دون المعاني.

يقول: إن كلام الله يشمل المعنى والحرف، يشمل اللفظ والمعنى كل هذا كلام الله لفظًا وما أراده الله من المعاني فهو كلامه وما تكلم به الله تعالى من الحروف فهو كلامه؛ لأن اللفظ إذا تُكُلّم به حمل المعنى وصار كلامًا موضوعًا لمعنى ليس كلامًا مبهماً لا يُفهم، ولذلك لما كلمنا الله، كلمنا بالحروف والألفاظ التي تدل على هذه المعاني خلافًا للأشعرية والكلابية الذين يقولون إن المعاني هي كلام الله وأما الحروف واللفظ ما هو كلام الله وإنما كلام جبريل أو كلامنا، فإذًا القرآن بحروفه ومعانيه هو كلام الله والتوراة بحروفه ومعانيه قبل التحريف هو كلام الله، ولا

يجوز أن يُقال إن الحرف هو القرآن ولذلك فرّعوا على هذه المسألة أنه لا يجوز لأحد أن يقول لفظي بالقرآن مخلوق، ولا يجوز له أن يقول لفظي بالقرآن ليس بمخلوق، ولا يقول قراءتي مخلوقة ولا يقول قراءتي غير مخلوقة بل يفصل فيقول: القرآن كلام الله والحروف التي أنا أؤدي بها القرآن هي حروف مخلوقة، وألفاظ مخلوقة، لكنني أؤدي بها كلام الله تعالى، وكذا الحال في القراءة لابد أن يفرق بين المقروء والقراءة التي هي فعل العبد، فالقراءة التي هي فعل العبد هذه مخلوقة وأما المقروء المؤدى بهذه القراءة فهو القرآن الكريم أو غيره من كتب الله قبل التحريف ليست بمخلوقة، وهذا هو الذي نصّ عليه الإمام أحمد رحمه الله تعالى ونصّ عليه غيره من علماء أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

بعد أن انتهى من تقرير صفة الكلام ووجوب الإيمان بها وبين عناصر الإيمان بصفة الكلام وهو كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، ومن العلماء من يزيد على هذا **(قديم النوع حادث الآحاد)** يعني: جديد، وكلمة قديم النوع حادث الآحاد هذه من الألفاظ التي وردت عن بعض السلف ومعنى قديم النوع أن الله تعالى يتكلم على الدوام والاستمرار هذا معنى قديم النوع، فجنس الكلام قديم وأما آحاد يعني أفراد الكلام كالقرآن والتوراة مثلاً ، هذه يقول حادثة معنى حادثة يعني لها ابتداء ولها انتهاء، ليس معناه أنها مخلوقة بل معناه أن لها ابتداء ولها انتهاء، فالقرآن أوله سورة الفاتحة وآخره سورة الناس، وسورة البقرة أولها الآية كذا وآخرها الآية كذا فهذا معنى قولهم حادث الآحاد يعني لآحاده ابتداء في

الزمن وانتهاء في الزمن، هذا المقصود بقولهم حادث الآحاد كما ورد عن بعض السلف.

ثم انتقل إلى صفة أخرى يوصف الرب عزّ وجل بها يوم القيامة قال: (وقد دخل أيضا فيما ذكرناه من الإيمان بالله وبكتبه) لأن هذه الصفة مما أخبر الله به في القرآن يعني داخلة أيضا في الإيمان بالكتب (وبملائكته) لأن هذه الصفة لها تعلق بالملائكة أيضًا، دخلت في الإيمان بالملائكة أيضًا (وبرسله) لأن الرسل بلّغوا هذه الصفة وبينوها فهو من تصديق........ دخل أيضا في الإيمان بالرسل قال: (الإيمان بأن المؤمنين يرونه)، يعني الضمير هنا راجع إلى الله، يرون الله يوم القيامة عيانًا يعني بعيونهم التي في رؤوسهم لا يحول دونه ودونهم شيء، بأبصارهم يعني بأعينهم كما يرون الشمس ضحوة ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، ومعنى (**لا يضامون**) يعني: ما فيه ضيق في رؤيته، كل منهم يراه بحسب إيمانه، واضحًا، ظاهرًا لهم في رؤيتهم ويرونه بوضوح وظهور واستبانة، ولا مضايقة ولا مزاحمة لبعضهم بعضا في الرؤية، فإذًا المؤلف رحمه الله قرر هنا إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة، ولم ينص المؤلف على أنه في الجنة بيانًا لأنه يُرى حتى في غير الجنة أن المؤمنين قد يرونه حتى في غير الجنة، وقد ثبت أن المؤمنين وغيرهم يرونه في عرصات يوم القيامة لكنه كما تقدم لنا يراه كل واحد حسب إيمانه، يراه على صورة تتناسب مع طبيعة إيمانه ولذا إذا تجلّى الله للمؤمنين ورأوه على الصورة التي لا يعرفونها يقول: «أنا ربكم» يقولون: «لا» فإذا ظهر لهم

على الصورة التي يعرفونها سجدوا جميعًا، إلا المنافق والكافر فإن ظهره يكون كالصياصي، لا يستطيع أن يسجد أو يركع وهذا هو أصح أقوال أهل العلم بأن الرؤية ليست مقتصرة على الجنة بل إن الرؤية قد تكون في عرصات يوم القيامة لكن الرؤية في الجنة هي أكمل وأفضل وأعظم، أعظم من رؤيته -سبحانه وتعالى- في الموقف، وقد تقدم أن بعض أهل البدع اعترض على هذا الحديث الذي ذكر المؤلف رحمه الله شطرًا منه فيما تقدم، ومنها **(كما يرون القمر ليلة البدر)** وبيّنّا أن التشبيه للرؤيا بالرؤيا وليس المرئي بالمرئي، يرونه – سبحانه وتعالى – وهو في عرصات القيامة هذه واحدة، والثانية ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى. إذًا رؤيته ثابتة في عرصات يوم القيامة في ساحاته ومواقفه المختلفة، ويرونه أيضًا يوم القيامة وهذا أفضل نعيم في الجنة، وقد تقدم لنا مجموعة من الأدلة في القرآن وأدله في السنة في دروس سابقه تدل على ثبوت الرؤية وقد تقدم لنا أن الرؤية متواترة تواترًا يقطع به المؤمن بأن الإيمان بالرؤية حق وصدق لابد من الإيمان به.

انتهى المؤلف رحمه الله من الصفات التي اشتهر الخلاف فيها والتي تعتبر ميزة من ميزات أهل السنة والجماعة، والإيمان بهذه الصفات تعتبر خصيصة وميزة من مميزات الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، مما يدل على أن من خالف فيها فهو يعتبر من أهل البدع، وليس معنى قولنا أنه من أهل البدع أنه يكفر، ليس من لوازم القول أنه مبتدع كفره، لكنه يدل ولاشك على أنه إذا أنكر مثل هذه العقائد

المتواترة فهو على خطر عظيم، لكن إنكار هذه الصفات يعتبر كفرًا، إنكار الرؤية، إنكار القرب والعلو، هذا يعتبر كفرًا لأنه تكذيب لله ورسوله، أما المُعيّن من الناس إذا قال بأقوال مخالفة لما قاله أهل السنة والجماعة فلا نقول بكفره ولكن ننظر فيما عنده من الشبه نبيّنها له ونوضحها له فإن أصر لقوّة الشبهة عنده على ما هو عليه تُرك، لكن مُنِع من إشهار بدعته وإظهارها للناس ومُنِع من طبع كتبه مثلاً أو نحو ذلك مما فيها الدعوة لمثل هذه البدع حتى لا تتوغل في قلوب الناس وتكثر الشبهات عليه فيها فيضل هذا السبيل كما ضلّ هذا السبيل وابتدع في دين الله ما لم ينزل فيه سلطانًا وكذّب الله ورسوله.

بعد أن انتهى المؤلف رحمه الله من بيان هذه الصفات العظيمة وموقف أهل البدع منها وبيان دلالة الكتاب والسنة عليها، بدأ في التعميم، بدأ في الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الإيمان باليوم الآخر، واليوم الآخر يُطلق ويراد به يوم القيامة، فهذا اسم من أسمائه ويُطلق اليوم الآخر - اليوم الذي يموت فيه الإنسان - بأنه آخر يوم في الدنيا فيطلق عليه أيضًا اليوم الآخر لكن إذا ورد في القرآن أو في السنة اليوم الآخر دومًا ينسحب إلى يوم القيامة.

قال: (**الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت**)، أولا: لابد من الإيمان أن كل نفس لابد أن تموت وأن موتها ليس هو آخر المطاف كما يقول بعض الناس: (**مثواه الأخير**)، فليس القبر هو المثوى الأخير إنما المثوى الأخير إما إلى الجنة وإما إلى النار فهذا هو المثوى الأخير، والموت معناه: (**خروج**

الروح من الجسد) وليس معناه موت الدماغ، وبناء على ذلك فلايحُكم بموت إنسان إلا إذا خرجت روحه من جسده، وليس القول بأنه موت الدماغ أو موت القلب قولاً لأهل السنة والجماعة، بل إنه قول للفلاسفة وغيرهم من الملاحدة، وكان علماء العقائد يثبتون هذا في عقائدهم يقولون: إن الموت عند أهل السنة والجماعة هو خروج الروح من الجسد، وتقول الفلاسفة: إن الموت هو موت الدماغ أو موت القلب، والموت ليس عرضًا من الأعراض أي ليس صفة من صفات الإنسان، وإنما هو جسم مخلوق يخلقه الله تعالى كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنيجُعل الموت بصورة كبش فيُذبح بين الجنة والنار[1]. و الموت قد كتبه الله على جميع العباد ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ** ﴾ فليس ثمّة نفس قد كُتب لها لخلد أبدًا، قال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ** ﴾ ما فيه أحد يخلّد أبدًا لا بد أن يموت، وبذلك يتبين لنا أن ما يدعيه بعض الصوفية من حياة الخضر أو ما تدعيه النصارى واليهود من حياة بعض عابديهم في شغوف الجبال ونحو هذا أنه قول غير صحيح، وأنه كلام باطل لا أصل له، وإذا مات الإنسان قامت قيامته.

---

(١) والحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ((وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة)) [مريم: ٣٩]، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ((وهم لا يؤمنون)) [مريم: ٣٩] » البخاري (٦/٩٣)، مسلم (٢٨٤٩).

قال: (**فيؤمنون بفتنة القبر**)، فتنة القبر المقصود بها هو سؤال منكر ونكير عندما يسألان العبد من ربك ما دينك من نبيك؟[1] فيجيب المؤمن إجابات صحيحة، وأما المنافق والكافر فيقول: ها ها لا أدري سمعت الناس يقولون كذا فقلت مثل ما يقولون، فهو إمّعة تابع للناس، ولذلك نص أهل العلم على أن هذا الحديث يدل على أنه لا ينبغي للمسلم أن يكون طريقه هو التقليد في الوصول إلى العقائد، وإنما طريقه معرفة الأدلة من الكتاب والسنة، ومن هاهنا قال الشيخ محمد رحمه الله تعالى في الأصول الثلاثة: (**ومعرفة دين الإسلام بالأدلة**)[2]. فالعلم أمر مهم بالنسبة للمؤمن سواء كان عالمًا أو عاميًا حتى العامي يجب عليه أن يعرف عقائده من خلال الأدلة لا من خلال تقليد الآباء والأجداد حتى لا يكون إيمانه عرضة للتزلزل وعرضة للشبهات والشك والريب ومن ثم ينحرف لأدنى شبهة.

سؤال: ما الفرق بين المجاز التورية؟[3]

جواب الشيخ رحمه الله: طبعا هناك فرق بينهما، فالمجاز هو استعمال اللفظة في غير ما وضعت له مع وجود القرينة كما يقولون وهذا يسمى مجازًا، والمجاز دليلًا يكون في الغالب، وهو أنواع فهناك المجاز المرسل وهناك المفرد وهناك المركب، فهو أنواع كثيرة، لكن الشاهد في هذا أن المجاز هذا معنى، وأما التأويل فهو نفسه

---

(١) الحديث في الصحيح ولكن السؤال في القبر يكون عن النبي صلى الله عليه وسلم فقط، والحديث رواه أبو داود في سننه (٤/٢٣٩) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ص١٨٩، انظر الأصل الثاني.

(٣) هذه بداية أسئلة الطلبة.

صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليل يقترن به، يقول اللفظ عندنا ظاهره معنى فيأتي الإنسان فيصرفه عن هذا المعنى، يصرفه في ماذا في أن يدعي أنه مجاز فيعتبر التأويل شيئًا والمجاز شيئًا أخر، ثم المجاز عند من يدعيه يراه أمرًا صحيحًا، والتأويل هنا عندما نتكلم به فهو أمر باطل ليس هو الذي جاء في الكتاب والسنة، ولفظ التأويل ورد في الكتاب والسنة، أما لفظ المجاز فلم يرد في الكتاب والسنة، على كل حال هناك فرق بين المجاز والتأويل فالمجاز طريق للتأويل.

سؤال: هل من أنكر صفة واحدة يكفر؟

جواب الشيخ رحمه الله: الأصل في إنكار صفة واحدة أنه تكذيب لله ورسوله ولذلك فهو كفر، أما أن يكفر هو، هذا شيء آخر، وقد يكفر وقد لا يكفر، فهذا يعتمد على زوال الشبهة أو عدم زوال الشبهة يعني لابد من التأكد من أن موانع التكفير غير موجودة.

سؤال: هل كل من في الموقف يرون يوم القيامة؟

جواب الشيخ رحمه الله: نعم، ورد في مسلم(1) بأنهم يرونه، كل واحد يراه بحسب إيمانه على صورة معينة يراه لكن ربنا -سبحانه وتعالى- على ما هو عليه من صفات كماله وجلاله لا يتبدل ولا يتغير.

سؤال: ما هو اللازم من القول بخلق القرآن؟

---

(١) تقدم تخريجه.

جواب الشيخ رحمه الله: اللازم من القول بخلق القرآن، أن يكون الله وصفاته مخلوقة؛ لأن القرآن إذا صار مخلوقًا والصفات مذكورة فيه فهي مخلوقة أيضًا، وأيضًا صفة النفس موجودة فيه فهي مخلوقة أيضًا فإذًا يترتب على القول بخلق القرآن أن يقال إن الله مخلوق، هذه أهم النتائج.

سؤال: ما صحة من يقول أن علماء السلف في تصنيفهم للعقائد تأثروا كثيرًا بأهل الكلام؟

جواب الشيخ رحمه الله: كيف يتأثرون بأهل الكلام وهم قبل أهل الكلام، وكيف تأثروا بأهل الكلام وهم ردوا على أهل الكلام، هذا ليس بصحيح، لكن قد يُقال إن بعض المتأخرين وبعض الذين رجعوا عن عقائد أهل الكلام صار في كتبهم شيء من التأثيرات، هذا ممكن لكن الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يتأثروا أبدا في يوم من الأيام بأهل الكلام والفلسفة بل كلامهم دومًا بسيط وسهل وموافق للكتاب والسنة ومن نظر في كتبهم عرف هذا، لكن لو قرأت في الإبانة ربما تجد فيه بعض التأثر على أساس أنه قضى في الاعتزال أربعين سنة، يعني ما هو بسيط ثم صار كُلابيًا بعد ذلك، ثم جاء بمذهبه المتوسط الذي انتزعه من الكلابية ثم جاء الجويني وخلطها بالاعتزال مرة ثانية، هؤلاء لا شك أن عندهم تأثرات وهناك من المتأخرين من كانوا على مذاهب أهل البدع ثم رجعوا، تأثرت كتبهم ببعض هذه الأشياء وأما السلف أنفسهم، لم يكن ثمة أي تأثير لكتب الفلسفة والكلام. ويقول إنهم جعلوا العقيدة صعبة، وهذا غير صحيح من قرأها من

خلال هذه الكتب المعروفة عن السلف ما يجد فيها أي صعوبة، إنما الصعوبة جاءت من كتب الردود لأن الذي يرد يحتاج أن يذكر كلام غيره من أهل البدع ثم يناقشها بعد ذلك، وهذه تحتاج منه إلى علم بمصطلحات هؤلاء الناس، فلما اضطروا أن يردوا عليهم، بدءوا ينظرون في أمور الكلام حتى يردوا عليهم ويبينوا الحق من الباطل كما هو الحال بالنسبة لشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله عندما ألّف هذا الكتاب الموجود الآن من عشر مجلدات في مناقشة أهل الكلام الذي هو «**درء تعارض العقل والنقل**» وأمثاله من المتأخرين أيضًا صاروا على هذا المنوال، وانتهجوا هذا النهج، نعم وُجدت في كتبهم مصطلحات كثيرة ولكن كان بعضهم سببه التأثر وكان بعضهم سببه الرد، وأما كتب السلف الأصيلة كمثل شرح أصول السنة للالكائي وغيره، فلا تجدها متأثرة بشيء وليس فيها شيء مما يتعلق بأمر الكلام.

قال: (**وبعذاب القبر ونعيمه**) وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**)(١) ولما سمع النبي صوتًا شديدًا قالوا:ما هذا يا رسول الله قال: (**هذه يهود تُعذّب في قبورها**)(٢)، وقد تقدم أن عذاب القبر ونعيمه ثابتان بالقرآن والسنة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦] فدل ذلك على أن العذاب الأول لم يكن ليوم القيامة وإنما هو في القبور، ونعيمه كما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**يُقال للمؤمن هذا مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيأتيه من روحها وريحانها والمنافق يقال له هذا موضعك من الجنة قد أبدلك الله به موضعا من النار فيأتيه من سمومها وزمهريرها**)(٣) وهناك نصوص كثيرة كلها تدل على ثبوت عذاب القبر، وقول النبي (**إنهما يُعذبان وما يعذبان في كبير**)(٤) لما جاء إلى قبر فقال (**أنهما ليعذبان، أما احدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنجي من بوله**) إلى غير ذلك من الأدلة التي تدل على أن عذاب القبر حق. وعذاب القبر يكون على الروح والجسد إلا أنه على الروح أكثر، لكن يعذب الجسد تارة وتعذب الروح تارة، وتارة يعذبان معا، فإن قيل إن الجسد قد ذهبت

---

(١) سنن الترمذي (٥/٧١٨)، وقال عنه الشيخ الألباني: حسن صحيح.
(٢) متفق عليه من حديث أبي أيوب رضي الله عنه، البخاري (٢/٩٩)، مسلم (٢٨٦٩).
(٣) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنهما، البخاري (٢/٩٠)، مسلم (٢٨٧٠).
(٤) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، البخاري (١/٥٣)، مسلم (٢٩٢).

ذراته في الأرض؟ قلنا الله يعلم هذه الذرات ويوُصل العذاب إليها، فالشاهد في هذا أن عذاب القبر يكون على الروح والجسد لكن لا يلزم من هذا أن يكون على الدوام على الجسد والروح بل قد يكون عليهما أو على واحد منهما في بعض الأحيان وهكذا.

قال رحمه الله: (**وأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟**)[1] إذًا بعد التعميم بدأ يفصل فبين المقصود من الفتنه وهي سؤال منكر ونكير، قال: (**فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا**) يكونون على الإيمان والتقوى والصلاح والبر وفي الآخرة بأن ينطقوا بأن ربهم الله وأن دينهم الإسلام وأن نبيهم محمد، ثم بين معنى التثبيت بقوله: (**فيقول المؤمن الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيِّ**)، فبين المؤلف رحمه الله المقصود من كلام الله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾، وأما المرتاب وكلمة المرتاب أي الشاك فهي تشمل الكافر والمنافق فيقول: (**ها ها لا أدري**)، ما أعرف شيئًا عن ربي ولا أعرف شيئًا عن ديني، وهكذا لأنه لم يهتم بهما في الأصل، ولم يعتن بهما ويحرص عليهما ولم يؤمن بهما أصلا، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته تبعًا لما يقوله الناس فهو إمّعة وقد جاء في الحديث (**لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا**)[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سنن الترمذي (٤/٣٦٤). والحديث ضعفه الشيخ الألباني.

ومن عذاب القبر الوارد (**فيُضرب بمرزبّة من حديد**)[1] المرزبّة: مطرقة كبيرة فالله أعلم بقدرها وجنسها، وقد بين أنها من الحديد، (**فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين**)، لا يسمعها أحد سواء من الإنس الإنسان والجن، أما غيرها من الحيوانات أو غيرها، فتسمع صيحته، فصيحته صيحة تألم واستغاثة. قال: (**ولو سمعها الإنسان لصعق**) أي لأغمي عليه لشدة الأمر وعظمته ولذلك الرسول عليه الصلاة والسلام صح عنه أنه قال: (**لو تعلمون ما أعلم**) لما سألوه عن القبر قال: (**لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلاً ولخرجتم في الصعدات تجأرون**)[2] يعني: تدعون الله أن يجنبكم العذاب، وكان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه**) قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه**)[3] ولا يلزم من وجود عذاب القبر أن يستمر الرجل في عذاب النار، فقد يعذب الإنسان في القبر وينتهي أمره، فلا يعذب مرة ثانية؛ لأن هذا العذاب هو المساوي لطبيعة السيئات والكبائر التي عملها، فيكون عذابه في القبر كفاره له ويكون بعد ذلك

---

(١) الحديث أصله في الصحيح من غير لفظه «بمرزبة» ولفظ الصحيح «بمطرقة» أما لفظ «مرزبة من حديد» فقد أخرجها أبو داود في سننه، انظر سنن أبي داود (٤/٢٣٩)

(٢) أصل الحديث في الصحيحين من غير زيادة «ولخرجتم في الطرقات. . . إلخ» والزيادة أخرجها الترمذي، وابن ماجة بسند حسنه الشيخ الألباني، انظر الترمذي (٤/٥٥٦)، ابن ماجة (٤١٩٠).

(٣) سنن ابن ماجة (٤٢٦٧)، والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

من أهل الجنة، وهناك من يدخل النار بعد أن عُذب في القبر لأن عذاب القبر لم يف ما عليه من الذنوب، فالناس متفاوتون في العذاب. كذلك عذاب القبر لا يلزم منه أن يكون مستمرًا لكل الناس، فقد يعذب بعض الناس برهة فيه ثم يأتيه النعيم، فلا يلزم من كونه يأتيه عذاب القبر أنه يكون مستمرًا إلى يوم القيامة، إلا الكافر طبعًا والمنافق الذي خرج من ملة الإسلام فهذه شأنه شأن آخر، لكن أهل الإيمان إذا قدر أن عليه شيء من العذاب في القبر فإنه في هذه الحالة لا يكون مستمرًا بل يكون بحسب أعمالهم، فقد يعذب برهة ثم يأتيه النعيم وقد يعذب إلى يوم القيامة ويختلف حاله وشأنه.

قال: (**ثم بعد هذه الفتنة**) يعني يكون في القبر، بعد فتنة القبر يستقر أمر الإنسان إما نعيم بحسب حاله وإما عذاب بحسب حاله، إن كان كافرًا أو منافقًا.

قال: (**إلى أن تقوم الساعة الكبرى**) إذًا هنا القيامة الكبرى، هناك قيامة صغرى وهناك قيامة كبرى، القيامة الصغرى هي: الموت. فمن مات فقد قامت قيامته[1]، والقيامة الكبرى هي اليوم الآخر الذي أخبر الله –سبحانه وتعالى– بتغيير الكون فيه فتعاد الأرواح إلى أجسادها هذا معنى الحشر، الحشر معناه: إخراج الناس من القبور ورجوع الأرواح إلى الأجساد كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**أنه ينزل مني كمني الرجال، فيغوص في الأرض سبعين ذراعًا**

---

(١) الحديث بهذا اللفظ ضعيف، انظر السلسلة الضعيفة (٣/٣٠٩)، وقد أخرج البخاري في صحيحه حديثًا قريب المعنى من هذا الحديث عن عائشة، قالت: كان رجال من الأعراب جفاة، يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم»، قال هشام: يعني موتهم. البخاري (٨/١٠٧).

فتنبت الأجساد كما ينبت البقل في حميل السيل ثم يأمر الله - سبحانه وتعالى- إسرافيل أن ينفخ في الصور فتتطاير الأرواح في ثقوب بعدد الأرواح فتتطاير فتستودع الأجساد فيقوم الناس ويكون أولهم قيامًا موسى عليه السلام) كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (**أنه يقوم فيراه ماسكا بإحدى قوائم العرش يقول فلا أدري هل هو استفاق قبلنا أو لا؟**)[1] الشاهد أن الحديث دل على أن موسى هو أول من يستيقظ، ثم بعد ذلك يقوم الناس، يقول (**فترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد كلٌّ يتبع ما كان عليه في الدنيا وانشغل به**)............. يقومون على ما ماتوا عليه من أحوالهم في الدنيا كل يطلب ما يريد[2]، وقد بين الله -سبحانه وتعالى- أن حالهم من هول الموقف يكون كمثل السكران، لا يدري أين يذهب يخبط بعضهم في بعض، يذهب شمالاً ويذهب يمينًا، ويرجع وهكذا دواليك حالهم، حتى يأذن الله -سبحانه وتعالى- بصفهم وجمعهم ثم حسابهم.

المؤلف رحمه الله تعالى قد تكلم على أمور تتعلق باليوم الآخر، ومن ذلك البعث الذي قال عنه: (**فتعاد الأرواح إلى أجسادها**) وقد تقدمت الإشارة إليه، وهذه القيامة الكبرى جعل الله لها أشراطًا وعلامات وهذه العلامات تنقسم إلى قسمين:

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، البخاري (١/١٦٠)، مسلم (١٨٢).

(٢) عن جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» مسلم (٢٨٧٨).

☜ الأول: العلامات الصغرى، ومنها ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور عندما سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن علاماتها فقال صلى الله عليه وسلم: (**أن تلد الأمة ربّتها وأن ترى رعاء الشاه يتطاولون في البنيان**)(١).

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**أنا والساعة كهاتين**)(٢) والعلامات الصغرى تصل إلى قرابة عشرين علامة، وأما الكبرى وهي التي تكون بين يدي الساعة وإذا خرجت واحدة منها تبعتها الأخريات، ومنها خروج الشمس من مغربها ومنها خروج المهدي وغير ذلك من الأمارات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، وإنها ذكرها صلى الله عليه وسلم حتى يحذر الناس ويتأهبوا لما سيلاقيهم من أمور الحساب والعقاب.

يقول رحمه الله تعالى: (**وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه**) «يعني في القرآن الكريم» كما في قوله تعالى ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ﴾ وأيضًا ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في سنته وأجمع عليها المسلمون قال: (**وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون**) والأدلة الثلاثة المقصود بها: الكتاب والسنة وإجماع المسلمين وكلمة إجماع المسلمين يقصد بها أهل السنة والجماعة وغيرهم، فما من أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم - وهو داخل في نطاقها - إلا ويؤمن بقيام الساعة وأنها آتية لا محالة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٨/١٠٥)، مسلم (٨٦٧).

ذلك أن الله تعالى كما تقدم يرسل ماءً كمني الرجال يغوص في الأرض سبعون ذراعا فتخرج الأجساد كما يخرج النبات أو العشب في حميل السيل، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور فتتطاير الأرواح و يقوم الناس، فتراهم كما أخبر الله عنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قال: «**حفاة**» يعني غير منتعلين، «**عراة**»: ليس عليهم شيء مما كانوا، وقد سألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ فقالت: (**ينظر الرجال إلى النساء**)؟ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الأمر أعظم من ذلك**»[(١)] يعني لا مجال للنظر في ذلك الوقت، بل كل مشغول بنفسه يطلب نجاته، «**غلاً** »: يعني ليسوا بمختونين، كما خلقهم الله، وعندئذ تدنوا منهم الشمس كما جاء في الحديث[(٢)] مقدار ميل، قلنا مقدار الميل، ميل المكحلة وقيل الميل: هو المسافة، وعلى كل حال فإن فالشمس على ما هي عليه الآن مما يقال من ملايين السنين إنها قوية ومع ذلك إذا اشتدت، جاء بعض الناس ضربات الشمس وقد يموت بعض الناس من الحر، فما بالك إذا قربت من الناس مقدار ميل سواء كان ذلك ميل المسافة أو ميل المكحلة؟! وكل الناس يتعرض لهذه الأهوال، إلا من استثناهم الله تعالى وهم (**السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الذي ذكر منهم الإمام العادل والشاب الذي نشأ في عبادة الله والرجل الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله والرجل الذي**

---

(١) البخاري (٨/١٠٩).

(٢) مسلم (٢٨٦٤).

قلبه معلق بالمساجد والرجلان يتحابان في الله)[1] إلى غير ذلك فهؤلاء السبعة، وهناك غيرهم يظلهم الله في ظله ولا يصيبهم ما يصيب الناس من دنو الشمس وشدتها، ويلجمهم العرق، يعني: يغطيهم العرق، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وصف ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل**» - قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين - قال: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما**» قال: وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه[2].

وهذا اليوم العظيم فيه للعباد مواقف متعددة فمن هذه الأمور: تنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد قال تعالى ﴿**وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف:٨] ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾ [الأعراف:٩] وإنما جمع الموازين لتعدد الموزون فإن الموزون يكون تارة الشخص نفسه كما في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صفّقت الريح بساقي ابن مسعود قال: «**أتضحكون من دقة ساقيه والله إنها في الميزان لأثقل من جبل أحد**»[3]. وفي رواية أخرى «**يؤتى بالرجل السمين لا يزن عند الله جناح**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري (١/١٣٣)، مسلم (١٠٣١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/٢٤٤) والحديث إسناده حسن.

بعوضة»[1] فدل ذلك على أن الأشخاص يوزنون، فكما أن العباد يوزنون، توزن الأعمال، وكذلك الوزن للكتب كما جاء في الحديث: «**عندما توضع السجلات وتوضع لا إله إلا الله في كفه و السجلات في كفه فتطيح بهن لا اله إلا الله**»[2]، فهذه ثلاث أمور كلها توزن، والميزان له كفتان ولسان[3]، يتكلم كما جاء في ذلك الأحاديث الصحيحة، وقد دلت الآيتان على وجود الميزان، وقدجُمِع في الآيتين مثل ما تقدم بتعدد الموزون فيه، ثم نشر الدواوين، وعرّفت الدواوين بأنها صحائف الأعمال وحتى تقع على كل عبد، ويعرف ما عنده من الحسنات وما عنده من السيئات، فمن الناس من يأخذ كتابه بيمينه ومن الناس من يأخذ كتابه بشماله ومن الناس من يأخذ كتابه من وراء ظهره، والشيخ رحمه الله تعالى يقول: **(منهم من يأخذ باليمين ومنهم من يأخذ بالشمال ومنهم من يأخذ من وراء ظهره)**، وهو جمع جيد نزّل كل نص في محله، ومن العلماء من قال: **(إن الآخذ إما باليمين وإما بالشمال لكن الذي بالشمال، شماله تخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه)** وجمع الشيخ أفضل، وهو الأصح وهو الأحسن كما قال سبحانه تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء:١٣] القراءة تكون لجميع الناس حتى العامي في ذلك الوقت يقرأ كتابه، ويحاسب الله

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري (٦/٩٣)، مسلم (٢٧٨٥).
(٢) أخرجه الترمذي (٥/٢٤)، ابن ماجة (٢/١٤٣٧). والحديث صححه الشيخ الألباني.
(٣) وقد روى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: « ذكر الميزان عند الحسن، فقال: له لسان وكفتان» (٦/١٢٤٥).

الخلائق، هذا أيضًا موقف من مواقف يوم القيامة وهو الحساب فإن كان المُحاسب من أهل الإيمان وضع الله عليه كنفه يخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه(١) كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، إذًا هذا بالنسبة للمؤمن وأما بالنسبة للكافر فهو إلى النار لا يحتاج إلى تقرير ولا إلى غير ذلك، وأما إن كان غير ذلك وهو من عصاة المسلمين فإن كتبهم يقرءونها وتعرض عليهم سيئاتهم وتنطق جلودهم إذا أنكروا وهكذا دواليك، إذًا الحساب يكون فقط لأهل الإيمان، وما سواهم بلا حساب إلى النار وبئس المصير.

قال: (**وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة بأن توزن حسناته وسيئاته لأنه أصلا لا حسنات لهم**) لأن حسناتهم قدمت لهم في الدنيا أكل وشرب ونكاح وتمتع بالدنيا فعجلت لهم حسناتهم في الحياة الدنيا فلا تبقى إلا سيئاتهم وبناء على ذلك فهم لا يحتاجون إلى الحساب، بل يقال هذه ذنوبك وهذا حالك، ثم يذهب به إلى النار، قال معللاً لهذا الأمر (**فإنهم لا حسنات لهم**) ما لهم حسنات، ولكن تُعد أعمالهم، فيقال لهم عملتم كذا وكذا، فتحصى فيوقفون عليها فيعرفونها ويقرون بها ويجزون بها إذا ما أقروا نطقت الجلود ونطقت الأيدي ونطقت الجوارح بما كانوا يعملون، فتكون جوارحهم شهودًا عليهم، ثم يذهب بهم إلى النار.

ثم ذكر المؤلف موقفًا آخر وهي عرصات يوم القيامة وهي ساحاته ومواقفه المختلفة.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، البخاري (٦/٧٤)، مسلم (٢٧٦٨).

قال: (**وفي عرصات يوم القيامة الحوض**) يعني حوض النبي صلى الله عليه وسلم وهل يختص الحوض بالنبي؟ نعم هذا الحوض المعين مخصوص به صلى الله عليه وسلم، ولكل نبي حوض إلا أنها أصغر من حوضه صلى الله عليه وسلم، وهذا الحوض اختلف أهل العلم هل وروده يكون بعد المحاسبة وقبل الصراط أو هو بعد الصراط؟ فمن العلماء من قال إنه قبل الصراط لأن الناس يخرجون من المحشر وهم في حالة عظيمة من العطش فالمؤمنون أحوج من غيرهم شربوا من........ الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وهذا القول والله أعلم هو الأرجح والأصح. وقال بعض أهل العلم: بل يكون بعد الصراط؛ لأن المحنة به أعظم وأجل، والقول الراجح إن شاء الله أن الحوض قبل الصراط، وفي هذا يزاد أقوام عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم فيقول النبي صلى الله عليه وسلم يعني يأمر الملائكة بتركهم فيقولون: (**لا أنهم قد بدّلوا بعدك**)[(١)] أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فكل من جنح إلى البدع ولم يحكم بشريعة الله فإنه في هذه الحالة ممن يزاد عن الحوض، وهؤلاء من أمة محمد لأن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم فسيكونون غراً محجلين، فمعنى ذلك أنهم من أصحاب الوضوء، أصحاب الصلاة لكن عندهم بدع فلذلك يزادون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ويطردون ويمنعون، كما ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى قال: (**ماءه أشد بياضًا من اللبن**)[(٢)]، أشد يعني أعظم بياضًا من اللبن (**وأحلى من العسل**) طعماً

---

(١) البخاري (٨/١٢٠)، مسلم (٢٤٧).
(٢) صحيح مسلم (٢٣٠٠).

وعليه آنية (آنيته عدد نجوم السماء طوله شهر وعرضه شهر من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا).

يأتي السؤال: هل يشربون ماء في الجنة؟ نعم يشربون لكن لا يشربونه عطشًا وإنما يشربونه تلذذًا وتنعماً، وإلا إذا شربوا من الحوض ما عاد عندهم عطش أبدًا، حتى لو دخلوا الجنة فلن يصيبهم العطش بعد ذلك، لكن يشربون الماء ويشربون العسل ويأكلون الفاكهة والطعام لا رغبة في الطعام وخوفًا من الجوع، بل يأكلون ويشربون تمتعًا وتلذذًا.

هل الحوض بيضاوي أو مربع؟ قولان لأهل العلم وأرجحهما والله أعلم أنه مربع لظاهر قول النبي صلى الله عليه وسلم **(طوله شهر وعرضه شهر)** ولا يكون شيء طوله يساوي عرضه إلا إذا كان مربعًا، أما المدور أو البيضاوي أو نحو ذلك فهذا لا يقال إن عرضه مثل طوله.

ومن المواقف الصراط المنصوب على متن جهنم، ومتنها يعني ظهرها فوقها، وهذا الصراط عرّفه الشيخ رحمه الله تعالى بأنه: (الجسر الذي بين الجنة والنار) يعني جسر يمر على نار جهنم آخره يوصل بالجنة، قال: (وصفته قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أنه قد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو في حكم المرفوع أنه أدق من الشعرة وأروغ من ذنب الثعلبان وعليه حسك)[(١)] وهي عبارة عن

---

(١) الحديث بطوله أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وأما لفظة «أدق من الشعرة وأحد من السيف» فقد رواها مسلم موقوفة على أبي سعيد رضي الله عنه، وقد حكم عليها شيخ الإسلام بالرفع؛ لأن هذا الوصف الدقيق يعتبر من التي لا يعلمها الصحابي إلا بسماع من النبي صلى الله عليه وسلم. انظر صحيح مسلم (١٨٣).

كلاليب معكوفة تتخطف الناس بجهنم ممن كان يستحق ذلك، وأما حال الناس عليه فيمر الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يمشي كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد، الفرس القوي السريع ومنهم من يمر كركاب الإبل ومنهم من يعدو علوًا، يركض على رجليه، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم يخطف خطفًا، يخطفه الكلاليب ويلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم يعني بحسب أعمالهم كلما كان عمل الإنسان أعظم، كانت سرعته في تخطي الصراط أكبر قالوا: ومنه قوله – سبحانه و تعالى-: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١] أكثر أهل العلماء على أن المقصود المرور، المرور على الصراط، وقال بعض أهل العلم: بل دخول النار لكنها تكون على المؤمنين بردًا وسلامًا وعلى غيرهم نارًا محرقه.

قال: (فمن مرّ على الصراط) يعني: انتهى من المرور على الصراط، دخل الجنة، إلا ما ورد من أن هناك أناس يحبسون في قنطرة بين الجنة والنار وهم أهل الأعراف، فإذا نظروا إلى أهل الجنة طلبوا منهم وسألوا الله أن يفيض عليهم مما أفاض عليهم، وإذا التفتوا إلى أهل النار طلبوا من الله تعالى أن ينجيهم من النار ويكون هذا عذابهم برهة من الزمن، ثم مآلهم إلى الجنة، وأكثر أهل العلم على أنهم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم. فيوقفون مدة من الزمن ثم يكون مآلهم إلى الجنة، فإذا عبروا عليه، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار هذا بالنسبة لبعض المؤمنين

الذين لم يتم اقتصاص بعضهم من بعض فيقتص بعضهم من بعض[1] والاقتصاص هناك ليس ضربًا ولا جلدًا وإنما يكون بالحسنات والسيئات، لكنهم إذا تجاوزوا الصراط، عُرف أنهم من أهل الجنة وأنهم ناجون، لكن أهل الجنة لا يدخلون الجنة إلا على أكمل أحوالهم وأجلها وأفضلها لا تبقى معهم قبيحة من القبائح أبدًا، ولذلك صفتهم الجمال النفسي والجمال الجسدي أيضًا، ثم يطهرون فيُقتص لبعضهم من بعض، ويُصَفَّى بعضهم عن بعض حتى يدخلون الجنة وليس في قلوبهم غل على بعضهم، فإذا هُذّبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة. وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (**أنّ أقل أهل الجنة من له مثل الدنيا عشر مرات**)، فقد جاء في الحديث (**أنه يؤتى بالرجل ويجد الجنة قد اكتظّت من الزحام ماله محل فيقول: يا ربي أدخلني الجنة ما لي محل فيها يعني أبقيني معهم بس أدخل فلما أدخله الجنة طلبه المزيد فيقول الله له: ولك عشر أمثالها يعني عشر أمثال الدنيا**)[2].

قال: (وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم)[3] هو أول من يطلب فتح الجنة ويؤذن له بذلك، فإذا أُذن له بذلك، دخلت بعده أمته يعني المرسلون والأنبياء ثم بعد ذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري (١١/٨).
(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، البخاري (١١٧/٨)، مسلم (١٨٢).
(٣) مسلم (١٩٦).

قال: (**وأول من يدخل الجنة من الأمم هي أمته**) يعني أمة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الاستفتاح هو من شفاعاته الخاصة صلى الله عليه وسلم إذ هو يشفع عند ربه -سبحانه وتعالى- ويطلب منه فتح باب الجنة فيُشفّع في ذلك، لبيان كمال نعمة الله على العباد وأن الأمور ملك له - سبحانه وتعالى- وليس لأحد فيها شرك.

قال: (**وشفاعاته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثلاث شفاعات**) يعني الشفاعات بالنسبة لاستيعابها للعباد أو عدم استيعابها.

أما الشفاعة الأولى: **فيشفع النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف جميعًا**، الناس الذين وقفوا يوم القيامة ماعدا الكفار فليس لهم شفاعة. فالمقصود أن الرسول لما يشفع لأهل الموقف يشفع في بدء الحساب حتى يُقضى بينهم، يعني الشفاعة في القضاء بين العباد بعد أن يتراجع الأنبياء فيأتون لآدم يطلبون منه أن يشفع لهم فيقول: (**لا أنا أذكر ذنبي وأكلي من الشجر يذهبون لكذا وكذا حتى يأتون لعيسى ولا يذكرون شيئًا فيقول اذهبوا إلى محمد فيذهبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيسجد تحت العرش ويفتح الله عليه من الدعاء ما يفتح والمحامد ثم يقول الله تعالى له: ارفع رأسك واشفع تشفّع وسل تعطى، فيسأل الله تعالى أن يبدأ الله أن يبدأ القضاء بالعباد**)[1].

(١) البخاري (٩/١٤٦)، مسلم (١٨٣).

أما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهذه خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، كما أن الأولى تعتبر من الشفاعات الخاصة به صلى الله عليه وسلم.

قال: (وهاتان الشفاعتان خاصتان له) يعني لا يقوم بها أحد غيره وليس للأنبياء والمرسلين نظيرها.

أما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، فيشفع في العصاة من أمته ويخرج الله تعالى من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان[1] فيشفع فيمن استحق النار حتى لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ولا يبقى فيها، فيُخرجون.

والشفاعة هذه حق لله تعالى لا يُطلب إلا منه، لا يملكه النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره، ولذلك لا يجوز لأحد أن يقول: يا رسول الله اشفع لي، أو يقول للعالم: إذا مت اشفع لي، أو ما أشبه ذلك؛ لأنه لا يملك من ذلك شيء.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ وطلب الشفاعة يعتبر نوع من الدعاء ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أن لكل نبي دعوة مستجابة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[2] الشفاعة: دعاء، والدعاء عباده لله تعالى[3]، والعبادة لا تصرف إلا لله، لا يجوز أن تصرف لغيره، فمن صرف الشفاعة لغير الله، كان مشركًا خارجًا عن ملة الإسلام. والفرق بين شفاعة الله وهي التي يطلبها العبد

---

(١) البخاري (١٢٩/٩).
(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، البخاري (٦٧/٨)، مسلم (١٩٩).
(٣) سنن أبي داود (٢-٧٦)، سنن الترمذي (٢١١/٥).

من الله، وشفاعة المخلوقين بعضهم من بعض، أن الشفاعة بالنسبة للمخلوقين، شفاعات مشتركه، هذا يشفع وهذا يشفع، أما بالنسبة لله تعالى يعني المطلوب بالشفاعة ناس متعددين ويكثرون أما هنا الشفاعة فالذي يُطلب هو الله تعالى دون غيره.

الأمر الثاني: أن الناس شركاء في الشفاعة يعني الذي يشفع لك له مصلحة معك والذي يجيب هذه الشفاعة أيضًا له مصلحة مع من يشفع عنده، له فائدة ترجع له أما طلب الشفاعة من الله - سبحانه وتعالى- فالله تعالى ليس بينه وبين أحد نسبًا وليس له حاجه بل من رحمته تعالى أن يجعل النبي ﷺ يشفع وغيره يشفع.

قال: (وقد تبين لنا بهذا أن الشفاعة الخاصة اثنين: شفاعة أهل الموقف والشفاعة الثانية بدخول الجنة) هذه تعتبر خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكون لغيره من الأنبياء، وهناك شفاعات أخرى هذه الشفاعات تكون للنبي صلى الله عليه وسلم وتكون لغيره كمثل الشفاعة في أهل الكبائر، كمثل الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها، ومثل الشفاعة فيمن لم يدخل النار من العصاة أن لا يدخلها، فالله يعفوا عنهم ويسامحهم، ورفع درجات أهل الجنة بعضهم فوق بعض واحد في الدرجة الخامسة ملاً فيرفع للدرجة العشرين وهكذا دواليك؛ لأنه كما ورد في الحديث: (**الجنة مائة درجة وأن أعلاها الفردوس**)[1]، فهذه الشفاعات زيادة على هذه الثلاثة التي بين أيدينا، فهي سبع شفاعات منها اثنتين خُص بهما النبي صلى

---

(١) الترمذي (٤/٦٧٤) والحديث صححه الشيخ الألباني.

الله عليه وسلم، والبقية له ولغيره من الأنبياء والمرسلين، ولا تختص الشفاعة بهؤلاء بل هناك الشفاعة للعلماء، والشفاعة للشهداء، وقيل إن هناك شفاعة لأهل المدينة ومكة والأحاديث الواردة في هذه الشفاعات، فيها نظر.

قال: (ويُخْرِج الله من النار أقوامًا بغير شفاعة يعني برحمته -سبحانه وتعالى- يُخْرِجهم فينبتهم في ماء الحياة فينبتون كما ينبت العشب في مجرى السيل ثم يدخلهم الجنة فضلاً منه - سبحانه وتعالى - ورحمة)[1]. وإن كانت جميع الشفاعات بفضله ورحمته لكنه جعل لها أسبابًا ودواعي، أما هؤلاء الذين أخرجهم، فإخراجهم ليس له سبب إلا رحمة أرحم الراحمين فهو سبب واحد وليست أسبابًا متعددة أما الأخريات مع أنها برحمة أرحم الراحمين فإنها بأسباب أخر تقتضيها حكمه الله.

قال: (ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها في الدنيا) لعظم الجنة وكبرها يبقى فيها مكان كبير، ففي هذه الحالة ينشئ الله لها أقوامًا فيدخلهم الجنة يعني يخلقهم خلقًا جديدًا مستقلاً ، فيدخلهم الجنة. وهؤلاء والله أعلم ليسوا الولدان وليسوا الحور العين، بل هم ناس آخرون يخلقهم الله خلقًا مستقلاً ويدخلهم الجنة.

قال: (وممن يدخل أيضا في الإيمان بالله) قال: (وأصناف ما تضمنه الدار الآخرة) هذه الأصناف التي سيذكرها، كلها داخلة في الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر؛ لأنها من جهة الإيمان بالله والتصديق بخبر الله، كلها مما أخبر الله ورسوله عنها، ومن جهة الإيمان باليوم الآخر؛ لأنه يتضمنها.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، البخاري (١/١٦٠)، مسلم (١/١٦٣).

قال: (من الحساب) وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الحساب عندما سألته عائشة فسره بأنه العرض يعني عرض أعمال المؤمنين عليهم وأما الحساب الذي هو نقاش الأعمال فهذا شيء آخر كما قال النبي **(من نوقش الحساب عُذّب)**[1].

قال: (والثواب والعقاب) يعني: من الله تعالى، الثواب لأهل الجنة والعقاب لغيرهم.

قال: (والإيمان بالجنة والنار أنهما حق وأنهما موجودتان مخلوقتان بما فيهما من النعيم الذي أعده الله لعباده وبما فيهما من سكانهما من الحور العين والولدان).

قال: (وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء) يعني قصده في كتب الله تعالى سواء كانت التوراة أو الإنجيل أو القرآن، فإن ثبوت اليوم الآخر، ثابت في جميع كتب الله تعالى، وأعظمها هو القرآن الكريم، والآثار من العلم المأثور من الأنبياء، كل الأنبياء دعوا الناس للإيمان بالبعث والنشور وأمروهم بذلك كما أمروهم بإلوهية الله - سبحانه تعالى -، وفي العلم المأثور عن محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما يشفي ويكفي يعني لا حاجة لأحد من المسلمين أن ينظر في كتب بني إسرائيل حتى يستطلع ما في اليوم الآخر، بل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كفٍ وشفٍ، وذلك لأن هذا الأمر غيبي والغيب لا يعلمه إلا الله، وهذه الكتب محرفة وأنت لا تعرف أين المحرف، فقد يكون ما يذكرونه عن النار أو عن الجنة من الكذب، أما إذا كان يوافق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، البخاري (٣٢/١)، مسلم (٢٨٧٦).

فهذا يجب قبوله وأما ما يذكرونه مما يخالف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فهذا مما يجب رده. وأما إذا لم يوافق أو يخالف ما جاء به النبي ﷺ، فهذا يُسْكَت عنه ولا يُتلقى عنهم بل ما في كتاب الله وسنة رسوله كافٍ شافٍ لا يحتاج المسلمون معه إلى مزيد، فمن ابتغاه وجده يعني من طلبه من القرآن ومن السنة النبوية فإنه يجده فيهما مسطرًا، ففيهما الغنى عن كل علم من الكتب المنزلة وغيرها لأن الله جعل هذا القرآن مهيمنا على سائر الكتب وجعله أعلاها قدرًا وأعظمها فضلاً وأكثرها علماً وأبلغها وأفصحها فلذلك لا يحتاج الإنسان بعد القرآن وبعد سنة النبي صلى الله عليه وسلم لشيء آخر.

دعت هذه الجملة المختصرة التي ذكرها المؤلف رحمه الله عن الإيمان باليوم الآخر، أراد أن يتكلم على ركن آخر وإنما الخلاف في اليوم الآخر في الجملة هو بين المشركين والمؤمنين يعني ليس هناك خلافًا في ثبوت اليوم الآخر في داخل الأمة المحمدية وإنما المخالف له، هم الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون بالنشور، وإن كان من ينتسب إلى الإسلام قد خالف في بعض الأمور المتعلقة باليوم الآخر وهؤلاء أوّلوه ما أنكروه؛ لأنهم علموا أن إنكارهم له تكذيب للكتاب والسنة فذهبوا يؤولونه لكنهم لا ينكرونه، وإن كان كلامهم في ذاته الكفر، وقد يكون بعضهم حكم علماء الإسلام عليه بالكفر مما أنكره مما يتعلق باليوم الآخر كأمثال المعتزلة، فإن المعتزلة ينكرون كثير من الغيبيات بدعوى طلب التواتر فيها، وبذلك كفّرهم علماء الإسلام، كفرهم خمسمائة من علماء

الإسلام، وهذا الأصل الذي يذكره المؤلف رحمه الله من الأصول العظيمة الجليلة.

قال: (وتؤمن الفرقة الناجية)، (من) هنا بيانيه وليس المقصود بعضيه، بيانية يعني أن الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، (يؤمنون بالقدر) القدر: مأخوذ من التقدير، وهو تحديد العدد أو مأخوذ من القدرة، وأما شرعًا: فالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد خلق الخلائق كلها وسيرها حسب ما أراد جلّ وعلا، وأن ذلك كله قد كتبه في اللوح المحفوظ وهو جاري على مشيئته -سبحانه وتعالى- لا يخرج عنها، قد علم ما هم عاملون قبل أن يعملوا، هذا جملة معنى الإيمان بالقدر وهو يشمل قوله: (خيره وشره) يعني: القدر خيره وشره، هذا الخير والشر خلق لله - سبحانه وتعالى- فالله هو خالق الخير وخالق الشر وإنما سمي الشرشرًا لأن ضرره يقع على العباد وإلا من حيث إضافته لله -سبحانه وتعالى- فهو خير لأنه مبني على الحكمة، وقد مثّلنا في أمثلة سابقة فقلنا قريبًا من هذا ما حصل من أمر الخضر مع موسى عندما خرق السفينة وقتل الغلام وبنى الجدار، وظاهر خرقه للسفينة، أنه شر، وظاهر قتله للغلام، أنه شر، لكن موسى عليه السلام لما علم الحكمة مما فعله الخضر أقرّ ذلك وعرف أنه خير محض، ليس بشر وضربتُ مثلاً آخر، قلت: لو أن إنسانًا كان يسير بسيارته في الطريق فركب معه رجل وهو يمشي في الطريق ثم فوجئ بهذا يخرق خرقًا في فرش السيارة بالتالي لابد أن يغضب ولسان حاله يقول: أنا عملت لك معروفًا كيف تقابل المعروف بالإساءة، لكن لو قال الرجل:

انظر هذا ورائنا ناس وهم قطّاع طريق همهم السيارة لو شاهدوا فيها أدنى عيب تركوها لك ولو أنهم وجدوها كاملة ما فيها عيب رمونا في الصحراء وأخذوا السيارة، كيف تفعل في هذه الحالة؟ تقبل رأسه وتقول جزاك الله خيرًا فعلت خيرًا، هذا الفرش يمكن إصلاحه بقليل من المال، بلاً من ذهاب السيارة كلها، فصار عمله خيرًا، من أين علمت أن عمله خير، لما عرفت الحكمة، وهكذا الحال إنما سمي الشرشرً ا؛ لأنه شر علينا نحن، أما من جهة خلقه وإيجاده فليس بشر، ومنه ما جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(والشر ليس إليك)**[1]. يعني الشر لا ينسب إلى الله -سبحانه وتعالى- وقد تقدم القول بأن القرآن الكريم لم ينسب الشر إلى الله ولا مرة واحدة بل إن الشر يأتي في القرآن إما منسوبًا إلى المخلوق كما في قوله تعالى ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ وإما أن يأتي في عموم الخلق كما في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ وإما أن لا ينسب إلى الله بأن يجعل الضمير مستتر كما في قوله ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجن:١٠] قال: أُريد، ما قال: أراده الله، فالآيات متوافقة مع قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(والشر ليس إليك)** فالشر لا يكون في أفعال الله ولا في مفعولاته فالله لا يخلق خلقًا إلا وهو خير، لكن الشر يوجد، أو يوجده الله -سبحانه وتعالى- عند انعدام أسباب الخير فإذا انعدمت أسباب الخير جاء الشر فالشر يأتي من أمور عدمية والخير يأتي من أمور وجودية حقيقية خلقًا وإيجادًا، فالشاهد في هذا أن قوله: **(خيره وشره)** أن

---

(١) صحيح مسلم (٧٧١).

الخير والشر خلق لله -سبحانه وتعالى- وهو الذي أوجدهما خلافًا لقول المجوس والمنوية وغيرهم من أن هناك خالق للشر وخالق للخير.

قال: (**والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين**) يعني تتضمن مرتبتين:

☜ الدرجة الأولى قبل أن ندخل في الدرجتين نحن تكلمنا على كلمة القدر عندنا كلمة قرينة لها دومًا وهي القضاء، والقدر والقضاء يأتيان مجتمعان ويأتيان مفترقان، فالشيخ رحمه الله تعالى ذكر القدر وحده فما معناه؟ قال معنى القدر هنا: (**هو حكم الله بالوقوع على أشكالها وهيئاتها التي قدرها الله -سبحانه وتعالى- في سابق علمه وكتبها في اللوح المحفوظ**) هذا القدر شمل الحكم وشمل الهيئة التي يقع عليها هذا المحكوم عليه خلقًا وإيجادًا، وكذا الحال في القدر لو أن الشيخ قال القضاء مثلاً ما أتى كلمة القدر، القضاء خيره وشره من الله نفس الأمر في هذه الحالة يقصد به الحكم زيادة على الوقوع على الهيئة خلقًا وإيجادًا أما إذا اجتمعا فقيل القضاء والقدر ففي هذه الحالة القضاء هو حكم الله بالوقوع، وأما القدر فهو خلقها على هيئاتها وأشكالها المعينة التي أرادها الله -سبحانه وتعالى-.

قلنا إن الإيمان بالقضاء أو الإيمان بالقدر درجتان فالدرجة الأولى الإيمان طبعًا قال: (لكل درجة من هذه الدرجات تشتمل على أمرين أو على مرتبتين،

☜ **الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أبدًا وأزلاً** ، إذًا الأولى الإيمان بعلم الله الشامل بجميع ما يعمله

الناس قبل أن يقع وقبل أن يحصل، يعلم أنه سيقع في الوقت الفلاني في المكان الفلاني على الهيئة الفلانية أو أنه يمتنع وقوعه مع عزم العبد عليه بسبب كذا وكذا أو أن المصيبة الفلانية سيردها الدعاء، يدعو العبد فيستجيب الله له ويرفعها وما تكون وهكذا دواليك، كل هذه الأشياء مما تدخل في هذه الدرجة، قال: (**بعلمه القديم**) فكلمة القديم يعني غير المخلوق فعلم الله - سبحانه وتعالى- صفته، وصفاته غير مخلوقة لأنها تحذو حذو ذاته لأن ذاته غير مخلوقه فكذلك صفاته، العلم: علم الله غير مخلوق وليس المقصود بعلم الله المعلومات، بل المقصود بعلم الله هو إدراك المعلومات التي هي انكشاف المعلومات أمامه -سبحانه وتعالى- بحيث لا تخفى عليه.

قال: (**موصوف به أزلاً**) يعني بالزمن الماضي والمستقبل، فهو موصوف بالعلم على الدوام والاستمرار فلم يكن يوما من الأيام غير عالم فاستجد له علم، بل هو -سبحانه وتعالى- عالم بما هو كائن وحاصل، كيف يكون وكيف يحصل ولم يستجد له علم لم يكن هو موصوف به، قالوا وذلك أن الإيجاد والخلق يحتاج لتصور المراد حتى يخلق، وتصور المراد هو العلم نفسه.

قال (**وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال**)، علم الله ما سيعملون من الطاعات ومن المعاصي وما سيرزقون سواءً كان هذا الرزق عن طريق الحرام أو عن طريق الحلال، وكذا الآجال محدده متى سيموت الإنسان، قد علمه الله - سبحانه وتعالى- سواءً كان ذلك الأجل بمرض أو بقتل أو بحرق أو

ما أشبه ذلك، ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق كل ما هو مقدر أنه سيوجد أو سيعدم، هذا مكتوب في اللوح المحفوظ، وكتابة اللوح المحفوظ لا يعرف قدرها إلا الله وهو من نور كما جاء في بعض الأحاديث، والقلم مثل ذلك وسمي محفوظ لأن الله حفظه من التغيير والتبديل فما كتب فيه من المقادير لا يتغير ولا يتبدل. أما قول الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ فهذا في صحف الملائكة فليس في اللوح المحفوظ هذه هي الدرجة الأولى من درجات القضاء والقدر، تشمل العلم وتشمل الكتابة في اللوح المحفوظ وما في اللوح المحفوظ هو موافق لعلم الله تعالى، وما في علم الله تعالى هو موافق لما في اللوح المحفوظ، لكن ليس علم الله -سبحانه وتعالى- هو فقط ما في اللوح المحفوظ بل علم الله لا يقدره إلا الله -سبحانه وتعالى-، وما في اللوح المحفوظ يعتبر جزءًا من علم الله، جزء صغير، وهذا اللوح المحفوظ كتبت فيه المقادير، وكتبها الله تعالى بالقلم وقد جاء في الحديث (فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب قال: ما أكتب؟ قال له: اكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة)[1] فكتبه بأمر الله - سبحانه و تعالى -، ويقال (أولَ) ما خلق الله القلم، ويقال (أولُ) ما خلق الله القلم يقرأ على الثنتين، وفائدة الأمرين أن القلم هل هو أول المخلوقات أو لا؟؟

قال بعض أهل العلم إن القلم هو أول المخلوقات، وهذا هو الذي قرأ أولُ ما خلق الله القلم، ومنهم من قرأ أولَ ما خلق الله القلم، ظرف اعتبره ظرفًا وليس

---

(١) سنن أبي داود (٤/٢٢٥)، سنن الترمذي (٤/٤٥٧). والحديث صححه الشيخ الألباني.

مبتدأ أول جملة، وعلى قراءة (أولَ) أنه أول ما خلقه قال له اكتب، الأولوية هنا للكتابة، مجرد ما خلقه قال له اكتب، فأوليته ليست بمطلقة وإنما هي مقيدة بالكتابة هذا على النصب، أما على من قراء على الرفع، لا يقول القلم أول المخلوقات، ولكن الراجح أن القلم ليس أول المخلوقات، وأن أول المخلوقات هو العرش، العرش هو أول المخلوقات وهو أكبرها، والشاهد أن الحديث دلّ على أن المقادير قد كُتِبت وانتهت كما صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله الصحابة فقالوا: (**هل الأمر أُنُفٌ؟ - يعني انتهى خلاص أو أنه فيما يُستقبل - قال: الأمر أُنف ثم قال: اعملوا فكلٌ ميسّر لما خُلق له**)[1].

والنبي صلى الله عليه وسلم عندما قال لهم هذا، أراد أن يشير لهم أن القدر نوعان، النوع الأول: ما نعلمه من القدر وهو أننا مأمورون منهيّون، هذا الشيء نعلمه وندري عنه ونعرفه ونقدر عليه، وهناك شيء غير معروف لنا وهو قضية السعادة والشقاوة للعباد وأنه سيعمل أم لن يعمل، فهذا لا يعلمه إلا الله تعالى، فمثل هذا لا يجوز للعبد أن يرومه أو يقصد العلم به لأنه لا يعلمه لا نبي مرسل ولا ملك مقرّب ولا أحد من البشر، ولا يستطيع كشفه أحد من الناس أبدًا لأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى- لكن الرسول قال لا تتعبوا أنفسكم وتضيعوا أوقاتكم اعملوا، هذا الذي يجب علينا نصلي ونصوم ونحج، ونسأل الله

(١) البخاري (٩/١٥٩)، مسلم (٢٦٤٧).

العفو والعافية وهذا معنى (كلٌّ ميسّرٌ لما خُلِق له) فهذا ما يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى-.

قال: (فما أصاب الإنسان) يعني ما دام أن المقادير مكتوبة فما الذي يترتب على ذلك؟ فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، من مرض، من فقر، من غنى، من مصائب، مادام أن الله قضى أنه يصيبك لابد أن يصيبك، وهذا ما الذي يستلزمه من العبد؟ هل يستكين العبد أمام المصائب أو يأخذ الأسباب؟ قال: هناك فرق بين أن يُقدّر فتقع المصيبة وبين استكانة العبد وضعفه، فالله - سبحانه وتعالى- يقول لك لا تضعف اصبر واحتسب واسع لتغيير القدر بالقدر كما فعل عمر رضي الله عنه عندما قالوا: (**يا عمر تهرب من قدر الله؟ قال**: **نهرب من قدر الله إلى قدره**)، كما أن الله قدّر المرض، قدّر الصحة، قدر الأسباب الموصلة إليها، فالمطلوب من الإنسان أن يُعالج القدر بالقدر ولا يستكين، فإذا كان قدره أن يكون فقيرًا فليعالج القدر بالقدر وهو طلب الغنى ولا يقول: أنا فقير مقدّر؛ لأنك لا تدري هل فقرك مستمر أم غير مستمر، والغني لا يدري هل غناه مستمر أو غير مستمر والمريض لا يدري أمرضه مستمر أم غير مستمر، وصحتك لا تدري هل هي مستمرة أم غير مستمرة، لكن الواجب عليك أن تبذل الأسباب المشروعة ولا تتوكل عليها بل تتوكل على الله وتفوِّض أمرك إلى الله -سبحانه وتعالى-. القدر طريق للعمل، للجد، والعمل والنشاط والتغيير لأن هذه سنة الله في الحياة، سنة الله في الحياة أنها لا تبقى على حال ولا على شكل وأن ذلك التغيير

لا يحصل فيها إلاّ لأسبابه ودواعيه، عندما يأخذ الناس بالأسباب يحصل التغيير وعندما يطمع الناس بدون قيام بالأسباب يبقون كما هم وهكذا دواليك، فإن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، ما معنى أنه لم يكن ليخطئه؟ هل معناه أن الإنسان يستكين ولا يطلب الأسباب الممكنة؟ لا، بل يطلب الأسباب، فإذا قالوا هناك وباء، فيجب حينئذ أن نأخذ بالأسباب في الوقاية، فإذا أصابنا عندئذٍ ما نتأثر، نصبر ونحتسب ونطلب أسباب العلاج.

الرسول صلى الله عليه وسلم (**نهى المؤمن أن يطلب الحرب أو القتال لكنه أمره صلى الله عليه وسلم إذا حصل القتال ودخل في القتال أن يصبر ويحتسب**)[1] ذلك عند الله -سبحانه وتعالى-.

قال: (**وما أخطئه لم يكن ليصيبه**)، يعني الشيء الذي ما أصابك قدّر الله أنه ما يصيبك لن يصيبك أبدًا ولو اجتمع أهل الأرض كلهم مادام هذا القدر أنه لا يصيبك لن يصيبك أبدًا.

إذًا ما أخطأك لم يكن ليصيبك، بعض الناس إذا أخطأه شيء قال: لو كان كذا وكذا، وهذا خطأ، والواجب عليه أن يقول: قدّر الله وما شاء فعل[2]، فيؤمن بالقضاء والقدر ويحمد الله تعالى على أن هذه المصيبة لم تصيبه ولم تنزل بداره ولا ببدنه ولا بأهله.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري (٤/٦٣)، مسلم (١٧٤١).

(٢) مسلم (٢٦٦٤).

قال: (**جفّت الأقلام**) بما كُتِب باللوح المحفوظ فلا زيادة منه ولا نقص عليه، (**وطويت الصحف**) التي كُتِب فيها كل شيء بما فيه أعمال العباد فلا تغيير فيها ولا تبديل، كلمة «طويت الصحف» إشارة أنه ما عاد يكتب فيها، فما كتب فيها رُقم وانتهى، وجفاف الأقلام دليل على أن الأقلام وقفت ما عادت تكتب شيئًا أبدًا لأن المطلوب به قد حصل وانتهى، فليس القلم مستمرًا في الكتابة، إلا أن العلماء رحمهم الله قالوا: إن هذا القلم القدري قلم عام وهناك أقلام دونه غير هذا القلم وهي الأقلام السنوية التي تكتب ما في السنة، والأقلام التي تكتب ما في الشهر والأقلام التي تكتب ما في اليوم، لكن هذه كتابتها ليست في اللوح المحفوظ، وهناك القلم العمري الذي يختص بكل إنسان لذاته فيحصي أعماله من أولها إلى أخرها وأحواله، فليس القلم الوحيد هو هذا القلم إذًا، لكن هذا هو القلم العام وهناك أقلام دونه تختلف في العموم والخصوص قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠] يعني الكتابة كتابة هذه الأشياء وإحصائها يسيرة على الله -سبحانه وتعالى- لا تأخذ وقتًا، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢] يعني نبرئها يعني نخلقها ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وهناك دلالتان في الآيتين، الأولى: دلت على علم الله -سبحانه وتعالى- وكتابته لهذه الأشياء والثانية: دلت على أن الأشياء مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل الخلق وقبل الإيجاد.

قال (وهذا التقدير التابع لعلمه -سبحانه وتعالى- يكون في مواضع جملةً وتفصيلاً) فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، إذًا كل شيء كتب حتى الأشياء التي تقع بالأسباب فلان يعمل كذا فسيجازيه الله -سبحانه وتعالى- بسبب علمه، فلان يتصدق على الفقراء، الله سيعطيه بسبب هذا، كل هذه الأشياء مكتوبة، فلانسَيُقتَل بسبب كذا وكذا، قال هذا التقدير التابع لعلمه -سبحانه وتعالى- يكون في مواضع جملةً وتفصيلاً ...... أن يكون في اللوح المحفوظ مجملاً ويكون مفصلاً ويكون مكتوب أن العبد سيقع منه كذا وتبين شروطه في اللوح المحفوظ وأسبابه ودواعيه وكيفيته، وكل شيء كتب في اللوح المحفوظ مهما دق، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاءه يعني ما شاء إيجاده وخلقه -سبحانه وتعالى- ، وأما علم الله -سبحانه وتعالى- كما تقدم فهو أوسع مما في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ يعتبر لا شيء بالنسبة لعلم الله -سبحانه وتعالى-.

وإذاخَلق،خُلق جسد الجنين هذا إشارة للحديث المشهور من قول النبي صلى الله عليه وسلم (**يجمع خلق أحدكم في رحم أمه أربعين يومًا نطفة**)[1] كما جاء في الحديث.

إذا خلق جسد الجنين، والجنين سمي جنينًا لأنه مستور في الرحم قبل نفخ الروح فيه، وهذا دليل على أن البدن مخلوق قبل الروح على قول بعض أهل العلم، وقال بعضهم بل الروح هي المخلوقة أولاً قبل الجسد، وظاهر هذا الحديث الذي هو

---

(١) تقدم تخريجه.

حديث جبريل أن الروح موجودة وأنها تُـنفَخ وأنها خلقت قبل الأجساد ولعل هذا القول هو القول الصحيح، إذاخـَلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث الله إليه ملكًا فيؤمر - يعني الملك - بأربع كلمات، يعني جمل، الكلمات هنا معناها الجمل فيقال له: (**اكتب رزقه**)، رزق الحياة كلها كم سيأتيه وما سيحصل وما هو رزقه هل هو من الحلال أم من الحرام؟ هل هو مختلط أو هو حرام كله أو هو حلال كله؟ كل هذا يدخل في كلمة رزق، وما نوع الرزق، (**وأجله**) يكتب الأجل كم عمره؟ ومتى سيموت، متى ينتهي هذا العمر؟ فلذلك من مات على سريره أو صدمته سيارة فإنه مات لأجله، لكن الأجل له أسبابه، خلافًا للمعتزلة الذين يقولون: (**من مات بمثل هذه الأشياء الطارئة فقد انقطع أجله**) هذا كلام غير صحيح، ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ** ﴾ فكل إنسان له أجل مسمى، إذا جاء ذلك الأجل مات، سواءً كان بسبب من الأسباب أو من دون سبب يموت، إذا انتهى عمره انتهى، وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن صلة الرحم تزيد في العمر)[1] وليس المعنى أن الأجل غير محدد وأن هذا الإنسان الذي صار واطلاً لرحمه، سيزيد عمره بمقدار معين فوق عمره الأصلي، ليس هذا هو المقصود، بل المقصود أن عمره ملاً ستون سنـه، عشرون منها بسبب صلته لأرحامه، هذا هو المقصود.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس، البخاري (٥/٨)، مسلم (٢٥٥٧)، ولفظه: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه).

قال: (**وعمله**)، كل ما يعمله العبد فإنه مكتوب، وعمله هنا طبعًا يشمل الأقوال والأفعال كلها يشملها العمل.

قال (**وشقيُ أو سعيد**) يعني سعادته وشقاوته، والمقصود هنا بالسعادة والشقاوة في الآخرة، يعني هل هو من أهل النار وممن يعذب فيها أو من أهل الجنة.

قال: (**ونحو ذلك**) يعني من الأمور القدرية التي كتبها الله -سبحانه وتعالى- عليه، فهذا التقدير قد أنكره غلاة القدرية قديماً ، يعني ينكرون العلم وينكرون أن ذلك قد كتب في اللوح المحفوظ، هذا ينفيه القدماء، قدماء القدرية ولذلك قال الشافعي - رحمه الله تعالى - فيهم: (**ناظروا القدرية بالعلم فإن هم آمنوا به خُصِموا - يعني أبطلوا مذهبهم بالقدر - وإن هم أقروا به هذاخُصِموا وإن هم نفوه كفروا**)[1]، فكان المنكرون من المتقدمين من القدرية والمعتزلة ينكرون أن الله تعالى قد علم الأشياء قبل وقوعها يقولون إن الأشياء تقع ثم يعلمها الله بعد ذلك، وأما بالنسبة للوح المحفوظ لم يكتبها الله فيه، فهؤلاء ينكرون.

قال: (**ومنكروه اليوم قليل**) حتى من القدرية الآن الموجودون، لا ينكرون الكتابة باللوح المحفوظ ولا ينكرون أيضًا الكتابة، ولكن سيأتي أنهم ينكرون شيئًا آخر وهو إنكارهم للخلق والمشيئة، إذًا المتقدمون من القدرية ينكرون العلم والكتابة أما المتأخرون فلا ينكرون العلم والكتابة وإنما ينكرون غير ذلك من الخلق والمشيئة، أما الدرجة الثانية وهي أيضا تشتمل على مرتبتين:

---

(١) السنة للخلال (٥٣٢/١)

☜ المرتبة الأولى: قال: (فهي مشيئته النافذة) والمشيئة صفة من صفات الله – سبحانه وتعالى– الذاتية وكل ما تعلقت به مشيئة الله وقع لا محالة، ولذلك قال: (نافذة) يعني لا يتخلف المراد عنها أبدًا.

قال: (وقدرته الشاملة) يعني قدرته على كل شيء بما فيها أفعال العباد وعزّفها بعد أن ذكرها قال: (هو الإيمان بأن ما شاء الله كان)، كل ما تعلقت به مشيئة الله خلقًا وإيجادًا لابد أن يحصل ويقع، وما لم يشأ لم يكن يعني ما شاء الله أن لا يوقعه لا يقع أبدًا.

الذي لا يتعلق بالمشيئة لا يقع، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله، يعني ما وقعت وما حصلت إلا بمشيئة الله.

(ولا يكون في ملكه مالا يريد) يعني كونًا وقدرًا، وقد قدمت لكم أن الإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية، وإرادة دينية شرعية، فالمقصود بالإرادة هنا هي قرينة المشيئة التي هي الإرادة الكونية القدرية، وإلا الإرادة الدينية الشرعية قد يتخلف المراد فيها، قد يريد الله من العبد الإيمان لكنه يكفر دينًا وشرعًا، يريده دينًا وشرعًا بمعنى أنه يحبه ويرضاه لكن العبد يكفر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ لا يرضى للناس الكفر، وقد تقدم لنا أن قدرته –سبحانه وتعالى– تشمل إيجاد المعدومات وإعدام الموجودات كلها، لذلك قال: (من الموجودات والمعدومات) والمقصود بالمعدومات هنا المعدوم الذي تعلقت قدرة الله بإيجاده –

سبحانه وتعالى – فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه –سبحانه وتعالى–، ما خلقه غير الله، والله خلق العباد وخلق ما يعملونه، ولا خالق غيره – سبحانه وتعالى– ولا ربّ سواه فهو –سبحانه وتعالى– قادر على كل شيء، ومع ذلك يعني مع قدرته –سبحانه وتعالى– على كل شيء وعدم وقوع شيء إلا بمشيئته وإرادته الكونية القدرية فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله ونهاهم عن معصيته، فلا تعارض بين مشيئة الله تعالى وإرادته الكونية القدرية، وبين الأمر بطاعته. ولذلك جمع الله بين ذلك بقوله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ والخلق لا يكون إلا بمشيئة وإرادة وعلم والأمر هذا يشمل الأمر الديني، كما تقدم بالأمر بالطاعات والنهي عن المعاصي، ويشمل الأمر القدري وهو الذي تحصل به الأشياء ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧] .

وذلك أن متعلق الخلق هو إيجاد الموجودات بما فيها الطاعات وبما فيها المعاصي من العباد، خلقها، وهذه إذا تعلقت بها المشيئة وقعت الطاعة، وكذا إذا تعلقت المشيئة بالمعصية وقعت لا محالة، لكن جانب الأمر والنهي غير جانب المشيئة والإرادة فالله – سبحانه وتعالى – لا يؤاخذ العباد على ما شاءه وأراده ولكن يؤاخذهم على ما كسبوا وعملوا من امتثال الأمر أو عدم امتثاله، ومن هنا قال المؤلف رحمه الله: (**وهو – سبحانه وتعالى - يحب المتقين والمحسنين**) والتقوى: امتثال المأمور واجتناب المحظور، والمحسنون الذين يؤدون أعمالهم على أفضل وجه مشروع، هؤلاء يُقال لهم محسنون لأنهم يحسنون به، والمقسطون يعني

العادلون في أمورهم كلها سواء كان قاضيًا أو حاكمًا أو رب أسرة أو رب عمل يكون مقسطًا بمعنى عالاً ، (ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لأنه يرتضي أعمالهم وأفعالهم، ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين، إذًا ليس فيه تعارض بين مشيئة الله تعالى والأمر بالطاعة، فهو يبغض هذا ويحب هذا، يحب هذا لفعله الطاعة ويبغض هذا لفعله المعصية، لكنه يوقعه ويخلقه ويوجده مع ذلك، مع أنه يكرهه لكنه يوجده ويخلقه لحكمة يعلمها -سبحانه وتعالى-، فلا تعارض بين كون الله – سبحانه تعالى – يشاء وقوع الفعل من العبد وبين كون فعل العبد مكروهًا لله مبغضًا منه -سبحانه وتعالى- لأن هذا مقتضى الخلق والإيجاد، وذاك مقتضى الشرع، الطاعة وترك المعصية هذا مقتضى الشرع، مقتضى الأمر، وأما وقوع الأشياء فهذا مقتضى الخلق ولكلٍ حكمته، ولا يأمر بالفحشاء يعني شرعًا ولا يرضى لعباده الكفر، أبو لهب كفر ودخل النار قطعًا، لكن الله ما كان يحب الكفر بل يحب أن يكون مؤمنًا لكنه لما لم يخلق الإيمان منه لم يؤمن، ولا يحب الفساد في الأرض بجميع أنواع الفساد سواء كان فسادًا متعلقًا بالشخص نفسه بفعله للمعصية الخاصة به أو متعلقة بالناس كل هذا لا يحبه الله تعالى، (والعباد فاعلون حقيقة) يعني العبد عندما يصلي وعندما يصوم وعندما يأكل الربا، هو الفاعل الحقيقي لهذا الفعل ولذلك قال الله ﷻ: ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ نسب العمل بما كسبت أيدي الناس، الناس هم الذين فعلوا وبناء على ذلك يحُاسبون ويعاقبون، بناءً على خلق الله لأفعالهم ومشيئته أو إرادته الكونية القدرية،

والله خالق أفعالهم، جهة الخلق غير جهة الفعل، فالخلق خلق الله والفعل فعل العبد، فمن جهة الخلق لابد أن تتعلق المشيئة والإرادة الكونية القدرية حتى يوجد الفعل، ومن جهة الفعل لابد أن يكون العبد أيضًا قادرًا على الفعل مريدًا له لأنه لا فعل إلا بإرادة، فلابد من وقوع فعل العبد من أربع أشياء: مشيئة الله وإرادته......................... وبناء على الأمر والشرع انقسم الناس، والعبد هو المؤمن والكافر والبَرّ والفاجر والمصلي والصائم، إذًا العباد منقسمون إلى أقسام متعددة فيهم الصالح والطالح وفيهم الخيّر وغيره، وأعمالهم أيضًا منقسمة إلى هذه الأقسام، وانقسامها لا تعلّق له بالخلق، تعلّقه بالأمر، هذا الانقسام مؤمن، كافر، برّ، فاجر، مطيع، صائم هذا علاقته بالشرع، وهي جهة غير جهة خلق الأفعال من العباد، فجهة خلق الأفعال من العباد جهة مشتركة بين العباد كلهم، الكافر والمؤمن فليس فيها تفريق بين الناس، أما جهة الأمر فهي التي يتبين بها الفرق بين الناس، هذا أُمر فأطاع، وهذا أُمر فعصى، هذا أمر بالمعروف وهذا نهى عن المنكر فلا يُعرف معاني هذه الألفاظ إلا من جهة الشرع، ولذلك فإن الخلق هو جهة الربوبية وأما الأمر فهو جهة الإلوهية، متعلق بتوحيد الإلوهية، الخلق متعلق بتوحيد الربوبية، الأمر والنهي متعلق بتوحيد الإلوهية فلذلك ينقسم الناس إلى مؤمن وكافر وإلى برّ وفاجر، ومصل وصائم.

قال: (وللعباد قدره على أعمالهم فليسوا مجبورين عليها) بل لهم قدرة، والله – سبحانه وتعالى – أمرهم أن يفعلوا ما يقدرون عليه، أما ما لا يقدرون عليه فإن

الله لا يحاسبهم عليه ولذلك إذا أُكره الإنسان على شيء، فإن الله لن يحاسبه عليه، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ لأن هذا الشيء ليس له قدرة عليه، الإكراه الملجم، أما إذا أُكره على ما يستطيع الامتناع عنه فهذا واجب عليه أن يسمع ويطيع، فإذا قيل له: (ازن)، فلا يزني، (اقتل النفس)، لا يقتل النفس، لا يجوز له أن يقع في هذه المحرمات، وإذا فعل فإنه يأثم عندئذٍ؛ لأنه في هذه الحالة تكون له إرادة أما في حالة أنه ليس له إرادة مثل الإنسان الذي يُلقى من فوق شاهق، يُدفع ليس له إرادة ليمسك نفسه لكيلا يقع، فهذا لا يحاسبه الله، أما إذا قيل له: (ازن) فهذا له إرادة لأنه سيتلذذ بهذا الأمر، وإذا قيل: (اقتل) فهذا له فائدة لأنه يفدي نفسه بالآخرين، فيكون حرامًا عليه أن يفعل ذلك، وإذا جاء شرعًا عند الإمام أو من ينوب عنه في تنفيذ الأحكام، قُتل، إلا أن يكون فاقد الأهلية، كمثل السفيه والمجنون والصبي الصغير إذا أُمر ممن يخافه وفعل، فإنه لا يأثم، ما عليه أثم من الأصل ولا يعاقب شرعًا ولكن الدية تكون في ماله.

قال: (للعباد قدرة على أعمالهم ولهم أراده ولا يعملون إلا بإرادتهم ولا يعملون إلا بقدرتهم)، ومعنى قدرة العباد على الفعل: صحة وقوع الفعل عنهم، وعدم وجود الموانع التي تمنعهم منه، هذا معنى قدرتهم، قال: (ولهم إرادة) يعني يستطيعون بها الفعل، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كل هذه الأشياء، خلق الله -سبحانه وتعالى-، فجهة الفعل منهم غير جهة الخلق من الله، فأعمالهم وقدراتهم وإراداتهم وكل ما يتعلق بهم مخلوق لله -سبحانه وتعالى-، وأما فعلهم فهو

منسوب إليهم كفاعلين حقيقيين لهذا الفعل وهم يعلمون أنهم ما فعلو إلا لأنهم قادرون ومريدون للفعل، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ لهم مشيئة ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فقرر أن مشيئة العباد قاصرة وأنها لا يحصل ما به مشيئتهم إلا إذا اقترنت بمشيئة الله –سبحانه وتعالى– فعندئذٍ يقع ما يشاءون، أما إذا شاءوا هم بأنفسهم فقد يقع ما يشاءون وقد لا يقع.

قال: (وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية) يعني يكذبون بأن الله –سبحانه وتعالى– هو خالق أفعال العباد، يقولون العباد هم الذين خلقوا، والمعتزلة والخوارج والرافضة كلهم قدرية.

قال: الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم (مجوس هذه الأمـة)[1] كما جاء في الحديث الصحيح، ووجه ذلك أنهم جعلوا خالقين، خالق لأفعال العباد وخالق آخر وهو الله –سبحانه وتعالى– فهم مشركون بالله –سبحانه وتعالى– ويغلو في إثباتها قوم غلوًا كبيرًا وهم الجبرية وهم ضد القدرية.

وهم ليسو بمعصومين وذلك أن الله –سبحانه وتعالى– قال في حقهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب:٣٣] ليطهركم[2] وقالوا اللام للتعليل. وقوله ليطهرهم دليل على أنهم لو كانوا

---

(١) عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (القدرية مجوس هذه الأمة: إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم)، أخرجه أبو داود (٤/٢٢٢) والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) قال الشيخ رحمه الله في الأصل الآية خطأ فقد نطقها: (وليطهركم أهل البيت) والآية كما أثبتها في النص.

مطهرين من الأصل ما احتاجوا؛ لأن يطهرهم. لا يطهر إلا من كان ليس بطاهر، يعني أن الذنب ممكن أن يقع منهم فدل ذلك على أنهم كذلك ليسوا بمعصومين من الذنوب.

قال: (ويحفظون فيهم وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلا يتعرضون لهم بشتم، ولا سب بل يذكرونهم بالخير الذي فيهم إلا أن يكون الرجال منهم عنده بدعة، فيحذّ ر من بدعته ولا يتعرض لشخصه حيث قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي»[1]. فالنبي – صلى الله عليه وسلم – وصى الأمة على أهل بيته والعناية بهم، والبعد عن إهانتهم ورفع منزلتهم. كل هذا من الأمور التي تعتبر من حقوقهم وقال أيضًا لعمه العباس حينما اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم: «والذي نفسي بيده لا يؤمنون، حتى يحبوكم لله ولقرابتي»[2]. فدل على أن حب آل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – واجب، وهذا لا يمنع أن الإنسان إذا وقع منه المعصية، أن تكره المعصية منه، وأنه يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر ونحو ذلك، وقال – صلى الله عليه وسلم -: إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشًا ، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني على بني هاشم»[3] وفي هذا دليل على فضلهم وبيان مكانة النبي – صلى الله عليه وسلم -. وأيضًا ممن يدخل في آل بيت النبي – صلى الله

---

(١) مسلم (٢٤٠٨)
(٢) مسند أحمد (٢٩/٥٦)، والحديث إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد.
(٣) مسلم (٢٢٧٦).

عليه وسلم -، أزواجه ولذلك قال: (ويتولون أزواج رسول الله ﷺ) يعني يحبونهم في الله. ويحبونهم أيضا لقرابتهم من النبي – صلى الله عليه وسلم - لكونهم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هم أزواجه بالدنيا وأزواجه بالآخرة وحبهن مفروض علينا بالقرآن والسنة فهم أولى بالحب من أمهاتنا اللاتي ولدننا وأرضعننا فكان البر بهن واجب.

قال: (ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة). كل أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا، هم أزواج له في الآخرة. (خصوصا خديجة، لفضلها - رضي الله عنها - لأنها أم أكثر أولاده عليه الصلاة والسلام). ولما لها من الفضل من إنفاق ماالها في الإسلام. ووقوفها بجانب - رسول الله صلى الله عليه وسلم - في محنه المختلفة وهي في نفس الوقت أم أكثر أولاده. وأول من آمن به على سبيل الإطلاق، هي خديجة - رضي الله عنها -، ومن العلماء من يتوقف في هذا الإطلاق، ولكن يقول من الرجال كذا، ومن النساء كذا، ومن الصبيان كذا، . ولكن في الحقيقة هي أول من آمن به – صلى الله عليه وسلم - وأول من علم برسالته - صلى الله عليه وسلم -، ولذلك لما جاءها وأخبرها خبر الغار، خبر ما حصل له مع جبريل. قالت للنبي – صلى الله عليه وسلم - والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتفعل كذا، وكذا ثم ذهبت به إلى ابن عمها، ورقة ابن نوفل، وقص عليها الخبر وبشرها، ووعدها بأن ينصر النبي إن أحياه الله(١). وكانت أول من آمن به، وعاضده على أمره. وكانت

(١) جزء من حديث طويل أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها، البخاري (١/٧)، مسلم (١/١٣٩).

لها منه المنزلة العالية. لذلك كان عليه الصلاة والسلام دومًا يذكر خديجة ويهدي إلى صديقاتها وأقاربها. وكان يعتني بأقاربها حتى أن الصديقة - رضي الله عنها عائشة - رضي الله عنها – غارت[1]، فلما غارت قال: أنها كانت كذا، وكذا، وبين لها ما هي عليه. ومن فضائلها رضي الله عنها أن الله - سبحانه وتعالى- أرسل إليها السلام مع جبريل[2].

(**والصديقة بنت الصديق**) والصديقة بنت الصديق هي عائشة - رضي الله عنها - لأن الله أنزل براءتها وما نزل شيء من الوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا صدقته، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[3].

فإذًا أفضل أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - هي خديجة وعائشة وهل خديجة أفضل من عائشة، أو عائشة أفضل من خديجة؟ المسألة خلافية بين أهل العلم والحق أن يقال إن لكل منهما من الفضائل والمناقب العظيمة. ما يدل على فضلها ولم يرد نصًا واضحًا صريحًا في تعيين إحداهما.

ومما اختلف فيه أيضًا، فاطمة - رضي الله عنها - هل هي أفضل من عائشة ومن أمها أو لا؟ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم – قال: «**فاطمة بضعة مني**»[4]، ولاشك أن جزء النبي - صلى الله عليه وسلم - أفضل مما سواه. وجعلها النبي -

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، البخاري (٥/٣٩)، مسلم (٢٤٣٧).
(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري (٥/٣٩)، مسلم (٢٤٣٢).
(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى، البخاري (٤/١٦٤)، مسلم (٢٤٣١).
(٤) متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة، البخاري (٥/٢٢)، مسلم (٢٤٤٩).

صلى الله عليه وسلم - خير نساء أهل الجنة[1]، قال بعض أهل العلم: (**إن أفضل نساء بيت أهل النبي صلى الله عليه وسلم هي فاطمة، ثم تأتي بعد ذلك خديجة، أو عائشة**). ومن أهل العلم من عكس وقال: (**بل عائشة أفضل من فاطمة رضي الله عنها**) والذي يظهر - والله أعلم - عند التحقيق أن فاطمة أفضل.

قال: (**ويتبرءون من طريقة الروافض**). وطريقة الروافض هي بغض أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والغلو في أهل بيته لا مجرد المحبة. بل الغلو فيهم حيث وصل الادعاء بأن من كان منهم إمامًا، لا يحتاج إلى دراسة وإنما يتلقى من النبي - صلى الله عليه وسلم – مباشرة، أو أن الله –سبحانه وتعالى- يخلق في قلبه علومًا ومعارف بدون تأمل ولا نظر منه. وأوصلوهم إلى درجة الأنبياء، بل إن بعضهم ادعى أن بعض أهل البيت كـعلي - رضي الله عنه - أفضل من موسى وغيره من الأنبياء.

إذًا يتبرءون من هذه الطريقة لأن هذه الطريقة ليست طريقة النبي - صلى الله عليه وسلم - وطريقة النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس فيها غلو ولا جفاء. والذين يبغضون الصحابة، ويسبونهم يعني يستحلون سبهم ولا شك أن سب الصحابة معصية للرسول - صلى الله عليه وسلم – الذي نهى عن سب الصحابة[2]، فإن

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه من حديث أم سلمة رضي الله عنها، (٥/٧٠٨)، والحديث صححه الشيخ الألباني.

(٢) البخاري (٥/٨)، مسلم (٢٥٤٠).

كان الساب يسبهم على ما هم عليه من الدين والخير، فهذا يخرج من الملة. ولذلك قال عدد من أهل العلم بخروج الروافض من الملة.

قال: (وطريقة النواصب) يتبرءون منها، وهم الذين نصبوا العداء لأهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، يعني يعملون علاً يؤذونهم به إما بالقول مثل السب، والشتم والتنقص بهم، أو العمل كضربهم أو نحو ذلك من الأمور، أو عدم تقديمهم في المجالس وعدم احترامهم، فهذا كله يعتبر من الأمور المحرمة التي لا تجوز، وأهل السنة يتبرءون منها، وذلك بأن يحبوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعلوا شأنهم ويحبون أيضًا آل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. ولا يجعلون حب الصحابة، مضاد لحب آل البيت، بل يرون أن هذا من لوازم هذا، وهذا من لوازم ذاك. والكل عندهم ليس بمعصوم من المعاصي. بل كل واحد من الصحابة أو أهل البيت ممكن أن تحصل منه المعصية. ومعنى قولهم تأتي منهم المعصية، لا يلزم منه حصولها منه فعلاً، لكن هم يقصدون أن هذا من الجائز عليهم وليس من الأمور المستحيلة فهم كغيرهم من الناس، فيهم من الضعف البشري أخذًا بعموم قول النبي صل الله عليه وسلم: «**كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون**»[1]، لكنهم مع ذلك إذا وقع منهم ذنب، لا يشهرونه، ولا يتحدثون فيه في المجالس، ولا يحاولون أن يزيدوا عليه بحيث يجعلون الناس يُسيئون الظن بهم.

---

(١) سنن الترمذي (٢٤٩٩)، سنن ابن ماجة (٤٢٥١). والحديث حسنه الشيخ الألباني.

قال: (**ويُمسكون عمّا شجر بين الصحابة**) يمسكون، ما يتكلمون فيها، فلا يسبّون هذا ويتنقصون من أجر هذا، ولا يسبون هذا من أجل هذا، ويعتبرونهم مجتهدين - رضي الله عنهم جميعًا - والمجتهد لا يخلوا من الأجر، إما أجرين إن أصاب، وإما أجر واحد إن أخطأ.

قال: (**ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب محض**) منها ما هو كذب على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومنه ملفُّق على غير ما هو عليه فزيد فيه ونقص.

قال: (**ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه**) يعني حُرِّف وبُدِّل، تجد الفعل صحيح ما فيه أي مشكلة، لكن النواصب غيروا وبدّلوا وجعلوه طريقًا لسب أصحاب رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - والصحيح منه مما وقع منهم هم معذورون فيه.

قال: (**والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون**) فيما قالوا أو عملوا. لكنهم مجتهدون مأجورون، كما جاء في الحديث (**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**)[1] فإذًا لا يشهرون يعني لا يتكلمون في الحروب التي جاءت بين الصحابة ويكثرون من الحكي فيها ولا يشهرونها في المجالس.

---

(١) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، البخاري (٩/١٠٨)، مسلم (١٧١٦).

قال: (**وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم من كبائر الإثم وصغائره**)، إذًا الصحابة ليسوا معصومين من الإثم حالهم كحال غيرهم من المسلمين. والدليل على ذلك وقوع الذنب منهم، أن الذنب قد وقع فهناك ماعز، وهناك الغامدية وغيرهم من بعض أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي وقعت منهم الذنوب وبعضها من كبائر الذنوب.

قال: (**بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة**). تجوز عليهم الذنوب الصغائر والكبائر في الجملة. وإن كنا لا نعلم أحدًا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم – وقع في الشرك أو الكفر، فهم منزهون عن الشرك وعن الكفر، وأما المعاصي فجائز عليهم الوقوع فيها، وإذا وقع ذلك، يتوبون ويستغفرون إذا حصل الشيء منهم، ويبذلون المال في سبيل تكفير ذلك الذنب - رضي الله عنهم - كما أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب ما صدر منهم من الذنوب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، كذلك لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم. فهم الذين جاهدوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووقفوا معه حال ضعفه عليه الصلاة والسلام وحاجته. وهم الذين طبّقوا شريعته، وقاموا عليها، ونشروها بين الناس، ونشروا القرآن بين الناس، ونشروا الإسلام بين الناس. ولولا فعلهم هذا لما وصل الإسلام إلينا، ولا ما عُمِرت المعمورة في دين الإسلام. ووُجد من يذكر الله -سبحانه وتعالى- ولذلك لما دعى النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة بدر قال: (**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في**

الأرض)[1]. فدل ذلك على أنه كان لهم فضل في نشر عبادة الله في الأرض. وقد ثبت بقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنهم خير القرون وهو قوله «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[2]. فدل على أن لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فضلاً على غيرهم. وجاء أيضا في الحديث الآخر، «**فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه**»[3]، ما وصل إلى منزلتهم، وأن المُدّ من أحدهم إذا تُصُدّق به، كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم. فإذًا هذه الخصوصية، جعلت الله –سبحانه وتعالى– يخصهم بكثير من الفضائل والأجور وهم أهل لها. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب، فيقولون قد تاب منه ولا يُشهر عليه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفِر له بفضل سابقته فإن لم يكن، فبشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، وهم أحق الناس بشفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم –، فإذا بلي ببلاء في الدنيا كُفّر عنه. هذه أشياء حصلت في أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تكفّر عنهم ما حصل منهم من الذنوب، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة التي عُرِفت كما قال النبي دفاعًا عن المرأة الغامدية التي سبها خالد بن الوليد لما أصابه شيء من دمها وهم يرجمونها: «**إنها تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر الله له**»، أو قال: «**تابت توبة لو تابها أهل المدينة لغفر لهم**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، (١٧٦٣).
(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، البخاري (١٧١/٣)، مسلم (٢٥٣٣).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم الكلام على هذا الحديث.

قال: (فإذا كان هذا في الذنوب المحققة) التي عُرفت، لا في الذنوب التي اخترعها بعض الناس وكذبوا فيها، أو توهموها.

قال: (فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين) فلا شك أن الأمور الاجتهادية، معفو عنها إذا وقع الإنسان فيها؛ لأنه يعتقد حل هذه الأمور الذي أداه إليها اجتهاده، لعدم وجود النص الصحيح الصريح عن - رسول الله صلى الله عليه وسلم - فهذا معفّو عنه؛ لأن أقل أحواله أنه يؤجر أجرًا واحدًا، إذا لم يصب.

قال: (إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطئوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور) لأنهم ما حصّلوا الأجر إلا لأنهم غُفِر لهم إذ لو لم يُغفر له لما كان فائدة من حصول الأجر والثواب. فدل ذلك على أن اجتهاده في ذاته في طلب الحق وبذله الوسع في إدراك هذا الحق يعتبر حسنة من الحسنات يؤجر عليها.

قال: (ثم القدر الذي يُنكَرُ من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم)، يعني إذا عرضت فضائلهم وأعمالهم الصالحة أمام بعض الذنوب، فلا تعتبر شيئًا بل هي كقطرة الدم في البحر اللجي لا تؤثر فيه ولا تكدره.

قال: (نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم) ثم ذكر بعض محاسنهم.

قال: (من الإيمان بالله) من هنا بيانيه، (ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة) الذي استقوه من النبي – صلى الله عليه وسلم - وتلقوه منه (والعمل الصالح) وقد عُلم حرصهم الشديد على تطبيق الشريعة والعمل بها والاقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم – والاقتداء بأصحابه رضوان الله عليهم،

والسير على ما كانوا عليه من الهدى بعلم وبصيرة، أما من نظر فيه بالجهل. فقد تنطلي عليه شبهات أهل البدع.

قال: (ومن نظر فيه بعلم وبصيرة)، فإنه سيعلم مقام هؤلاء القوم ومكانتهم ومنزلتهم. (وما منّ الله عليهم به عليهم من الفضائل) وسيرى كيف وفقهم الله لكثير من الأعمال الصالحات التي يعجز كثير من الناس عن فعلها. (علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء) فليس بعد الأنبياء أفضل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قال: (لا كان ولا يكون مثلهم) ولا يمكن لأحد أن يصل إلى منزلتهم أبدًا.

قال: (وأنهم هم صفوة الصفوة من قرون هذه الأمة) فهم الذين اصطفاهم الله - سبحانه وتعالى- بين سائر القرون. وخصّهم بكثير من الخصائص التي لا تتوفر في قرون كثيرة.

قال: (التي هي خير الأمم وأكرمها على الله) فهم في البؤرة من فضل هذه الأمة المحمدية. وذلك يوجب احترامهم والأخذ بأقوالهم واجتهاداتهم، ويوجب أيضًا الذبّ عنهم والعناية بسيرهم والاقتداء بأعمالهم وأفعالهم، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»(١)

وقال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر واهتدوا بهدي عمّار وتمسكوا بعهد**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجة (٤٢)، والحديث صححه الشيخ الألباني.

ابن مسعود»[1] رضي الله عن الصحابة جميعًا. وهكذا فقدبيّن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن من حق الصحابة علينا أن نقتدي بهم وأن نسلك طريقهم، ولولا أن أفعالهم واجتهاداتهم تغلب عليها الصحة لما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك.

ولما انتهى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - من تقرير هذا الأصل العظيم وهو حب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهل بيته والقيام بحقهم مع عدم الغلو فيهم. جاء بأصل آخر خالفت فيه المعتزلة والفلاسفة والجهمية ومن تبعهم.

فقال: (ومن أصول أهل السنة التصديق بكـرامات الأولياء) قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ المؤمنون المتقون، هم أولياء الله. وإنما سموا أولياء الله لأنهم يحبون ما يحبه الله. ويسخطون ما يسخطه الله. وبناء على ذلك فلا يكون وليًا لله تعالى إلا إذا كان عالمًا بدينه. إذ لا يُتصور صحة العبادة ولا صحة المعاملة من العبد إلا إذا كانت موافقة للشريعة. وبالتالي فلا يكون الإنسان العاميّ الذي يخلط في شرع الله - سبحانه وتعالى- ويلعب في صلاته وصيامه، وليًا لله، وإن كان قد تثبت له جنس الولاية العامة. لكن الولاية نوعان: هناك ولاية عامة وهناك ولاية خاصة. أما الولاية العامة فهذه ولاية الله - سبحانه وتعالى- لأنبيائه والصالحين من عباده. وأما الولاية العامة فتكون لعموم

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٠٥)، والحديث صححه الشيخ الألباني.

أهل الإيمان لكنه لا يصير وليًا لله إلا إذا كان يعمل بعلم، ويخلص العبادة لله. أما من كان يشرك بالله – سبحانه تعالى – فلا يكون وليًا لله. وأما من يخلط في دين الله بغير علم ولا بصيرة. فيطيّ ويبطل صلاته ولا يدري فهذا لا يكون وليًا لله.

إذًا لابد في ولاية العبد أن يكون لدى العبد من العلم بدين الله والعمل والإخلاص ما يستحق به أن يكون وليًا لله. كل هذه الأشياء لابد فيها من الولاية. ولابد فيها من العقل، فلا يمكن أن يكون وليًا لله مجنون، أو سفيه، أو صبي لم يبلغ. فهذه كلها تنفي عنهم مسمى الولاية.

وهؤلاء الأولياء ليسوا بمعصومين بل مثلهم مثل سائر البشر، فيقع منهم المعاصي، كبيرها وصغيرها، ولذلك قال الله – سبحانه و تعالى – في محكم كتابه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[فاطر:٣٢] فليس مفهوم الولاية، ألا يقع الإنسان في الذنب لأن كل ابن آدم خطاء كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون**»[(١)]. ولا يستلزم أن يكون للولي كرامات، ولكن عدم وجودها لا ينفي عنه صفة الولاية.

والكرامات ثابتة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية. أما من القرآن الكريم كما حصل لمريم عليها السلام. فإن هذا يعتبر من كرامات الأولياء، والواقع أيضا دل

---

(١) الترمذي (٢٤٩٩)، ابن ماجة (٤٢٥١) والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

على ذلك، كمثل علم أبي بكر رضي الله عنه بما في بطن الجارية، وأنه ذكر ومثل ما كان لأُسيد بن حُضير لما قرأ نزلت الملائكة عند قراءته[1]. ومثل ما قال النبي – صلى الله عليه وسلم -: «**إذا سلك عمر فجًّا سلك الشيطان فجًّا غيره**»[2]. ومثل ما كان يظهر لبعض الصحابة من النور في أصبعه يضيء له في الليل. هذه كلها تسمى كرامات الأولياء، لكن هذه الكرامات أنواع، منها ما ثبت في القرآن. فهذا إنكاره كفر يخرج الإنسان من الملة؛ لأنه تكذيب لله ورسوله. كما قال – سبحانه و تعالى – عن مريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧] يأتيها رزقها من حيث لا تدري، فهذه كرامة، ومن كذّب بها فهو كافر يخرج من الملة لأنه يكذّب الله ورسوله. وكذلك من كذّب بالكرامات جملة يعني من حيث الجملة يعني يقول مثلا: لا يوجد كرامات، هذا يكفر، أما من كذّب شيئا قد ثبت في الآحاد، فهذا يفسق ولا يقال له كافر. أما ما يحكيه الناس من الكرامات التي لا سند لها ولا يُعرف صحتها، لا يكفر من كذبها ولا يفسق مادام أنه يؤمن بالأصل وهو أن كرامات الأولياء حق ويصدق بها وأنها تحصل. إلاّ أن الكرامات ليست دليلاً على أن هذا الولي هو أفضل الخلق، ولا أفضل الموجودين، ولا أفضل من معه، فقد يكون غيره أفضل منه؛ لأن خروج الخارق من العادة في بعض الأحيان،

---

(١) البخاري (٦/١٩٠)، مسلم (١/٥٤٨).

(٢) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، البخاري (٤/١٢٦)، مسلم (٢٣٩٦).

قد يكون استدراجًا من الله كمثل الذي حصل لقارون، فقد كان يعجز عن حمل مفاتحه أربعون رجلاً من الرجاء الأشداء الأقوياء، إلى غير ذلك مما أعطاه الله من الأموال، ومن متاع الدنيا ما لم يعطه غيره. لكنها كانت استدراجًا له، فكفر فعاقبه الله تعالى.

والعلماء يقولون: **(الاستقامة خير من ألف كرامة)** يعني هداية الله – سبحانه تعالى – عبده للحق وجعله ممن يلزم طريق الحق، أفضل من أي كرامة على وجه الأرض.

أما الكرامة التي تحدث على يد الرجل الصالح غير الاستقامة، فقد تكون ضررًا عليه في بعض الأحيان. فلا تكون نافعة لصاحبها إلا إذا كانت مقترنة بنصرة الدين. فهذه لها فضل إذا اقترنت بنصرة الدين، وتأييد الحق. كما حصل من خالد بن الوليد، عندما أكل السم ولم يضره[1] ولم يؤثر فيه، هذه كرامة. لكن كان المقصود من أكله للسم بيان أنهم على الحق، وأن الرسول صدق حق. ولذلك أسلموا عندما رأوا هذا الأمر، فهذه الكرامة هي التي لها قيمة، والولي لله لايخُرج كرامته ولا يقول للناس تعالوا انظروا إلى كراماتي؛ لأنه حريص على الإخلاص. وأما ما يدعيه بعض الناس من شيوخ الصوفية وغيرهم من أشياء يعرضونها على الناس، فهذه من الخوارق التي تعملها الشياطين لهم، وليست من الكرامات؛ لأن العبد المؤمن لا يدري عن الكرامة. بل الكرامة تنزل عليه من حيث لا يشعر، أما

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦/٤)، واللالكائي في كرامات الأولياء (١٥٢/٩).

إذا كان يقول للناس تعالوا انظروا عندي كذا وعندي كذا هذا لا يعتبر وليًا لله - سبحانه وتعالى- بل إنه يعتبر من الكهنة والسحرة الذين يستعينون بالجن والشياطين فيخرقون له العادة. وكذلك ما تسمع من بعض الناس أن فلانًا في يوم واحد ذهب إلى مكة، ورجع، هذه ليست كرامة، والغالب أن الشياطين تحملهم وتذهب بهم وتأتي. وقد كان من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، أنه حلف عدد من الناس، أنه في العام الفلاني قد رأوه وشاهدوه في الحج، وهو لم يحج ولم يذهب. فقد تتصور الشياطين بصور بعض الصالحين، وتفعل أشياء لا تليق حتى تفقد الناس القدوة بهم أو يدعون الناس إلى البدعة والمعاصي.

قال: (**وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات**) المقصود. بقول: (**خوارق العادات**) خوارق كل العادات لأن السحرة لهم عادة. والناس لهم عادات، فهذا الخارق للعادة، يخرق جميع العادات. سواء عادة السحرة كلها تخرقها، تكون خارجة منها ما يستطيعها لأنها من الله تعالى.

وهذه الكرامات تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون من قبيل العلم، ومنها ما يكون من قبيل التأثير. فما كان من قبيل العلم يكون كشف أمر مغيّب، كما كشف الله لعمر موضع سارية الجبل، فناداه، وأوصل صوته[1]، هذا من قبيل العلم.

---

(١) فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل (١/٣٦١) والحديث أورد له الشيخ الألباني في الصحيحة أكثر من طريق ثم قال معلقًا: (فتبين مما تقدم أنه لا يصح شيء من هذه الطرق إلا طريق ابن عجلان وليس فيه إلا مناداة عمر «يا سارية الجبل» وسماع الجيش لندائه وانتصاره بسببه. ومما لا شك فيه أن النداء المذكور إنما كان إلهاما من الله تعالى لعمر وليس ذلك بغريب عنه، فأنه «محدث» كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن ليس فيه أن عمر كشف له حال الجيش، وأنه رآهم رأي العين) أ. هـ انظر السلسلة الصحيحة (٣/١٠١).

وكذلك علم أبي بكر رضي الله عنه بما في بطن الجارية، هذا يعتبر من قبيل الكشف. وقد يكون في بعض الأحيان من قبيل التأثير كمثل فعل خالد عندما أكل السم فلم يضره. هذا يعتبر من قبيل التأثير؛ لأن السم من طبيعته أنه يقتل، لكن الله منعه أن يؤثر في جسد خالد رضي الله عنه. وكذلك من جملة ما يقع من قبيل التأثير، استجابة الدعاء، هذا يعتبر من الكرامات. استجابة الدعاء للرجل الصالح، إذا كان يُعرف باستجابة الدعوة. هذا يعتبر نوع من الكرامات لذلك الشيخ - رحمه الله – قال: (**في أنواع العلوم والمكاشفات**)، هذا الأول (**وأنواع القدرة، والتأثيرات**)، فقد يطلب الرجل الصالح أن يُنزل الله المطر فينزل، هذا نوع من أنواع التأثير أيضًا.

قال: (**وكالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها**) يعني ما ذكره الله تعالى في سورة الكهف وغيرها، وما ذُكر عن عُزير أنه كان رجلاً صالحًا على قول بعض أهل العلم من إحياء الله له بعد أن مكث مائة عام، كل هذا يعتبر من الكرامات، وما حصل لمريم يعتبر من الكرامات.

قال: (**وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين**) حصلت لهم كرامات وعُرفت ودوّنت في الدواوين، فهذه إذا رُويت لنا بالأسانيد المتصلة يُصدّق بها ويؤمن بها، أما إذا رُويت بالأسانيد الضعيفة أو نحو هذا فلا يجب التصديق به.

قال: (**وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة**) يعني الكرامات موجودة في هذه الأمة إلى يوم القيامة، تخرج على أيدي الصالحين لكن كما قلت

لكم الرجل الصالح لا يقول للناس: (تعالوا انظروا إلى كراماتي) ولكن الكرامة تحدث في حال معيّن وفي شأن معين فيُنزل الله عليه هذه الكرامة فتحصل وهو لا يدري عنها ولا يعرف عنها، بل إن من شأن الرجال الصالحين أنهم يحرصون على إخفاء أحوالهم وشؤونهم طلبًا للإخلاص.

قال - رحمه الله تعالى - بعد أن انتهى من هذا الأصل الذي هو كرامات الأولياء والكرامة سببها المتابعة للنبي - صلى الله عليه وسلم - فكما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أُرسل خرجت عليه المعجزة لتأييد الدين، فكذلك تخرج الكرامة على يد ولي من أولياء الله تأييدًا للدين.

بعد أن انتهى من هذه الأصول المهمة والتي خالفت فيها أهل البدع، جاء بتقرير أصول عامة تتعلق بأمور كثيرة مما هو من صفات أهل السنة والجماعة.

قال: (**ثم من طريقة أهل السنة والجماعة**) يعني طريقتهم المتّبعة التي اقتدوا فيها بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، قال: (**اتباع آثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باطنًا وظاهرًا**) الاتباع هنا يستلزم أمرين:

☜ الأمر الأول: يستلزم التصديق بإخبارات النبي - صلى الله عليه وسلم - وما دلّت عليه وعدم جحد معانيها.

☜ الأمر الثاني: العمل بها وتطبيقها وإلزام الناس بها وتعليمهم إياها كل هذا يدخل في قوله: (**اتباع آثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باطنًا وظاهرًا**) وهناك أشياء كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقوم بها، لكن لا يجب الاتباع

فيها ولا يشرع ولا يسن. وذلك كالأمور التي فعلها النبي - صلى الله عليه وسلم –عادة، الأمور العادية. إذًا ما ثبت الأمر بها من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي من عادات قومه، هذه لا يسن للإنسان أن يتابعه فيها. فلا يلزم مثلاً للإنسان أن يلبس ثوبًا مخططًا، أو نقول إذا لبس الثوب المخطط، يؤجر، لا يلزمه، ولا يؤجر على لبسه، مثل لبس العمامة فمجرد لبس العمامة ليس عليه أجر لأن العمامة عادة قومه - صلى الله عليه وسلم - أما الآن الناس يلبسون الغتر ما يلبسون العمائم. وكذلك الحال في عادات كل بلد فيما يلبسونه لا يلزمهم أن يتابعوا ما يلبسه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا إذا كان ذلك من الأمر المأمور به كمثل لبس البياض هذا وردت الأحاديث الدالة على الأمر به. أن الرسول أمر بلبس البياض[1] فهنا قد يسن للإنسان أن يلبس البياض مثلاً . أيضًا ما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعمله جبلّة وطبعًا، كالتغوّط والتبوّل ونحو ذلك. إلا الهيئات التي ثبتت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - سنيّتها في التبول والتغوط هذه الهيئات مأمور بها شرعًا وكذا ما فعله النبي – صلى الله عليه وسلم - قلنا ما فعله جبلّة وفطرة وما فعله النبي - صلى الله عليه وسلم - من قبيل العادة أيضا ما كان من قبيل الخصوصية. يعني ما خصّه الله به، مثل الوصال، والصيام، وقيام الليل كله واجب عليه ونحو هذا. هذا لا يسن للإنسان أن يتابع فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهناك أمرين لابد من المتابعة فيها وهي: بيانه

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه (٣٥٦٦) والحديث صححه الشيخ الألباني.

لمجمل القرآن، فإذا كان الله قال في كتابه: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ والرسول طبّق فنصلي مثلما صلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأننا لا نعرف صفة الصلاة إلا من طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، فما كان منه تفسير للقرآن وبيان لمجملة أو تخصيص لعام ونحو هذا، هذا يُتبع وحكمه حكم المجمل إن كان المجمل واجبًا، صار واجبًا، وإن كان مسنونًا، صار مسنونًا.

الأمر الخامس[1]: ما كان ابتداء تشريع، فكثير من الأمور الشرعية ابتدأها النبي – صلى الله عليه وسلم – وبين حكمها، وهو ما ورد حكمها في القرآن، فهذه يُتبّع فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – إذًا عندنا ثلاثة أشياء هذه ليس فيها متابعة...... اثنين فيها متابعة. وهي ما كان فيها بيان لمجمل، أو تخصيص لعام ونحو ذلك. وما كان ابتداء تشريع، فهذه يُتَابع فيها النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأما ما كان يفعله ابن عمر – رضي الله عنه – من كونه يطلب المكان الذي تبوّل فيه النبي – صلى الله عليه وسلم –، أو أنه يمشي في المدينة حافيًا أو ما أشبه ذلك. فهذه الأمور كان لابن عمر – رضي الله عنه – رأي فيها، وقد خالفه فيه أبوه وغيره من الصحابة. واستنكروه عليه، وكان يقصد الاقتداء بالنبي – صلى الله عليه وسلم – ما كان يقصد التبرّك. إنما كان بقصد الاقتداء بالنبي – صلى الله عليه وسلم –. ولذلك أمر عمر – رضي الله عنه – بقطع الشجرة التي في الحديبية خشية أن يفتتن الناس بها؛ لأن بعض الناس صار يذهب ويصلي عندها ونحو

---

(١) لم نجد الأمر الأول أو الثاني أو الثالث أو الرابع في كلام الشيخ رحمه الله.

ذلك. فقطعها بمرأى ومسمع من الصحابة، فكان ذلك إجماعًا من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على صنيع عمر. فالشاهد أن الاقتداء بالنبي – صلى الله عليه وسلم – يكون في أمرين: إما بيان القرآن إذا كان بيانًا لما فهي إجمال من القرآن أو تخصيصًا لما في القرآن أو نحو ذلك، أو كان ذلك من قبيل ابتداء التشريع لأمر.

هذا توضيح من شيخ الإسلام – رحمه الله – أن السنة النبوية مصدر من مصادر العقائد. كما أنها من مصادر الأحكام.

قال: (واتباع سبيل السابقين) الأولين من المهاجرين والأنصار، هذه طريقتهم يقتدون بأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من المهاجرين والأنصار، فيما هم عليه إلا إذا كان ما عليه الصحابي من قبيل الاجتهاد وقد خالفه غيره من الصحابة. ففي هذا يُنظر فيما هو الأقرب لفعل جميعهم أو لسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويُترك ما عداه ولذلك المنصور لما كتب للإمام مالك قال له: **(اجتنب تشديدات ابن عمر ورخص ابن عباس)** فرخص ابن عباس وتشديدات ابن عمر كانت من الأمور الاجتهادية وقد خالفهم فيها عموم الصحابة – رضوان الله عليهم – فأمره بتجنبها. فالشاهد في هذا أنه يقتدى بأصحاب – رسول الله صلى الله عليه وسلم – ما لم يكن الأمر فيه مجال للرأي فعندئذ إما أن يكون هو مما رواه عن الإسرائيليات فهذا لا يُعتبر به فلا يصدّق ولا يكذّب لأنه

عن بني إسرائيل، خاصة إذا اشتهر بالرواية عن بني إسرائيل كابن عباس رضي الله عنه.

أما الأمر الذي لا يُقتدى بهم فيه فهو الأمر الاجتهادي الذي للرأي فيه مجال. فهذا مما اختلف أهل العلم فيه اختلافًا عظيماً . فمنهم من قال: (يؤخذ الموافق والأقرب للقرآن والسنة وفعل عموم الصحابة).كالإمام أحمد. وخالف الإمام الشافعي - رحمه الله - فقال: (اجتهادات الصحابة كاجتهادات غيرهم، ومن حق غيرهم أن يجتهد ولا يلزمه الأخذ بأقوالهم عند الاختلاف، بخلاف الأخذ بأقوالهم وأفعالهم عند الإجماع فهذا يجب باتفاق أهل العلم). وقال أبو حنيفة - رحمه الله -: (لا يخرج عن أقوال الصحابة، ولكن يتخيّر أصح الأقوال). والذي يظهر والله اعلم أن ما قاله الإمام أحمد - رحمه الله - هو الأقرب للصواب لأن يعرض القول الاجتهادي للصحابي على ما عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى ما ورد في السنة، مع إيقاننا أن الصحابة لا يخالفون الرسول - صلى الله عليه وسلم – أبدًا، لكن الأمور الاجتهادية قد يكون النص الذي يدل عليها ما عرفه ولا يدري عنه، وقد يكون النص ما يدري عنه في بعض الأحيان بسبب النسيان، وقد يكون بعض الأحيان أوّله يعني فهم منه معنى لم يفهمه غيره، هذه الأمور الاجتهادية تحصل للصحابة وتحصل لغيرهم ممن بعدهم من الأئمة المجتهدين.

قال: (**واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم**) يعني في وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي قال فيها: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**»(١) قوله صلى الله عليه وسلم: (**سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**) قال العلماء: (**هم الخلفاء الراشدون**) وقال بعض أهل العلم: (**بل المقصود الأربعة**) لكن لعل الأرجح أنهم الصحابة والأربعة منهم، ولاشك أن الأربعة منهم وقد وصفهم النبي – صلى الله عليه وسلم - بالرشاد والاهتداء. قوله: (**عضوا**) يعني تمسكوا بها، وهذه دعوة لشدة التمسك، والإنسان إذا أراد أن يمسك شيئًا وصعب عليه أن يمسكه، مسكه بأسنانه حتى لا يضيع. قال: (**بالنواجذ**) يعني بالأسنان الأمامية. قال: (**وإياكم ومحدثات الأمور**) يعني ما يحدثه الناس فيما يتعلق بالشرع لا فيما يتعلق بأمر الدنيا؛ لأن الأصل في أمور الدنيا الإباحة. وأما الأصل في أمور الشرع، فهي التحريم فإذا اخترع الناس شيئًا فيما يتعلق بأمور الشرع فإنه في الحالة يكون من قبيل البدعة، سواء كان صيغة بيع لا تتوفر فيها الشروط المشروعة مثلاً أو خيار أو غير ذلك في أبواب المعاملات أو عبادة لم يرد أصلها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أو لم ترد صفتها وحدها فهذه تعتبر من محدثات الأمور.

---

(١) تقدم تخريجه.

قال: «**فإن كل بدعة ضلالة**» يعني: كل ما ابتدع في الدين فهو ضلالة. وهذا دليل على أنه لا يوجد شيء من البدع حسنًا وأما قول ابن مسعود: (**ما رآه المسلمون حسن فهو عند الله حسن**)[1] فهذا إجماع الأمة فإن الأمة إذا أجمعت على شيء، فإن إجماعها حينئذ يكون حجة ويجب الأخذ به.

قال: (**ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله**) يعلمون يعني يوقنون؛ لأن أصدق الكلام، كلام الله الذي هو القرآن الكريم، أو ما ذكره النبي - صلى الله عليه وسلم - في السنة النبوية يرويه عن ربه عزّ وجل.

قال: (**وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم**) المراد بالهدي: ما استمر عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - واستقر عليه بحيث ما يتركه فهذا هدي النبي - صلى الله عليه وسلم -.

قال: (**فيؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس**). يعني يقدمون كلام الله -سبحانه وتعالى- على كلام جميع الناس إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم - لا يقول إلا ما هو موافق للقرآن؛ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى. أما غير الله ورسوله فمهما قالوا من شيء فيعرض على الكتاب والسنة. لأن الكتاب والسنة هو الأصل الذي يقتدى به، فإن دل الكتاب والسنة على صحته أو إباحته أو نحو ذلك، أُخِذ وإن دل على رده،رُد.

---

(١) رواه أحمد في مسنده بإسناد حسن (٦/٨٤).

كلمة أصناف الناس يدل على أنه لا اعتبار لقول صحابي أمام قول الله - سبحانه وتعالى- ولا أمام قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولذلك اشتهر عن سفيان الثوري أنه لما أفتى في مسألة بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال بعضهم أن أبو بكر وعمر يقول كذا وكذا فقال: (**يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر!**)[1]، والإمام أحمد - رضي الله عنه - لماسُئل، قرأ قوله: (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**) الفتنة يعني عن الدين والانحراف عنه، والعذاب الأليم أن تنزل عليهم العقوبات القدرية.

قال: (**ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد**) إذا ثبت النص عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فلا يجوز مخالفته أبدًا حتى لو كان القول المخالف قول الصحابي، فيترك قول الصحابي ويؤخذ بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لما تقدّم لنا من أن الصحابي لا يمكن أن يخالف النبي لكنه إن قُدّر وخالفه فذلك لأنه أوّل النص أو فهم منه فهماً آخر أو أنه لم يعلم النص الدال على هذه المسألة فلذلك يقدّم قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه لا ينطق عن الهوى، أما بقية الناس فليسوا بمعصومين في هذا الباب، ولهذا سمّوا أهل الكتاب والسنة، وقدبينّ المؤلف لماذا سموا أهل السنة والجماعة، أهل الكتاب

---

(١) رواه أحمد (١/٣٣٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٣٧٨)، والأثر مشهور عن ابن عباس وليس عن سفيان الثوري.

والسنة؟ لأنهم أخذوا بها في الكتاب كله ولم يعارضوه بغيره، وأخذوا بها في سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – كلها ولم يعارضوها بغيرها.

قال: (وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة) لأنهم مجتمعين على الحق؛ لأنهم مجتمعين على أئمتهم، فهم مجتمعون على الحق وفي نفس الوقت مجتمعون على أئمة الهدى من العلماء ومن الخلفاء ومن الحكام المسلمين، وهذا الاجتماع لا فرقة فيه فإذا بحثت ونقبت في سائر العصور وجدت اعتقادهم واحد لا يختلفون فيه أبدًا.

قال: (وضدها الفرقة) ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ ﴾ إذًا الفرقة والاختلاف، أمر غير مطلوب شرعًا بل الواجب على الناس أن يجتمعوا على الكتاب والسنة ويلتفوا حول أئمتهم، ولا يختلفوا على أئمتهم في شيء، فإن من الناس من يجتمعون على رجل واحد ويجعلون له بيعة ويدّعون أنهم دعاة إلى الله، فالدعوة إلى الله ليس فيها بيعة، بل كل مسلم يدعوا إلى الله بما أعطاه الله من العلم والفهم، وبعد أن يتقن ما يعلمه يدعوا به إلى الله، أما الاجتماع فلا يكون إلا خلف هؤلاء، وإما أن يتخذ الناس لهم رؤساء كما هو الحاصل في الصوفية أو غيرها من الجماعات ثم يجعلون لهم البيعة فيفتاتون على حكام المسلمين حقوقهم فهذا من الأمر الذي لا يجوز شرعًا.

وجاء في الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – **(عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ومن شذّ، شذّ في النار)**[1]. فإنه لا يجوز الاجتماع إلا تحت اسم دل عليه الكتاب والسنة، هو الذي سماّ كم المسلمين. ولذلك اجتماع الناس تحت بعض المسميات، وجعل هذه المسميات طريقًا للولاء والبراء بحيث تعادي الجماعات الإسلامية بعضها بغضـًا، فهذا من الأمور المحرمة التي لا تجوز وهي من الفرقة التي نهى الله تعالى عنها. والواجب على المؤمن أن ينظر لدين الله من خلال كتاب الله وسنة رسوله وما عليه الفرقة الناجية، ولا يراه من خلال هذه الجماعات لأن العادة أن من التزم جماعة بعينها وبدأ ينظر لدين الله من خلالها تكون نظرته قاصرة، فيها قصور شديد. لأن هذه الجماعات عندها خير كثير، لكن في نفس الوقت قد يكون عندها أخطاء، لذا من ينظر للكتاب والسنة ويسير عليهما هو أبعد ما يكون عن الأخطاء التي تصدر عن مثل هؤلاء الناس الذين يجتمعون على هذه الجماعات، ويقولون إما نكون أو لا نكون، يعني كأنهم يقولون إذا نحن ما تسمينا بهذا الاسم نكون شيئًا آخر، وهذا من الغلط؛ لأن الله أمر بالاجتماع على الكتاب والسنة، وما ورد في السنة من الاجتماع على الفرقة الناجية.

قال: (**و إن كان لفظ الجماعة، قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين**). يعني يقول في اللغة لفظ الجماعة في الأصل القوم المجتمعون. هذا معناه في اللغة العربية، لكنه بدلالة الشرع الجماعة يقصد به ناس مخصوصون، وهم من كانوا على ما عليه

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٢١٦٧) وقال الشيخ الألباني: صحيح دون (ومن شذ).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه واجتماعهم على الكتاب والسنة وأئمة المسلمين. إن كانوا متفرقين في البلدان، في البلد يوجد منهم واحد واثنين، وهناك ثلاثة، وهناك عشرة، وهناك مائة، وهناك ألف وهكذا دواليك لكن كلهم يسمون جماعة.

وأيضا من سبيل الفرقة الناجية، الأخذ بالإجماع فقال: (**والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين**)؛ لأن الأصل الأول: القرآن، والأصل الثاني: السنة النبوية، والأصل الثالث: إجماع الأمة المحمدية. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥] فلما عاقب الله - سبحانه و تعالى - من ترك سبيل المؤمنين، دل على أن موافقة سبيل المؤمنين والأخذ به أمر واجب وفرض عين لا يجوز للمسلم أن يتركه. إلا أن هذا الإجماع ينقسم إلى قسمين:

✍ الإجماع القطعي: والإجماع القطعي قد عُرف بالأسانيد الصحيحة أن الأمة قد أجمعت على هذا الأمر وهذا غالبًا ما يكون في زمن القرون المفضلة وعندئذ يكون منضبطًا. والعلماء معدودون ومحصورون ومعروفون بأعيانهم فيسهل نقل الإجماع عنهم. وغالب الإجماعات القطعية لا تخرج عن هذه القرون الثلاثة. وأما بعد القرون الثلاثة، فالناس قد تفرقوا في البلدان، والعلماء كثروا، بحيث أن الإنسان يخفى عليه في الغالب جميع علماء البلد الذين بلغوا الاجتهاد والنظر في أمور

الديانة. هذا هو الإجماع القطعي. و من خالف الإجماع القطعي، فإنه يكفر ويخرج من ملة الإسلام لأنه مكذب لله فيما ذكره من وجوب اتباع سبيل المؤمنين.

✍ النوع الثاني: الإجماع الظني، وهذا الإجماع يُدخلون فيه كثير من أنواع الإجماعات، منها إجماع أكثر أهل العلم. ومن الإجماعات الظنية ما اختلف في شرطه؛ لأن الإجماع له شروط. فإذا كان هناك إجماع لكن إجماع مما اختلف في شرطه فإنه في الحالة هذه يعتبر إجماعًا ظنيًا، وعندئذ لا يكفر مخالفه إلا أنه لا ينبغي مخالفته مثل الإجماع السكوتي، يعني إذا حدث أمر، والعلماء يرون ويشاهدون أو يسمعون ولم ينكروه، فهذا السكوت يعتبر دليلاً على أن هذا الأمر مباح ما فيه شيء، فمثل هذا يقولون إجماع سكوتي. وهذا الإجماع السكوتي قد يكون قطعيًا وقد يكون في بعض الأحيان ظنيًا. فإن عُلِم أن سكوتهم إقرار انتهى الموضوع هذا يعتبر قطعيًا، لكن إذا ما عُلم أنه إقرار، فليس بقطعي. وكذلك ما ثبت من الإجماعات بخبر الواحد، عالم من العلماء قال: (أجمعوا) ثم خالفه غيره من أهل العلم ولم ينقل هذا الإجماع، فالعلماء هنا يقولون أن هذا إجماع ظني، ومخالفته جائزة وليست محرمة إلا أن عدم مخالفته أفضل وأكمل وأولى. ومثل قول بعض أهل العلم: لا نعلم فيه خلافًا، وهذا نفي للعلم بوجود الخلاف ولكنه لا يدل على الإجماع بلفظ صريح، ولكن استعمل لفظًا غير صريح فقال مثلاً : (لا نعلم من خالف في هذه المسألة) أو قال: (لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم). فمثل هذه الألفاظ تدل على الإجماعات الظنية.

قال: (**والإجماع هو الأصل الثالث**) وهو حجة في باب العقائد. كما أنه حجة في باب الأحكام الشرعية. ولذلك قال الشيخ – رحمه الله تعالى -: (**الذي يعتمد عليه في العلم والدين**) في الأمور العلمية الشرعية والأمور العملية، فعبّ بكلمة الدين عن العمل. فإذا أجمعوا على عمل أنه حرام، أو أجمعوا على عمل أنه مباح، لم يجز لمسلم من المسلمين أن يخالفه، وكذا اشتراط المعاصرة؛ لأن من العلماء من يقول: لابد في الإجماع من انقراض العصر، يعني كل عصر له إجماع. ومعنى انقراض العصر: يعني موت جميع من قال بالقول من أهل العلم في ذلك الزمان وفي ذلك العصر. وهم على هذا القول فمن العلماء من يشترط هذا الشرط ويوجبه ومنهم من يقول: إذا اجمعوا كلهم وحصل الإجماع ثم جاء وخالف واحد منهم من الأحياء، فإن خلافهم يعتبر شذوذًا. ولذلك عرّفوا الشذوذ بأنه: (**الخلاف بعد الإجماع**) فقوله، ما يُقبل، وخلافه يعتبر خلافًا غير صحيح. وكما أن الإجماع يكون على القول ويكون على الفعل، كذلك يكون العدم على الأمور العدمية. فإذا أجمعوا على عدم فعل فإنه يكون منهم إجماع. وكذا الإجماع على الخلاف، فإذا اختلف أهل العلم على قولين. ثم جاء عصر آخر فحاول بعض أهل العلم أن يجتهد من جديد ليقول قولاً ثالثًا مخالفًا للقولين، قالوا لا يجوز لأن الأمة أجمعت على قولين، فلا يجوز إحداث قول ثالث. ومن أهل العلم من جوّز أن يُستحدث قول ثالث، غير مخالف للقولين، يعني بمعنى ملفّق منهما، لكن هذا القول ضعيف والصحيح، إذا أجمعوا على قولين لم يجز لأهل العصر الآخر أن يخالفوهم فيأتون

بقول ثالث. وكذا الحال لو قاله على ثلاثة لا يجوز أن يأتي عالم فيخالف بالقول الرابع، ونحو ذلك. فالشاهد أن الإجماع سواء كان الإجماع بالقول أو الفعل أو الخلاف كل هذا معتبر.

قال: (**وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة، الكتاب والسنة والإجماع، جميع ما عليه الناس**). فإذا جاءتهم مسألة واقعة أو قول أو فعل باطن أو ظاهر وعُرض على أهل العلم، فعلى أهل العلم أن يعرضوه على القرآن. فإن لم يجدوا فيه شيئًا عرضوه على سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإن لم يجدوا فيه شيئًا، عرضوه على إجماع الأمة فينظروا لمن قبلهم من العصور السالفة، هل ثمة إجماع عليه في عصر من العصور؟ فإن وجدوا ذلك أفتوا به، فإن لم يجدوه لجئوا إلى طريق يسمى القياس. وعرّفوه بأنه: (**إلحاق فرع بأصل في علّة الأصل، في حكم شرعي**). فالشاهد في هذا أن العلماء عندئذ يلجئون إلى القياس. فإن لم يجدوا القياس، فهناك أصول أخرى تبعية، كمثل العرف ومثل مذهب الصحابي وسد الذرائع ونحو ذلك من الأصول الأخرى التي اعتمدها العلماء في استنباط الأحكام.

قال: (**من أقوال أو أفعال باطنة، أو ظاهرة، مما له تعلق في الدين**) أما ماله تعلق بأمور الدنيا. وأقصد من أمور الدنيا يعني المباحة، وإلا لا شك أن أمور الدنيا فيها ما هو من أحكام الدين. كمثل أحكام البيع، والشراء والقرض، والربا، وما إلى ذلك مما ذكره العلماء. هذا فيه حكم شرعي، لكن هناك أشياء الأصل فيها الإباحة، ويفتي فيها أرباب الصنائع لخبرتهم في هذه الصنائع المباحة، وهنا لابد

من الرجوع لهم. مثل ما قال الرسول لمن قال: نؤبّر النخل قال: **(لا اتركوه)** فطلع شيصًا ثم قالوا: يا رسول الله قلت كذا فطلع شيصًا فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: **(أنتم أعلم بأمور دنياكم)**[1] فأمور الصنائع يُرجع فيها إلى أربابها، فالمعلم مثلا أدرى بالتعليم والحداد أولى بالحدادة، وتاجر البضائع أدرى بأنواعها. كل واحد أعلم ببضاعته من حيث الجودة ومن حيث السوق ومن حيث الكبر ومن حيث الصغر ومن حيث القيمة. ولذلك عند الاختلاف نحن نرجع لأصحاب الصنائع في صنائعهم، فنسألهم: كم تساوي هذه السلعة عندكم؟ هم يعرفون كم تساوي في السوق، لكن ما تأتي عند مسألة تتعلق بالملابس وتذهب للحداد وتسأله كم تساوى، بل ترجع لأصحاب اللباس الذي يبيعون اللباس هم الذي يعرفون كم تساوى في السوق، وكذلك لا ترجع لأصحاب الملابس في جودة السكين هذه جيدة أو غير جيدة، بل ترجع للحداد لأنه أعرف بها وهكذا دواليك، في كل صناعة من الصناعات وكذلك الكتب لا ترجع ملاً فيها إلا لعالم بهذا العلم ترجع للنحوي ليرشدك في أمور النحو وترجع للفقيه ليرشدك في أمور الفقه وهكذا دواليك. فكل صاحب صناعة يكون أعلم بأمر من أمور دنياه فيُلجأ إليه في هذا إذا اختلفوا في كتاب، كم قيمته؟ نرجع لأصحاب المكاتب. كم يساوى الكتاب؟ هم يعرفون قيمة الكتب.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه، (٢٣٦٣).

ثم قال بعد أنبيّن أنه توزن الأمور الدينية بهذه الأصول قال: (**والإجماع الذي ينضبط ما كان عليه السلف الصالح**). يعني العصور الثلاثة المفضلة وهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين. هؤلاء إجماعهم ينضبط لما تقدّم لنا لأنهم العلماء وهم في نفس الوقت محصورون ومعرفون، ولذلك أنت لو رجعت للمفتين مثلاً من الصحابة، لو رجعت لإعلام الموقعين لابن القيم، تجده يذكر المفتين من الصحابة، ويذكر المفتين من التابعين ويذكر المفتين في المدينة، المفتون في مكة، المفتون في اليمن، المفتون في العراق، المفتون في الشام، فكلهم معروفون، وأسمائهم معروفة ومترجم لهم في كتب التراجم والسير، وقد عُرف أين تلقوا العلم ومن أين أخذوا أسانيده وما هي هذه الأسانيد، وهكذا، لذلك إجماعهم ينضبط، أما من جاء بعدهم من العلماء فيصعب معرفتهم ومعرفة علمهم وآثارهم لأن الأمة كثرت وانتشرت، فكم من عالم مات في بلده ولا يعرفه أحد، وهناك علماء موجودون في البلاد لكن ما أحد يعرفهم لأن غيرهم يكفونهم المئونة، وجدوا علماء يدرِّسون وعلماء يعظون وعلماء يذكّرون.

ثم لا يُعرف العالم إلا بعلمه وعرضه على العلماء وشهادة العلماء له وعليه وخاصة في الأزمان المتأخرة هذه صارت هذه من الأمور المتعذرة.

وكان عند علماء السلف ما يسمى بالإجازات، وهي وإن كانت تشبه الشهادات. إلا أنها تختلف عنها اختلافًا كليًا وذلك لأن العالم يعرف علم طالبه، ولأن العلوم كانت في السابق في الصدور وليست في السطور والكتب، فكنت إذا أتيت عالمًا

مثل الإمام أحمد، تجد المسند في قلبه يحفظه، ويحفظ غيره. لكن في المتأخرين يكاد يندر من يحفظ المتون ولذلك كان القدماء يقولون: (**من حفظ المتون حاز الفنون**). المتأخرون ما يحفظون المتون في الغالب، كثير منهم إلا ما شاء الله تعالى وإن كنا والحمد لله في هذه الأزمان نشاهد نهضة طيبة من كثير من الشباب يحفظون المتون. وإن شاء الله مثل هؤلاء يُرجى منهم أن يبلغوا مبلغًا علميًا ينفع الله تعالى بهم العباد والبلاد. الشاهد في هذا أن الإجماع المنضبط هو إجماع سلف الأمة. أما من بعدهم فإنه لا ينضبط الإجماع. لانتشار الناس وكثرة العلماء، وهم مع ذلك لا يعُرفون أيضًا وإن اشتهر بعضهم وعُرِف لأسباب معينة، فإنه في الحالة هذه يصعب نقل الإجماع ولذلك قال الإمام أحمد – رحمه الله –: (**من نقل الإجماع فقد كذب**). يعني قصده المتأخرين؛ لأن ضبط الناس ومعرفتهم صعبة بل إننا ونحن نزاول العلم الآن يجلس بين أيدينا طالب علم لا نعرفه. يعني أنتم الآن تسمعون مني ربما بعد ما أخرج منكم يقابلني واحد في الشارع ما أدري من هو، ما أعرفه، ما أدري عنه. العلماء المتقدمون كان الطالب يلازم أستاذه حتى في الأكل والشرب والدراسة، والذهاب والإياب. ولم يكن مقصده فقط العلم، فقط يكون معه أدب العلم أيضًا. ولذلك في بعض الأحيان تجد العالم لا يحتفي ببعض الطلبة مع ما لديهم من العلم بسبب سوء أدبهم، فتجد من هؤلاء من يحمل العلم الكثير ومكتبته زاخرة بكل الكتب التي لا تخطر لكم على بال ومع ذلك ليس معه أدب العلم وأخلاق العلماء، فمثل هذا لا يشير به العالم ولا يذكره أيضًا إذا احتيج إليه

يذكر من يحُتاج إليه. وقد جمع بين العلم والأدب، إذًا بعدهم كثر الاختلاف وانتشر في الأمة. فلهذه الأسباب، صار الإجماع لا ينضبط.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين